

الهند والعرب في العهد العباسي

تأليف

القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري



نقله إلى العربية

د. أورنك زيب الأعظمي

الهند والعرب
في
العهد العبّاسي

تأليف
القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري

نقله إلى العربية
د. أورنك زيب الأعظمي

مركزي پبليكيشنز، نيو دلهي، الهند

اسم الكتاب	:	الهند والعرب في العهد العبّاسي
اسم الكاتب	:	القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري
اسم المترجم	:	د. أورنك زيب الأعظمي
الناشر	:	مركزي پبليكيشنز، نيو دلهي، الهند
سنة الطبع	:	مايو 2025م
الرقم الدولي	:	978-93-49083-82-0

Title of the Book	:	Al-Hind wa al-‘Arab fī al-‘Ahd al-‘Abbāsī
Author	:	Al-Qāḍī Abū al-Ma’ālī Aṭhar al-Mubārakpūrī
Translated by	:	Dr. Aurang Zeb Aẓmī
Published by	:	Markazī Publications, New Delhi, India
Year of Publication	:	May 2025
ISBN	:	978-93-49083-82-0

كلمة المترجم

القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري (ت 1996م) من العلماء والباحثين الهنود الذين أثروا المكتبات العربية بما لم يسبق له نظير فمؤلفاته "رجال السند والهند إلى القرن السابع" و"العقد الثمين في فتوح الهند ومَنْ ورد فيها من الصحابة والتابعين" و"العرب والهند في عهد الرسالة" و"العرب والهند في عهد الخلفاء الراشدين" و"العرب والهند في عهد بني أمية" و"الهند في عهد العباسيين" و"تدوين السير والمغازي" و"الحكومات العربية في السند والهند" و"المجد الغابر للهند الإسلامية" كتبٌ تفقد أمثالها في العالم العربي والإسلامي. وبجانب هذه الكتب الجليلة فقد قام العلّامة المباركفوري بتحقيق وتخريج مؤلفات ورسائل ودواوين لها قيمة علمية وأدبية في الهند وخارجها. وأما مقالاته العلمية والأدبية فحدّث عنها ولا حرج، إنّ مجلته "البلاغ" موسوعة علمية تزخر بمعلومات لا يستهان بها عن العلم والفن والأدب وهي خير دليل على طول باع العلّامة المباركفوري في هذه المجالات كلها.

ونظراً لأهمّيتها تلك قام العرب بترجمة بعض مؤلفاته الأردوية من مثل "العرب والهند في عهد الرسالة" و"الحكومات العربية في السند والهند" كما نشرتْ دورُ النشر العربية مؤلفاتِه العربية من مثل "رجال السند والهند إلى القرن السابع" و"العقد الثمين في فتوح الهند ومَنْ ورد فيها من الصحابة والتابعين". ولكن إلى الآن بقي الكثير من أعماله القيّمة التي تستحق أن تنقل إلى لغة الضاد كي يستفيد منها الكتّاب والباحثون العرب.

وعلى هذا فقد عزمنا أنا وزميلتي د. هيفاء شاكري على أن ننقل هذا التراث العلمي الجليل إلى اللغة العربية فتناولتُ كتابه عن العهد العباسي إذ اختارت هي كتابه عن عهد الخلفاء الراشدين. فأتممت عملي بينما عملها يعطش إلى الإتمام،

وأرجو أنها ستنتهي من نقله قريبًا إنْ شاء الله تعالى.

ينقسم هذا الكتاب الجليل المسمّى بـ"خلافت عباسية اور هندوستان" المحتوي على أكثر من 600 صفحة في مقدمة ومدخل وثمانية أبواب وفهرس للمصادر فبعد مدخل طويل يدلّ على أهمية الموضوع ذكر الكاتب في الباب الأول قيامَ الحكم الإسلامي في العهد العباسي من ورود مفلس بن سري العبدي وهزيمته والقضاء على منصور بن جمهور على يد موسى بن كعب التميمي حتى قيام الدولة السامية والمعدانية والمتغلبة. ومن خلالها ذكر ازدهار السند والهند خلال الحكم الإسلامي كما ذكر طرق الحكم وعناية الأمراء بالعلم والأدب. وهكذا أحصى مختلف عجائب الهند. والباب الثاني يتناول إمارة بحر البصرة وبلاد بحر البصرة والمدن والجزر التي كانت عرضة للميد والحروب الـ15 التي خاضها الجيش الإسلامي كما أنّ الباب الثالث يذكر الإمارة ونظم الدولة التي مارسها الخلفاء العباسيّون من أبي العباس السفاح إلى المعتضد بالله ثم ذكر الإمارات المختلفة والقبائل المتغلبة والمستبدة وكذا ذكر رواج العلم والأدب والمجتمع العربي-الهندي، وعمارة البلاد الهندية وأشياء أخرى غيرها، والباب الرابع ينطق عن العلاقات بين العرب والهند فذكر فيها اختلاط العرب بالهنود وزواجهم ببناتهم وتقديرهم من قبل أهل الهند والاحترام المتبادل بين المسلمين والهندوس وما والاها. والباب الخامس يتحدّث عن حال التجارة بين العرب والهند فذكر طرق التجارة البرية والبحرية في ذلك العهد كما ذكر السلع التجارية وواردات وصادرات الهند ولغة التجارة وختم هذا الباب على تجارة الرقيق وشهرتهم في الأمور التجارية. والباب السادس عن علوم الهند وفنونها وعلمائها فذكر منة المسلمين على الهندوس إذ عرّفوا بعلومهم وفنونهم على العالم وعناية الخلفاء المسلمين بعلوم الهند وترجمة كتب هذه العلوم وترويجها بين المسلمين، والباب السابع حول العلوم والفنون الإسلامية الرائجة في ذلك العهد فتأسف

الكاتب على قلة المعلومات عن هذا الموضوع كما عدّد علماء الإسلام وعلماء الهند في هذا العهد وذكر ترويج مختلف العلوم والفنون الإسلامية في الهند ودور الهنود في ترويجها في بلاد الهند وخارجها. هذا باب قيّم مع الاعتراف بشحة المعلومات. والباب الثامن يتناول الموالي والمماليك الهنود ودورهم في ترويج وتطوير العلوم والفنون فذكر الكاتب الحديث والسير والمغازي وأصول الحديث والفقه وعلم الكلام والزهد واللغة والشعر وأشار إلى أسماء العلماء والعالمات الهنود الذين ساهموا في تفعيل المسير العلمي والأدبي. وفي تأليف هذا الكتاب الجليل استفاد العلّامة القاضي من 146 مصدرًا ومرجعًا عربيًا وأجنبيًا.

وأدعو الله تعالى أنْ يتقبّل محاولتي المتواضعة هذه ويجعلها ذخرًا لي في الآخرة.

د. أورنك زيب الأعظمي

مقدمة الكاتب

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّد وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

أمامنا تاريخ الهند العباسية (132-247هـ) الممتد لـ115 سنة. لقد حكم العرب المسلمون لحوالي أربعمئة سنة على ما فتحوه من مناطق الهند منذ العهد الفاروقي في 23هـ حتى العهد الغزنوي لسنة 416هـ. وأصدر كلّ من الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والأمراء العرب نظمًا للدولة كانت نظمًا لدولة إسلامية بحتة. كان القرض التاريخي لهذا العهد بإسره لزامًا علينا حتى اليوم، وكنا في حاجة ماسّة إلى تسديده.

والحمد لله على أنّا دفعنا القسط الأخير لهذا القرض بهذا المجلد وبدا لنا تاريخ منظّم ومرتبط للهند الإسلامية الممتدة لأربعمئة سنة بعد تأليف ونشر الكتب "عرب وهند عهد رسالت ميں" و"خلافت راشده أور هندوستان" و"خلافت أمويه أور هندوستان" و"خلافت عباسيه أور هندوستان" و"هندوستان ميں عربوں كي حكومتيں". وهكذا توفّرت لنا معلومات نادرة موثوق بها عن علوم الهند الإسلامية وفنونها، وطبقاتها ورجالها بفضل "رجال السند والهند" و"العقد الثمين فيمن ورد الهند من الصحابة والتابعين" و"إسلامي هند كي عظمت رفته". والآن يسرّني ويمتعني أنْ أقول تحديثًا للنعمة إني قد دعوت فيما دعوت في الأماكن المقدسة واللمحات المباركة ولاسيما حين شربت ماء زمزم في زيارتي الأولى للحج في 1375هـ دعوتُ أن يوفقني الله لخدمة قسم خاص مهمّ للعلوم الإسلامية فوفّقني الله بفضله الخاص لترتيب تاريخ الهند الإسلامية كما أسعدني بالكتابة في الموضوعات الأخرى النادرة العديدة.

ويغشى تدوينَ وتأليفَ هذه الكتب بركات وحسنات الحرمين الشريفين بأني استفدت قدر المستطاع، من مكتبة الحرم المكي الشريف، ومكتبة شيخ الإسلام، ومكتبة الجامعة الإسلامية، والمكتبة العلمية في رحلتيّ للحج في 1385هـ و1393هـ.

القاضي أطهر المباركفوري

16/رجب 1397هـ-4/يوليو 1977م

المدخل

مع أنّ الخلافة العباسية قد نمت فكرتها في خراسان، وطبعت على العجم ولكنها باديء ذي بدء غلبها اللون العربي الإسلامي فقد كانت نظم الدولة وتطبيقها في عهدها الأول أي قبل اغتيال المتوكل بالله وحدوث الثورة في 247هـ كانت إسلامية بحتة وكان هذا العهد مليئًا بالخير والبركة كعادة الخلافة الراشدة والأموية وقد كان يعمّ العالم الإسلامي كلّ من نفوذ الشرائع الإسلامية وتطبيق حدود الله والقصاص ورواج العشر والزكاة والجزية والخراج وإقامة العدل والقضاء وعموم الأمن والأمان ومواصلة الغزوات والفتوح وعزل ونصب الأمراء والعمّال وحماية حقوق الذميين وغير المسلمين وصيانة عزة الإسلام وأتباعه وعلوّ شأن الإسلام وترويج وتعليم العلوم الإسلامية وإحياء السنة وإماتة البدع ونشر الدين وكثرة علماء الدين وما شابهها من أمور الدين ومزايا الملة فقد رسم الإمام الذهبي العهد البدائي للخلافة العباسية كما يلي:

"كان الإسلام وأهله في عزّ تام، وعلم غزير، أعلام الجهاد منشورة، والسنن مشهورة، والبدع مكبوتة، والقوّالون بالحق كثيرون، والعبّاد متوافرون، والناس في بهجة من العيش بالأمن وكثرة الجيوش المحمدية من أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وإلى قريب مملكة الخُطا وبعض الهند وإلى الحبشة".[1]

فتشير كلمات إمام الإسلام وحافظ الحديث والمؤرخ هذه إلى مدى ملاءمة ومعونة هذا العهد في حق الإسلام، وفي هذا العهد حكم العباسيون الهند، فكانت فيه القيم الإسلامية تتجلى بكمالها وجمالها وكانت تحتوي على كافة أنواع

[1] تذكرة الحفاظ، 224/1

البركة والحسنة التي كان يتمتع بها العالم الإسلامي، كانت شريعة الإسلام ونظمها متداولة وكان الخلفاء العباسيون يؤدّون خدماتهم طبقها، وقد قاموا، في غضون مدة 150 سنة القليلة، من المحامد والمآثر بما كان يليق بحكومة العالم القوية هذه ثم تبعها الأمراء والسلاطين التابعون لهم لخدموا الهند في ظلالها خدمة جليلة وكأن حكومتهم كانت تضاهي حكومة هؤلاء العرب الأقحاح.

هذا من فضل الخلافة العباسية أنها قضت على العصبية المحلّية للهند وبلّغتها المستوى الدولي وحوّلت حياتها القديمة الجامدة إلى حضارة جديدة راقية نعبّرها بحضارة إسلامية أو حضارة هندية إسلامية. وبما أنها كانت مرتبطة بالعالم الإسلامي بل بالعالم كله على مستويات مختلفة وقعت سعة متنوعة في أمورها العلمية والفكرية والمدنية والحضارية والفنية والاقتصادية والاجتماعية ووقعت ثورة كبرى في أفكار وأذهان أهاليها فأصبحوا عضواً مكرمة من الجالية العالمية وخرجوا من حدود العرق واللغة والجغرافيا وحياتها الضيقة واستحقّوا الدخول في الحياة الدولية، فانضمت جماعة كبيرة من علماء الهند وفضلائها إلى جماعة أئمة الإسلام حتى نالت موالي الهند ومماليكها الشهرة في العلم والفن والحكومة والإمارة وكذا عيّن الخلفاء العباسيّون أبناءها على مناصب عليا فأدّوا خدمات جليلة، لأجل مواهبهم، تجاه خير الخلافة وإحكامها، وقد خلقت العلاقات الودية بين الراجات والمهاراجات، والخلفاء والأمراء العباسيين جواً للثقة بالنفس والمحبة والمودة وكذا إعادة الأمن والأمان أثر مهمّ للعهد العباسي والذي أوجد له إمارة بحر البصرة وشرعت التجارة العالمية البرية والبحرية تجري على قدم وساق بدون خوف ولا خطر. وهؤلاء هم الخلفاء العباسيون الذين ابتدروا إلى إخراج تراث الهند العلمي من مكامنه إلى آفاق التعليم والتعلم وأعطوا الهند درجة علمية وفنية كبرى في العالم كله ولا يسوغ للهند أن تنسى فضلهم هذا إلى يوم القيامة.

ولأول مرة دخلت أرض الأساطير والقصص والحكايات هذه إلى عهد التاريخ ورآها الناس في ضوء الواقع والحقيقة ولقد وفّر مؤرخو العرب وجغرافيوها ورحّالتها وملّاحوها وتجّارها لهذا العهد معلومات قيّمة مفيدة عنها تسلّط الضوء على علومها وفنونها في هذا العهد وأقوامها وأديانها وعقائدها وعاداتها وتقاليدها وأفكارها وأخيلتها ومعاشها واجتماعها وسياستها وحكومتها وصنعتها وتجارتها ومواقع مدنها وأريافها ومسافتها وحدودها وأنهارها وجبالها وحصادها ومعادنها وجمادها وأنبتتها وسعة شوارعها وطرقها البرية والبحرية وأمتعها وسلعها ووارداتها وصادراتها ومعاملتها وحسابها وأمور عرقها ومحاسنها ومساوئها، ولقد كان أهل الهند من قبل محدودين في حدودها الضيّقة البحرية والبرية على علوّ علومها وفنونها ومفاخرها وكانوا مفصولين عن الدنيا كلها كما دلّ عليه رحّال بعيد النظر يدعى إسماعيل بن عبد الله ردًّا على الخليفة أبي جعفر المنصور: "وأهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها بما يليهم".[1]

وكذا عرف أهلها أول مرة عن عالمية القيم البشرية بفضل العرب المسلمين وخرجوا من حدود وقيود العصبية العرقية والطبقية والمحلية وعبادة الشخصية وأخذوا أسهمهم حسب موهبتهم من العلم والفن، والحكومة والسياسة، والصنعة والتجارة، والمال والثروة.

ولقد ظننت أنّ تاريخ الهند الإسلامية في العهد العباسي سيكون كاملًا من كل جهة فقد بدأ تدوين وتأليف التاريخ والطبقات والغزوات والفتوح في هذا العصر كما بدأ تدوين الأحاديث والآثار، ولقد دوّن مؤرخو هذا العهد سير ومغازي وفتوح عهد الرسالة والخلافة الراشدة والخلافة الأموية ولقد تعلّق العديد من هؤلاء المؤرخين بالبلاط العباسي وعلى هذا فليكن تاريخ العهد العباسي كاملًا ومفصّلًا ولاسيما بالمقارنة من العهد الأموي فقد مسّت الحاجة

[1] تاريخ الطبري، 71/8

إلى تفصيل تاريخ العهد العباسي ولكن من الأسف أنه لم يحدث كذلك فيرى البعض أنه بما أنّ تاريخه دوّنه العلماء التابعون لأمراء وخلفاء بني العباس فقاموا ببيان مساوئ الأمويين وتفصيل محاسن العباسيين وهكذا فقد طغوا على مآثر بني أمية وحاولوا جهدهم لتسليط الضوء على مآثر بني العباس.

ونرى أنّ هذا أمر لا أساس له طبقًا للبحث والتحقيق بل الأمر خلاف ذلك بالنسبة لتاريخ الهند الإسلامية فالمؤرخون الذين كانوا أحياء في فجر العهد العباسي والذين شهدوا تاريخها قد فصّلوا العهد الأموي مقارنة بالعهد العباسي والحال أنهم كانوا يرون العهد العباسي رأي العين وأصبحت أحداث ووقائع بني أمية مما ذهب به الدهر وكان تفصيلها في العهد العباسي لا يعني لأسباب ودوافع مختلفة ولكنّ المؤرخين لم يهتمّوا بذلك بل فصّلوا وقائع بني أمية وأحداثهم مقارنة بما لبني العباس حتى وأبدوا رغبتهم عن العهد العباسي.

كان أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري البغدادي (ت 279هـ) من حواشي المتوكل على الله كما ارتبط ببلاط المعتز بالله والمستعين بالله. قام بتأليف "فتوح البلدان" في 255هـ الذي ذكر فيه فتوح السند في العهد الأموي في حوالي عشر صفحات بينما أنهى ذكر الدولة العباسية المباركة في صفحتين.

وقد كان جدّ أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن الواضح الكاتب العباسي اليعقوبي مولًى لأبي جعفر المنصور فكأنّ اليعقوبي كان فردًا من الأسرة العباسية وكاتبًا للخليفة. وكان حيًا في 260هـ وقد فصّل في أخبار الهند فتوح الأمويين مقارنة بفتوح العباسيين أربابهم، وكذا بيّن الخليفة بن الخياط العصفري البصري (ت241هـ) في تاريخه الأحداث حتى 232هـ حسب السنين وقد بيّن أمراء بني أمية في الهند وفتوحهم بالتفصيل ولو أنه فضّل الإيجاز في البيان بينما أوجز فتوح أمراء بني العباس وأقلّ ذكرها إلا

أنّ أنشطة إمارة بحر البصرة عن الهند قد بيّنها بدقة ولو بإيجاز فهذا الباب من تاريخ بني العباس في الهند رهين لتاريخ خليفة بن الخياط لأنه لم يذكر في كتاب مؤرخ آخر.

وقد ألّف هؤلاء المؤرخون المعاصرون الثلاثة كتبهم في زمن كانت حكومة العباسيين قائمة في الهند وقد توفر لهم مَنْ شهد هذه الأحداث ولكنهم بالرغم من ذلك لم يفصّلوا فتوح العباسيين في الهند، الأمر الذي كان يرغب فيه مؤرخونا في ذلك العهد وكانت أقلامهم تجود في هذا الموضوع.

إنّ مَنْ عاصرهم من المؤرخين الأخر ربما فصّلوا ذكر الهند في عهد العباسيين ولكن كتبهم لا تتوفر الآن مثل محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ) صاحب كتاب "فتوح بلاد الهند" وأبي الحسن علي بن المدائني (ت225هـ) صاحب "كتاب ثغر الهند" و"كتاب عمّال الهند" و"كتاب فتح مكران". كانت مؤلفات الواقدي والمدائني هذه تختص بذكر الهند وفتوحها فيرجى تفصيل أكثر لأمراء العهد العباسي وعمّاله وغزواتهم وفتوحهم ولكن من الأسف أنّ هذه الذخيرة الثمينة لا تتوفر لنا وأما ما نقله المتأخرون منها فليس قدره بملموس.

ومن العجب أنّ الرحّالة وكتّاب الجغرافيا لم يسهبوا في ذكر فتوح الهند زمن العباسيين فقلّلوا ذكرها ومن قام بها فقد كان سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي وابن خردازبة واليعقوبي وابن فقيه الهمداني والأصطخري من المعاصرين لهؤلاء المؤرخين ولكنهم لم يتحوّلوا عن مسير معاصريهم من المؤرخين إلا أنّ أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت250هـ) وفّر معلومات نادرة عن الهند وأهلها في كتبه ورسائله من مثل "كتاب الحيوان" و"البيان والتبيين" و"التبصرة" ولكنه كان أديبًا متفلسفًا وحاملَ لواء فكرة خاصة فما وفّره لنا يملؤه الإنشاء والأدب.

ولا ننسى هنا أنّ الخلفاء العباسيين والبرامكة قد أثبتوا رغباتهم في علوم الهند

وفنونها من الفلسفة والنجوم والحساب والطب فدعوا حكماء وأطباء الهند إلى بغداد وأمروا بترجمة كتبهم إلى العربية ووضعوها في "بيت الحكمة" ولذا فقد اهتمّ رجال هذه الطبقة بالهند كثيرًا وبيّنوا أخبار حكمائها وفلاسفتها بجانب تفصيل علومها وفنونها ولنا أمثلة لا تحصى في مؤلفات ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة ولكن لا نجد شيئًا عن الهند التابعة للخلافة العباسية لا عن أنشطتها العلمية والفنية ولا عن علمائها وحكمائها فجزى الله محدّثينا وكتّاب الطبقات والرجال على أنهم ذكروا في كتبهم محدّثي العهد العباسي ورواته وفقهائه وعلمائه وقضاته وعبّاده وحكمائه ومتكلّميه وشعرائه وأدبائه ومن سواهم من أهل العلم والفن، وتوفّر لنا تراجمهم قدرًا ملموسًا عن مسلمي الهند. ولعل السبب الرئيسي في غفلة عامة المؤرخين عن تفصيل ذكر العباسيين في الهند أنّ المسلمين قد توطّنوا الهند قبل العهد العباسي بمئة سنة أو أكثر وكانوا يتمتعون بكل حق وطني وقومي وحضاري واجتماعي واقتصادي يتمّتع به أيّ مسلم في الدولة الإسلامية فقد تفسّح لهم حياتهم الفردية والاجتماعية وكانت لهم نظم دولة وكانوا ناجحين فيها. وفي هذه الحالة فاجأهم العهد العباسي بينما كان مسلموا الهند يقضون حياة منتظمة وموحّدة وكانت لهم درجة مكرمة كأحد مواطني العالم الإسلامي فتحويل الحكومة لم يغيّر شيئًا في حياتهم ولم ينفخ روحًا جديدة فيها ولم يأت بنظام جديد ولم يحدث تغييرًا في أعمالهم وعقائدهم وأفكارهم إلا أنّ ما أحدثه من سعة مدنية واقتصادية واجتماعية قد تركت أثرها هنا كذلك فإن قمنا بزيارة المكتبات ودقّقنا عن أنشطة الخلفاء العباسيين وأمرائهم هنا لظفرنا بما يكفينا من معلومات مفيدة عن الهند وأهاليها.

وبالرغم من ذلك فلم يتمتع هذا العهد كثيرًا من خير وبركة الخلافة الراشدة ولم يوجد فيه من عصبية وحمية دينية وقومية للخلافة الأموية فلم يسبق

الخلفاء العباسييون أقرانهم من الأمويين في الفتوح وتبليغ الدين بل لم يضاهيهم فيهما ولقد كتبنا في "خلافت أمويه اور هندوستان" (الهند والعرب في العهد الأموي) عن فتوح الأمويين: إنّ الفتوح قد توقّفت إلى هذا الحد في العهد العباسي بل قد سلب العباسيون ما فتحه الأمويون من الدول وأثاروا النزاعات التي اشتغلوا في كبحها ثم فترت عزيمتهم تلك وأصبح أمراؤهم أو العمّال التابعون لهم حكماء مستقلين بأمرهم فما فتح العباسيون دولة جديدة في الهند ولا أضافوا شيئًا إلى الدولة الإسلامية بل اكتفوا بالحكم في الدول والبلاد التي فتحها الأمويون.

الخلافة العباسية والهند

لقد أجبر الخلفاء العباسيّون في البداية على مواجهة قوتين في السند ولكنهم هزموهما. إحدى هاتين القوتين كانت قوة منصور بن جمهور الكلبي الذي قتل آخر أمراء بني أمية زيد بن عرار في 130هـ واستقلّ بالحكم وسيطر على السند ومكران كليهما والأخرى كانت للمنذر بن الزبير الهباري الذي رافق الأمير الأموي الحكم بن أبي عوانة الكلبي إلى السند. فقد ذهب إلى قرقيسيا في بداية العهد العباسي وخرج على الخليفة أبي العباس السفاح ولكن أمراء العهد العباسي هزموهما فبرز هنا أميران وهما مفلس بن سري العبدي التميمي وموسى بن كعب التميمي في زمن الخليفة أبي العباس السفاح (13/ربيع الأول 132هـ12/ ذي الحجة 136هـ) وكلاهما قاتل ضد منصور بن جمهور الكلبي فقتل الأمير الأول بينما هزمه الأمير الثاني.

ورود مفلس بن سري العبدي وهزيمته أمام منصور بن جمهور: ورد الهندَ الحاكم العباسي الأوّل مفلس بن سري العبدي في 132هـ. كان مفلس من بني تميم لسجستان فقال البلاذري: ولّى أبو مسلم الخراساني مفلس العبدي على ثغر الهند في بداية الخلافة العباسية" وقال اليعقوبي: لما ظهر أبو مسلم في خراسان تمامًا أرسل مفلس العبدي من عرب سجستان إلى السند" بينما صرّح خليفة بن الخياط على العكس من المؤرخين بأنّ مفلسًا قد أرسله الخليفة أبو العباس نفسه" وعلى كل حال فقد ورد مفلس السند عن طريق طخارستان بينما سبقه رجال الخلافة العباسية في ورودها وقتلوا منظور بن جمهور أخي منصور بن جمهور لما بلغهم خبر ورود مفلس فيقول اليعقوبي:

"فلما أظلهم وثب أصحاب منظور أخي منصور بن جمهور فقتلوه وكتبوا إلى

مفلس فأتاهم فلقيه منصور بن جمهور فقاتله فهزمه وأسر مفلس فأتى به منصور فقتله وقتل أكثر قتلة أخيه".[1]

ولقد فصّل هذه الحادثة محمد بن حبيب البغدادي في كتابه "أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام" بأنّ منصور بن جمهور استولى على السند وولّى عليها أخاه منظور بن جمهور وأشركه في الأمر رجلًا من اليمنيين بالشام يسمّى رفاعة بن ثابت بن تميم وبعد مدة قليلة غلبه رفاعة بن ثابت في الحكم وكان يحضر جلسات منظور. وفي غضون ذلك سخّر أبو مسلم خراسان لبني العباس فولّى السند رجلًا من بكر بن وائل يسمّى مفلسًا فلما دنا من السند وبلغ وروده رفاعة بن ثابت احتال لقتل منظور وذلك أنّ رفاعة ومنظور ومولاه كانوا يسمرون ذات ليلة فلما مضى شطر من الليل نام منظور وغلامه فرجع رفاعة إلى داره وأخذ السيف. وركب الفرس إلى دار الإمارة حيث كانا نائمين ونقّب في جدار السور الذي كان يتدرج من خلاله السلم إلى السقف حيث كان منظور ومولاه نائمين فبادر رفاعة بقتل منظور وحاول قتل رقيقه فاستيقظ وظن أنّ سيّده منظور يريد قتله وقال: منظور! تشركني في سمار شطر من الليل ثم تحاول قتلي في شطره الآخر؟ فأمسك رفاعة يده وقال للمولى: افعل ما آمرك وإلا قتلتك، فقال: مرني ما شئت، فقال: ناد رئيس الحرس باسم منظور. فخرج المولى من الحجرة ونادى وقال يدعوك الأمير فصعد رئيس الحرس لفوره وقتله كلّ من رفاعة والمولى ثم قتلا أشراف وأعيان ورجال دار الإمارة وكانوا ثمانية.

هجا شاعرٌ رفاعة على غدره ونشره الفسادَ فقال:

يا رفاع بن ثابت بن نعيم ما جزيت الإحسان بالإحسان
ولقد أتلفت يمينك خرقًا أريحيًا وفارس الفرسان

---

[1] تاريخ اليعقوبي، 407/2

فأدال المليك منك فقد أصـ ـبحتَ في كفّ ثائرٍ حرّان[1]

ثم أسر منصور رفاعة بن ثابت وقتله. وكتب الطبري في وقائع 127هـ أنّ ثابت بن نعيم خرج ضد الخليفة الأموي مروان بن محمد بن الحكم بمعونة من الفلسطينيين وحاصر طبرية وقاتل ضد جيش الخلافة ولكنه انهزم والتجأ إلى فلسطين ولما حارب المرة الثانية اختبأ ثابت بن نعيم ذاته في مكان كما اختفى ولده رفاعة بن ثابت بن نعيم وأما أولاده الثلاثة الباقية فقد تم أسرهم. كان رفاعة بن ثابت شر إخوته فهرب بطريقة ما وبلغ منصور بن جمهور الكلبي في السند فاستقبله منصور استقبالًا حارًا وولّاه المنصورة مع أخيه منظور بن جمهور كما جعله نائبًا له. وسنحت الفرصة لرفاعة فاغتال أخاه منظور فلما بلغ الخبر منصورًا وكان متجهًا إلى ملتان رجع وأسر رفاعة وأمر ببناء منارة من آجرّ كانت فارغة من داخلها فوضع رفاعة في داخلها وطوى المنارة عليه.[2]

ورد رفاعة السند في العصر الأموي قانطًا من الحكم فالتجأ إلى قوة مضادة للأمويين وأعطوه الحكم ولكن رفاعة جعل يكيد للخلافة العباسية فأعانه أبو مسلم الخراساني وبواسطته همّ بالسيطرة على السند فكان مفلس بن سري ورفاعة بن ثابت يكاتبان سرًا ولما بلغ مفلس السند بجيشه ولعلهما اتفقا على اغتنام ذهاب منصور في مهمة واغتيال منظور ودعوة مفلس بن سري، فقد أدّى رفاعة ما وعد في 132هـ ولكن مفلس لم يفلح في نيته وقاتل ضد منصور لسنتين حتى انهزم في 134هـ.

وهكذا أخبر رفاعة وأصحابه مفلسًا بقتل منظور وتوجّه منصور إلى ملتان فأقبل مفلس إلى المنصورة بينما بلغ خبر مقتل منظور منصورًا حينما كان متوجهًا نحو ملتان فرجع بجيشه وقاتل مفلسًا قبل أن يدخل مفلس المنصورة

---

[1] أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، ص 185

[2] تاريخ الطبري، 314/8 وبما أنّ رفاعة ورد السند في 127هـ خلال حكم الأمويين فقد ذكرناه في هذا العصر في كتابينا "العقد الثمين" و"الهند والعرب في في العهد الأموي".

فأسره وقتله كما قتل معظم جنوده وأما من ساهم في قتل أخيه والمؤامرة له فقتل معظمهم. أصبح معظم جنود مفلس ضحايا هذه الحرب في 134هـ.

ولقد أوجز خليفة بن الخياط هذه القصة فقال:

"بعث أبو العباس رجلًا من بني تميم يقال له مفلس إلى السند فأخذه منصور بن جمهور أسيرًا وقتل عامة أصحابه".[1]

وقال البلاذري:

"فلما كان أول الدولة المباركة ولّى أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم مفلسًا العبدي ثغر الهند وأخذ على طخارستان وسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي، وهو بالسند فلقيه منصور فقتله وهزم جنده".[2]

ويخالفهما أبو حنيفة الدينوري فقال إنّ أبا مسلم الخراساني أمّر مفلسًا على طخارستان فلما بلغ الخبر منصورًا خرج ليقاتله فتقاتل الجيشان وهزم مفلس منصورًا الذي هرب مع أخيه إلى الصحراء. مات الكل في الطريق لشدة الظمأ وأما مفلس فقد أقام بالسند.[3]

ففي هذا البيان اختلطت واقعة مفلس العبدي بواقعة موسى بن كعب فالحادثة الأخيرة تتعلق بما وقع من القتال بين موسى بن كعب ومنصور بن جمهور.

ولقد قضى مفلس فترة إمارته الممتدة لسنتين في القتال ضد منصور ولقد كان من أكبر مآثر أمير ذلك الوقت أن يقضي على حكم منصور في السند وأن يؤسّس الحكومة العباسية بها فلقد حاول مفلس لذلك إلا أنه ضحّى بنفسه وبأنفاس الآخرين من أصحابه.

ورود موسى بن كعب التميمي والقضاء على منصور بن جمهور: ولما قتل

---

[1] تاريخ خليفة، 636/4

[2] فتوح البلدان، ص 431

[3] الأخبار الطوال، ص 357

مفلس بن سري العبدي في 134هـ أمّر موسى بن كعب على السند. صرّح خليفة واليعقوبي والطبري وابن الأثير وابن كثير بأنّ الخليفة أبا العباس أرسل موسى بن كعب ليقاتل منصور بن جمهور ولكن البلاذري قال إنّ أبا مسلم الخراساني لما بلغه قتل مفلس أرسل موسى بن كعب. ولما بلغ الخليفة أبا العباس أنّ مفلسًا قُتِلَ بعث مسؤول حرسه موسى بن كعب المروزي إلى السند كما أمر بمرافقته ثلاثة آلاف من عرب البصرة والموالي العجم وألف جندي من بني تميم. كان موسى مسؤولًا عن حرس الخليفة فأقام مقامه مسيب بن زبير وأقبل نحو السند فأقام بقندابيل التي كانت على بعد ثماني مراحل من المنصورة دار الإمارة لمنصور. وكان نهر السند يحول بينهما فأقام بالسند لأيام، ودرس الأوضاع ثم راسل أصحاب وأعوان منصور وهكذا مهّد له الجوّ ثم أمال إليه ثمانية آلاف سندي وتقدّم نحو المنصورة باثني عشر ألف جندي فلما بلغ الخبر منصور بن جمهور قابله بثلاثة آلاف جندي فهزم موسى منصوراً فهرب منصور بما بقي له من الجنود إلى الصحراء ولكنه مات في الطريق لشدة الظمأ وقيل أنه أصابه الإسهال بعد الهزيمة فمات فيه. ولقد ذكر تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير ومرآة الجنان والبداية والنهاية أنّ موسى بن كعب كان له اثنا عشر ألف جندي بينما كان لمنصور ثلاثة آلاف جندي ولكن اليعقوبي ذكر جنود موسى بن كعب عشرين ألفًا وهذا يعني أنّ جنود السند كانوا 16 ألفًا بجانب أربعة آلاف جندي من العراق. وقع هذا القتال في قندابيل البعيدة من المنصورة فلما بلغ خبر الهزيمة المنصورة هرب نائب منصور بن جمهور بأمواله وأولاده إلى بلاد الخزر.[1]

حكم منصور السند حوالي ست سنوات وقضي عليه في 28/ رمضان 136هـ واستولى على السند العباسيّون فيقول خليفة:

[1] تاريخ اليعقوبي، 429/2، تاريخ الطبري، 272/7، كامل ابن الأثير، 170/5، مرآة الجنان، ص 281، البداية والنهاية، 570/10، تاريخ ابن خلدون، 179/3

"وفيها (136هـ) قتل موسى بن كعب منصور بن جمهور بقندابيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان".[1]

وأما قول البلاذري أنّ موسى بن كعب قتل منظور بن جمهور أخي منصور بن جمهور فهو مخالف لعامة المؤرخين،[2] والواقع أنه قتل بيدي رفاعة بن ثابت حين ورود مفلس السندَ.

ولقد سيطرت الدولة العباسية على السند قبل موت الخليفة أبي العباس بشهرين وربع إلا أنّ خبرها بلغ بغداد بعد هذه الفترة فغمر الناس السرور، وقد ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" عبارة ممتعة حيث يقول عيسى بن علي بأنه حضر إلى الخليفة أبي العباس يوم عرفة (9/ ذو الحجة 136هـ) وكان الخليفة صائمًا فقال له امكث معي النهار كله وأمتعني بكلامك المطرف فبدأ الحديث حتى طال به الوقت وجعل الخليفة يغلبه النوم فقام من عنده قائلًا سأرجع إليك بعد القيلولة في حجرتي فلما رجع إلى الخليفة وجد رجلًا يبشّر بفتح السند:

"فإذا على بابه بشير يبشّر بفتح السند وبيعتهم للخليفة وتسليم الأمور إلى نوابه". فشكرت الله على أني أدخل إلى الخليفة ببشارة فتح السند فلما دخلت وجدت رجلًا آخر يبشّره بفتح إفريقية.[3]

وبعد هذا بثلاثة أيام توفي الخليفة في 12/ ذي الحجة 136هـ. وكان عندما وصل خبر فتح السند إليه غلبه وضع يملؤه السرور والهمّ فقد نقل اليعقوبي من هذا الراوي أنّ أبا العباس بلغه رسولان وهو في شدة مرضه: رسول من السند وآخر من إفريقية فلما أخبروه بوصولهما قال: سأموت بعد ثلاثة أيام فدعا له عيسى بن علي بطول العمر ثم نقل أبو العباس من سنده قولًا لعليّ

[1] تاريخ خليفة، 639/4

[2] فتوح البلدان، ص 431

[3] البداية والنهاية، 60/10

رضي الله عنه ثم قال: سيأتي مدينتي رسولان في يوم واحد أحدهما من السند والآخر من إفريقية ولكني أكون تحت كومة من الطين في اليوم الثالث ويرثني الخلافة غيري.[1]

ترميم المنصورة وتوسيع مسجدها الجامع والفتوح الأخرى: أمر موسى بن كعب على السند من 134هـ حتى 136هـ. وقد صاحبه ولده عيينة وثلاثة آلاف رجل من قبيلة بني تميم عامة وخاصة، ومن مآثره الكبرى أنه قضى على حكومة ذاتية امتدّت لست سنوات وجاءت الدولة تحت سيطرة الخلافة العباسية. وقد قضى مدة سنتين من إمارته في استئصال حكومة منصور بن جمهور فلم يجد الفرصة الكافية للعمل والخدمة ولم يقم بها سوى أشهر إلا أنه قام بأشغال حربية ورفاهية فقال البلاذري عنه:

"وولّي موسى السند فرمّ المنصورة وزاد في مسجدها وغزا وافتتح".

وقد دمّرت المنصورة بسبب النزاع بين الأمراء العباسيين ومنصور بن جمهور وبما أنّ عمرانها قد زاد فقام موسى بن كعب بترميمها حينما اطمأن ووسّع في مسجد الأمويين كما قام بالغزوات والفتوحات ولكننا لم نجد التفاصيل عنها وقد رافقه في هذه كلها ولده عيينة فجعله وليّ عهده في بداية خلافة أبي جعفر المنصور وعاد إلى العراق.

ثورة المنذر بن الزبير الهباري في قرقيسيا وخموده: الفتنة الأخرى بالنسبة للسند والتي واجهها الخليفة العباسي أبو العباس هي عدوان المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار بن أسود الهباري القرشي الذي خرج من السند وثار في الجزيرة وفي قرقيسيا من الشام. كان المنذر جدّ عمر بن عبد العزيز الهباري الذي استقلّ بالحكم في السند بعد قتل الخليفة المتوكل. وقد جاء المنذر بن الزبير بالمرافقة مع الحكم بن عوانة الكلبي في عهد هشام بن عبد

---

[1] تاريخ اليعقوبي، 101/2

الملك واستوطن السند كما قال البلاذري.[1] وقال الأصطخري إنّ أسرته استوطنت في بانية موضع عادي من السند.[2]

وبعدما قضى المنذر أكثر من 25 سنة ثار على الخليفة العباسي أبي العباس في قرقيسيا في 132هـ وقال ابن حزم وابن خلدون: "المنذر بن الزبير قد قام بقرقيسيا أيام السفاح فأسر وصلب".[3]

ولقد كتب ابن الأثير أنّ أهل الجزيرة خرجوا في 134هـ وتجمّعوا ضد الخليفة أبي العباس السفاح في حران كما وقعت الثورة في قرقيسيا والرقة وأرها ودار وماردين فبعث أبو العباس أخاه أبا جعفر المنصور بحشد كبير إلى قرقيسيا والرقة فبعد عقابهم عادت أوضاع الجزيرة والشام إلى طبيعتها وحكم أبو جعفر المنصور الجزيرة وأرمينية وآذربيجان حتى 136هـ.[4]

وقد ساهم في ثورة قرقيسيا المنذر بن الزبير وقاتل الخليفة العباسي جهراً فأسر وقتل ولو أنّ المنذر بن الزبير لم ينجح في قرقيسيا ولكن حفيده عمر بن عبد العزيز نجح في السند فأقام الحكومة الهبارية بالمنصورة.

ورود الخوارج في السند وقتل سليمان بن هشام: وفي نهاية العهد الأموي جعل معارضو بني أمية السند مركزًا لهم فأقام منصور بن جمهور وأخوه منظور حكومتهما وجعلا ملجأ للخوارج على بني أمية فكانوا يقضون حياتهم هنا بدون خوف ولا خطر وفي هذا العصر خرج المعارضون على الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد بكل شدة وقد أعانهم فيها جماعة من قريش وكان معهم سليمان بن هشام بن عبد الملك. كان الخوارج يقودهم الضحاك بن قيس الشيباني الخيبري وشيبان بن عبد العزيز الحروري. وقد قتل شيبان

---

[1] فتوح البلدان، ص 432

[2] مسالك الممالك، ص 175-176

[3] جمهرة أنساب العرب، ص 118 وتاريخ ابن خلدون، 678/2

[4] تاريخ الكامل، 163/5، تاريخ اليعقوبي، 388/2

بن عبد العزيز الحروري في حرب الأهواز في 130هـ ثم جاء سليمان بأعوانه إلى السند التي كان يحكمها منصور بن جمهور فعاش بها سليمان آمنًا بدون خوف ثم جاء الخليفة العباسي الأول أبا العباس فأمّنه الخليفة وأسكنه بجواره فقال شاعر البلاط سديف للخليفة:

لا يغرنك ما ترى من رجال إنّ تحت الضلوع داء دويًا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر الخليفة بقتل سليمان بن هشام.[1]

قال اليعقوبي إنّ سليمان بن هشام طلب الأمان من الخليفة أبي العباس ورجع إليه من السند فأكرمه وأولاده وكان يكرمهم كثيرًا في مجلسه. وذات يوم جاءه أبو الجهم في هيئة بدوي فأنشد له من الأبيات حرّض فيها على قتل بني أمية فقام سليمان من مجلس الخليفة قائلًا: يا أمير المؤمنين! إنّ خادمك هذا يحرّضك على قتلي وقتل أولادي فأخاف أن تقتلوني فردّ عليه أبو العباس: لو وددت قتلكم فمن يمسك بيدي؟ وإذا خطر ببالك هذا فلا أرى فيك خيرًا ثم قال لأبي الجهم: خذه وأولاده وأتني برؤوسهم، وحدث كما أمر.[2]

إمارة عيينة بن موسى: لما قضى موسى بن كعب التميمي على منصور بن جمهور وجعل السند كلها تحت سيطرة الخلافة العباسية ثم رمّم دار الإمارة المنصورة ووسّع في مسجدها الجامع وقام بالغزوات والفتوحات وقد ساعده في هذا كله ولده عيينة وقام بأداء كافة المهام بكل نشاط وشعور بالمسؤولية حتى توفي الخليفة أبو العباس في ذي الحجة 136هـ واستخلف على المسلمين أبو جعفر المنصور فجعل موسى ولده أميرًا على السند راجعًا إلى العراق كما وافق أبو جعفر المنصور على قراره هذا ثم توفي موسى في العراق في 141هـ.

---

[1] تاريخ الطبري، 351/7 وتاريخ ابن خلدون، 186/2، والبداية النهاية، 280/10، ومعارف ابن فقيه، ص 168

[2] تاريخ اليعقوبي، 100/3

الثورة القبلية والعسكرية: قد رافق موسى بن كعب إلى السند ثلاثة آلاف جندي من البصرة وألف جندي من قبيلة بني تميم وزِدْ على ذلك الجنود المحليين فلما ابتدأت إمارة عيينة تظاهر بنو ربيعة من اليمن خلافه وكسروا أقفال بيت المال وسرقوا ونهبوا الأموال وأثاروا فتنة نكراء فاستخدم عيينة القوة لإخمادها وقتل معظم الثوّار. بلغنا في هذا الشأن روايتان إحداهما ما يرويها المؤرخ اليعقوبي:

"وكان موسى بن كعب التيمي لما انصرف عن بلاد السند خلّف ابنه عيينة بن موسى نخالف عليه قوم ممن كان معه من ربيعة اليمن فقتل عامتهم وأظهروا المعصية".[1]

يبدو من هذا أنّ الخروج كان نتيجة العصبية القبلية والنزاع بين اليمانية والنزارية، والذي سبّب الفتنة بشأن إمارة عيينة بن موسى فلما جعل أميرًا خالفه ربيعة اليمن فتم إخماد هذه الثورة بشكل مؤقّت ولكنها تركت أثرها خارج الحدود إلى سجستان وغيرها فانتقم اليمانيون من عيينة.

والرواية الأخرى جاءت في العقد الفريد وهي أنّ عيينة أخبر بهذه الثورة أبا جعفر المنصور فقرّره أبو جعفر مسؤولًا عنها:

"أبو جعفر وقّع في كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أنّ جندًا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم: لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا".[2]

فيبدو من هذا أنّ هذه الثورة قد سبّبها عدم وفاء عيينة بالوعد وعدم التزامه بالعدل.

وقعت هذه الثورة في 136هـ أو بعدها بقليل إلا أنها قد خمدت لفترة قليلة وبقي عيينة أميرًا على السند يؤدّي مهامه.

---

[1] المصدر نفسه، 447/2

[2] العقد الفريد، 212/4

الخروج على خلافة عيينة بن موسى: بقي عيينة يحكم السند لحوالي أربع سنوات بكل نشاط ومسؤولية ولم يرتكب خطأً في هذه الفترة وبقي يؤدّي خدمته بكل أمانة وبأحسن طريق ما دام موسى حيًا في العراق ولكن لما توفي أبوه اختار سبيل الخروج على الحكومة بعد موته بسنتين أي في 142هـ. والمعلوم أنّ موسى قد جعل المسيب بن الزبير مسؤولًا لحرسه بعدما تولّى إمارة السند فلما توفي موسى بعث إلى عيينة رسالة وحرّضه فيها على الخروج فكتب الطبري وابن خلدون وابن الأثير أنّ السبب في خروج عيينة بن موسى عامل السند هو أنّ موسى بن كعب جعل المسيب بن الزبير مسؤولًا عن حرس الخليفة أبي العباس بدلًا من حرسه ولما توفي موسى في 141هـ خاف المسيب أن يجعل الخليفة عيينة على منصب أبيه فأحرم من ذلك فكتب إلى عيينة رسالة دون ذكر اسمه كتب فيها الشعر التالي:

فأرضك أرضك إن تأتنا   تنم نومة ليس فيها حلم

وقد ذكر ابن خلدون محتوى هذه الرسالة كما يلي: "فحذّره المنصور وحرّضه على الخلاف".

فلما بلغ عيينة هذه الرسالة خرج على الخليفة وأعلن عن حكومته المستقلة قاطعًا علاقته بدار الخلافة العباسية بغداد.[1]

كانت هذه أول مرة خرج فيها أمير عباسي على خليفته وحاول أن يقيم حكومته المستقلة ولم تمض إلا ست سنوات إذ عاد إلى السند دور منصور بن جمهور الكلبي ولكن تم القضاء على ذلك في مدة قليلة حتى 142هـ.

وفرة الأموال لدى عيينة: لما خرج عيينة على الخليفة أخذ كافة أموال بيت المال وهكذا فقد جمع له أموالًا هائلة في مدة حكمه لسنة. ويمكن تقدير هذه

---

[1] تاريخ الطبري، 351/7، وتاريخ ابن خلدون، 166/3، والبداية النهاية، 28/10، ومعارف، ص 160

الثروة من أنّ الخليفة أبا جعفر المنصور أخذ عشرة آلاف درهم من مولًى ولما سأله المولى عن السبب في أخذ الأموال منه قال:

"بلى، تزوّجت مولاة لعيينة بن موسى بن كعب فورثتك مالًا، وكان ذلك قد عصى وأخذ مالي وهو والٍ على السند فهذا المال من ذلك المال".[1]

وهذا يعني أنّ عيينة جمع أموالًا كثيرة ولم يبعث منها شيئًا إلى دار الخلافة.

ورود عمر بن حفص هزارمرد المهلبي والقضاء على الثورة: في 141هـ خرج عيينة على الخليفة وفي 142هـ ولّي عمر بن حفص هزارمرد المهلبي على السند فقضى على الثورة. ذكر اليعقوبي: في 142هـ خرج أبو جعفر المنصور من بغداد إلى البصرة ليحج بيت الله ولما بلغ الجسر الكبير أخبر بأنّ أهالي اليمن خرجوا على الخليفة وأنّ عاملها عبد الله بن الربيع فرّ لأنه لم يقدر على مواجهتهم وكذا أخبر بأنّ عيينة بن موسى عامل السند قد خرج فبعث أبو جعفر المنصور معن بن زائدة الشيباني إلى اليمن وعمر بن حفص بن عثمان بن مهلب بن أبي صفرة إلى السند وأما هو فقد رجع إلى بغداد ففي السند قد ولّى موسى بن كعب ولده عيينة عليها وقد أيّده بنو ربيعة اليمن مع بني تميم إلى أنّ ربيعة اليمن قد ظاهروا ضده فقتل معظمهم ثم استقل بالحكم على السند وأعلن عن قطع علاقته مع العاصمة فبعث أبو جعفر المنصور عمر بن حفص هزارمرد وكان معه رجل ماكر يسمّى عقبة بن مسلم فلما بلغ عمر السند أراد أن يدخل المنصورة فصدّ عيينة السبيل فأقام عمر بالديبل ثم أعدّ العدة وقاتل ضد عيينة فلما رأى أصحاب عيينة قوة عمر طلبوا الأمان من عمر وحازوا إليه خاذلين عيينة في ساحة القتال فلما رأى عيينة الوضع أرسل الرسول للصلح فصالح معه عمر وأسر عيينة وبعثه بأصحابه إلى أبي جعفر المنصور ثم سيطر على المنصورة وأقام بها.

وأما عيينة ففرّ من حرس الخلافة إلى سجستان فلما دنا من رنج قتله جماعة من

[1] تاريخ الطبري، 76/8

اليمانيين بها وقدّموا رأسه إلى الخليفة علماً بأنّ عيينة قتل عدداً كبيراً من ربيعة اليمن لخلافهم السياسي معه فانتقم يمانية رنج من قتل إخوانهم وقتلوا عيينة.[1]

كتب خليفة بن الخياط أنّ موسى بن كعب جعل ولده عيينة نائبًا له في السند وتوجّه نحو العراق حتى ولّي عليها عمر بن حفص هزارمرد في 143هـ فأنكر عيينة أن يسلمه الإمارة وعزم على القتال فحاصر عمر المنصورة لأحد عشر شهراً فصالحه عيينة على أن يخرج منها آمناً فقبل عمر صلحه ثم سيطر عمر على السند كلها.[2]

وقد ذكر ابن حزم اسم عيينة عتبة فجاء في جمهرة أنساب العرب "وثار ابنه عتبة بالسند فقتل".[3] لم يذكر البلاذري عيينة بن موسى وإمارة عمر بن حفص بهذه المناسبة بل ذكرها بعد إمارة هشام بن عمرو التغلبي ولقد ذكر عامة المؤرخين ولاية عمر بن حفص في 142هـ بينما ذكرها الخليفة في 143هـ.

وقد مكث عمر بن حفص بالسند لسنتين فيذكر اليعقوبي: "وأقام عمر بن حفص بالسند سنتين".

ومن هذه المدة مرّ أحد عشر شهراً في محاصرة المنصورة ولا نجد له مأثرة تذكر بل إنه أيّد الحكم العلوي بدلًا من الخلافة العباسية مع أنه كانت له درجة ممتازة بين الأمراء والقوّاد العباسيين وكان من أخص من يوثق بهم من حواشي الخلفاء العباسيين ولكنه كان يكمن في صدره تأييد الدعاة العلويين وتبليغ دعوتهم فقام بأعمال جليلة لهم في السند.

رجوع عقبة بن الأزدي من السند إلى بغداد ومؤامرته لأبي جعفر المنصور:

كان عمر بن حفص المهلبي من بني أزد وكان عقبة بن مسلم الأزدي عضداً

[1] تاريخ اليعقوبي، 2/447-448

[2] تاريخ خليفة، 2/477

[3] جمهرة أنساب العرب، ص 380

له ومستشارًا. ولما خمدت ثورة عيينة بن موسى أرسل عمر بن حفص عقبة في وفد فأكرمه المنصور وسأل عنه فقال إني وفيّ أمير المؤمنين وخادمه وأصاحب عمر بن حفص ثم سمّى نفسه ثم سأل المنصور عن فرع ينتمي إليه فقال بنو هناءة من بني أزد فأثنى المنصور على موهبته. إني أطلب منك إنجاز عمل فإن قمت به فسأعلي لك قدرًا فردّ عليه عقبة بالإيجاب فقال له المنصور: ارجع اليوم من هنا ولا تقل عن نفسك شيئًا وجئني في اليوم الفلان والوقت الفلان فبلغه عقبة في الميعاد فقال له المنصور: أبناء عمي يعني العلويين يرغبون في القضاء على حكومتي ولهم أعيان وأنصار في القرية الفلانة من خراسان وهم يكاتبونهم فاذهب إلى الدعاة العلويين سرًا واكتب رسالة من قبل متبعي عبد الله بن حسن بن حسن بن علي إليه ففعل عقبة فقال له عبد الله إني لا أعرفهم ولكن عقبة لم يتركه وجعل يوطّن نفسه بكلامه المعسول وبقي يخبره عن إخلاصه حتى أخذ عبد الله رسالته وهديته، وأكرمه ثم طلب منه عقبة الردّ فقال له عبد الله إني لا أكتب رسالة إلى أحد. إنك رسالتي إليهم فبلّغ إليهم سلامي وقل لهم إنّ ابنيّ محمدًا وإبراهيم يخرجان في الوقت الفلان ثم جاء عقبة إلى المنصور وقصّ له ما حدث، وهذا من عجيب الفطرة أنّ نزاعًا وقع بين عقبة بن مسلم وأبي جعفر المنصور وقت خروج عبد الله بن حسن فسجنه المنصور.[1]

ورود محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم بن عبد الله بن حسن إلى السند:

في عام 144هـ حجّ أبو جعفر المنصور بيت الله فمن جاء للقائه من الأعيان والأشراف غاب عنهم محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم بن عبد الله بن حسن فلقي المنصور في سبيله عبد الله بن حسن وسأله عن غيابهما فأجاب أنه لا يدري أين هما. والواقع أنّ محمد بن عبد الله بن حسن أراد أن يخرج

[1] تاريخ الطبري، 7/520-521

على الخليفة الأموي مروان فبايعه جماعة من الحجاز بمن فيهم أبو جعفر المنصور فلما جاءت الخلافة العباسية أوجس أبو جعفر في نفسه الخيفة بأن يقوم محمد وإبراهيم ضده كما فعلا في زمن مروان. وتحقق ما كان يظنه المنصور. وعلى كل حال فقد سجن المنصور عبد الله بن حسن فلما بلغ هذا الخبر ولديه هربا إلى الهند واختفيا لأيام. جاء في البداية والنهاية:

"فذهبا هربًا في البلاد الشاسعة فصارا إلى اليمن ثم سارا إلى الهند، فاختفيا بها فدلّ على مكانهما الحسن بن علي فهربا إلى موضع آخر".[1]

وكتب الطبري أنّ محمدًا وإبراهيم هربا إلى عدن خائفين من أبي جعفر المنصور ومن ثم إلى السند ثم ذهبا إلى الكوفة والمدينة وقال في موضع آخر إنه لما سجن أبو جعفر عبد الله بن حسن هرب محمد وإبراهيم إلى عدن خوفًا منه وبما أنهما لم يكونا آمنين بها فذهبا إلى السند عن طريق البحر ولما أخبر عمر بن حفص بورودهما فتوجّها نحو الكوفة منها.[2]

ولنعلم أنّ عمر بن حفص قد تبع أبا جعفر المنصور في مبايعة محمد بن عبد الله بن حسن في زمن الخليفة الأموي الأخير مروان وكان يؤيده، فقال ابن الأثير في موضع: "لأنه كان فيمن بايعه من قوّاد المنصور وكان يتشيّع".[3]

ولما بلغ محمد وإبراهيم من السند إلى العراق خرجا على الخلافة العباسية من حيث دخل إبراهيم البصرة سرًا بمرافقة عشرة رجال في ليلة الواحد من رمضان 144هـ فبايعه حوالي 4000 رجل فأرسل عمّاله بالأهواز وفارس وواسط فأرسل أبو جعفر لمواجهته 5000 جندي بقيادة عامر المسكي فتقاتل الجيشان مرارًا وفي النهاية قتل إبراهيم في 25/ ذي الحجة 144هـ وفي جانب آخر خرج أخوه محمد في المدينة وكان معه 250 رجلًا وكذا أرسل

---

[1] البداية والنهاية، 81/10

[2] تاريخ الطبري، 622/7

[3] تاريخ الكامل، 220/5

عمّاله لمكة واليمن والشام فأرسل المنصور عمّه عيسى بن موسى لمواجهته، وفي النهاية تمّ قتل محمد.

ورود عبد الله الأشتر بن محمد في السند وبيعة عمر بن حفص: لما خرج محمد بن عبد الله في المدينة أرسل ولده عبد الله الأشتر إلى البصرة حيث اشترى الجياد لكي يحتال بتجارتها فيلتقي عمر بن حفص في السند وقد بايع عمر بن حفص محمد بن عبد الله بن الحسن ومكر مكرًا ضد الخلافة الأموية وكان متشيعًا سرًا، فلقيه عبد الله الأشتر مع أصحابه بالسند وقد جاء عن طريق البحر فلما بلغ عبد الله عمر بن حفص بأصحابه وجياده فطلب الجياد فقال أحد أصحابه جئنا بكم بما هو أحسن من الجياد وبما هو خير لك في الدنيا والآخرة. فأوّلًا أمّنونا ثم اقبلوا دعوتنا وإلا فأخفوا ما نريد ولا تؤذونا لكي نرجع من بلادك فأمّن عمر بن حفص عبد الله الأشتر وأصحابه ولما علم أنّ محمد بن عبد الله قد أرسل ولده إليه وأقام حكومته بالمدينة فبايعه وأكرم أصحابه ثم دعا أعيانه وقوّاده وأفراد أسرته على بيعته بالمنصورة ثم أعدّ له راية بيضاء كما أعدّ له لباسًا أبيض لكي يلقي خطبة الجمعة في ذلك اللباس ولقد أتمّ هذا كله يوم الخميس. ومن الصدفة أنّ سفينة صغيرة بلغت المنصورة من العراق وقد أخبرته زوجة عمر عن طريق رسول أنّ محمد بن عبد الله بن الحسن قد قتل بالمدينة فبلّغ عمر بن حفص هذا الخبر عبد الله الأشتر وعزّاه.

لما بلغ عبد الله هذا الخبر قلق، وقال لعمر إنّ أمري قد ظهر، وإني مقتول فاحتل لي. فقال له عمر إني قد احتلت لك أمرًا أنّ بالسند حاكمًا هندوسيًا له قوة وشهرة وهو يكرّم الله ورسوله ﷺ ويفي بالوعد فأودّ أن أرسل من رجالي إليه وأعقد الميثاق بينه وبينك ثم أرسلك إليه فلن يجترأن أحد على أن يضرّ بك فقام عمر بن حفص بإتمام كافة المواعيد بينه وبين عبد الله فلما بلغ عبد الله الأشتر إلى ذلك الحاكم الهندوسي أكرمه ونعّمه ولما اطمأن

بدأ كافة الزيديين يجتمعون لديه حتى تجمّع له حوالي 400 عالم زيدي وجعل عبد الله الأشتر يخرج مع أصحابه للتنزه والصيد كمثل عادة الملوك.[1]

وما كتبه أبو الفرج الأصفهاني بهذا الصدد في "مقاتل الطالبين" لا يخلو من المتعة والفائدة، ولقد ضمنه أمور مهمّة عديدة. ويقول ابن سعده إننا قد ذهبنا إلى الكوفة بعبد الله الأشتر لما قتل والده محمد بن عبد الله بن الحسن، ثم توجّهنا نحو البصرة ومن ثم أقبلنا إلى السند، وقد نزلنا بخانة على بعد أيام من السند فكتب عبد الله الأشتر الأبيات التالية في هذه الخانة وكتب تحتها اسمه:

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبه أطراف مروٍ حداد

شرّده الخوف فأزرى به كذلك من يكره حرّ الجلاد

قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

ثم دخلنا المنصورة فلم نجد لنا ظهيرًا فتوجّهنا نحو قندهار فأنزلت عبد الله الأشتر بقلعة لم يمكن لنفس أن تدخلها بل لم يمكن لطائر أن يطير إليها وكان أهلها ذوي أخلاق عالية فإن أراد أحد أن يقبض على أرنب وإن أفلتت من يده الأرنب إلى دار أحد فقام صاحب الدار لمنعه عن أخذها قائلًا :

هل تقبض على جاري. وفي هذه الأيام خرجت لبعض الحاجة وكان يتبعني تجّار من العراق فقالوا لعبد الله الأشتر إنّ أهالي المنصورة قد بايعوك ثم لم يزالوا يتبعونه حتى ذهب عبد الله إلى المنصورة. وفي نفس الوقت كان رجل أخبر أبا جعفر المنصور أني رأيت كتابة تعني كذا وكذا حين الدخول في قلعة بالسند فصدّقها أبو جعفر.[2]

رسالة أبي جعفر المنصور وحيلة عمر بن حفص: في جانب نظّم عمر بن حفص ملجأ آمنًا منيعًا لعبد الله الأشتر وأصحابه وفي جانب آخر علم بها أبو

[1] المصدر نفسه، 220/5

[2] مقاتل الطالبين، ص 311-312

جعفر المنصور فكتب إلى عمر بن حفص أنه بلغه كيت وكيت فقلق بها عمر وظن أنه يعزله أبو جعفر المنصور لو اعترف بهذه كلها ويقتله لو ذهب للقائه لو لم يقم بهذين. فلما رأى خوف عمر وقلقه قال له أحد حواشيه: ضع كافة الجرائم عليّ، واقبض عليّ وأرسلني إلى الخليفة، إنه لا يضرّ بي شيئًا لأنّ لك قوة في السند وعزة في الكوفة. فقال له عمر إني أظنّ خلاف ما تظن، فقال الرجل إن قلت فأفديك بنفسي فقد قبض عمر على هذا الرجل مرائيًا أنه ألجأ عبد الله الأشتر وأصحابه وهو الذي أرسلهم إلى الحاكم الهندوسي، وأرسل إلى أبي جعفر أنّ الجاني مسجون لديّ، فكتب إليه أبو جعفر أن يرسله إليه فلما بلغه الرجل في 151هـ قتله الخليفة.[1]

وفي نفس الفترة قتل أبو جعفر رجلًا صالحًا من أولاد عثمان رضي الله عنه وأرسل رأسه إلى الهند وأظهر أنه رأس محمد بن عبد الله بن الحسن فكتب ابن قتيبة أنّ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان كان رجلًا وجيهًا للغاية وعلى هذا فقد لقّب بالديباج:

"وأخذه أبو جعفر مع الفاطميين ثم أمر به فضربت عنقه صبرًا، وبعث برأسه إلى الهند وأظهر أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن".[2]

إمارة جميل بن صخر المؤقّتة ورجوع عمر بن حفص إلى بغداد: ثم دعا أبو جعفر عمر بن حفص إلى بغداد فعيّن أخاه لأمه أميرًا مؤقّتًا ونائبًا له في السند وتوجّه نحو بغداد. يقول خليفة بن خياط:

"ثم كتب إليه جعفر يأمره بالشخوص فشخص واستخلف أخاه لأمه جميل بن صخر، ثم عزله وولّى هشام بن عمرو التغلبي".[3]

---

[1] تاريخ الكامل، 220/5-221، البداية والنهاية، 108/10

[2] كتاب المعارف، ص 86

[3] تاريخ خليفة، 676/2

وبعد عزله من هذا المنصب ذهب جميل بن صخر إلى إفريقية مع أخيه عمر بن حفص. ولما قتله الخوارج بها بقي جميل يقاتلهم نائبًا له. ومن مآثر عمر بن حفص إخماد ثورة عيينة بن موسى. وكذا لم يتعرض عمر لحاكم هندوسي كان مسيطرًا على ملتان، بل أيّد من كان يخالف الخلافة العباسية.

وفي 148هـ زمن إمارته جاء السند جماعة من الخوارج تحت قيادة حسان بن مخالد الهمداني. وقد ذكر ابن خلدون أنّ حسان بن مخالد بن مالك بن الأجدع الهمداني خرج في 148هـ في ضواحي الموصل التي كان يحكمها عصفر بن بجدة فواجه الخوارج فهزمهم وأوصلهم حتى دجلة ثم جاء حسان بن مخالد السند عن طريق البحر وكتب إلى خوارج عمان أن ينضمّوا إليه ولكنهم لم يرضوا عن المجيء إلى السند بل رجعوا إلى الموصل. يقول ابن خلدون:

"وركب إلى السند وكاتب الخوارج بعمان يدعوهم ويستأذنهم في اللحاق فأبوا وعادوا إلى الموصل".[1]

إمارة هشام بن عمرو التغلبي: لما وصل عمر بن حفص إلى العراق أرسله أبو جعفر المنصور واليًا على إفريقية وجعل هشام بن عمرو التغلبي أميرًا على السند، وذلك أنّ أبا جعفر المنصور قد قلق بما حدث في السند وكان يفكّر دائمًا في شؤونها، وذات مرة ركب فرسه وكان يريد موضعًا إذ مرّ عليه هشام بن عمرو التغلبي وجعل أبو جعفر المنصور ينظر إليه، الأمر الذي أيقنه أنّ أبا جعفر يكرم إليه فحضر إلى المنصور بعد فترة قصيرة وجعل يقول: وصلت إلى بيتي فرأيت أختي وجمالها وفهمها وعقلها وتدينها، فظننت أنها أليق بك. فقال له المنصور ارجع الآن ويبلغك أمري فيما بعد، ثم قال المنصور لحارسه ربيع: لو لم يقل جرير ما يلي لتزوّجت من هشام:

لا تطلبن خؤولة في تغلب   فالزنج أكرم منهم أخوالا

---

[1] تاريخ ابن خلدون، 168/3

فقل لهشام من قبلي إني لو احتجت إلى النكاح لقبلت طلبك، ثم قال لهشام إني أولّيك السند وآمرك أن تطلب من الحاكم الهندوسي الذي ألجأ عبد الله الأشتر أن يفوّضه إلينا فإن لم يذعن فلتقاتل ضده ثم جاء هشام بن عمرو السند ورافقه أخواه بسطام بن عمرو وسفيح بن عمرو وأدّوا خدمات جليلة في السند.

وفي هذه الفترة جعل الناس يخرجون على الخلافة العباسية وشجّع مؤامرة عبد الله الأشتر وعمر بن حفص أشرار الناس فغلب قنابيل وملتان المتغلّبة فحرّر هشام بعون من أخويه ما احتلّوه من البلاد بقوة عسكرية وأرسل الجيوش في أقاصي البلاد فأسروا وغنموا وأرسلوا إلى دار الخلافة قدرًا كبيرًا من الأموال والسبايا. لم يوفق العصر العباسي حتى الآن أميرًا أفضل منه، فأعادت مآثره ذكريات فاتحي ومجاهدي العصر الأموي وكأنّ عصر محمد بن القاسم الثقفي والحكم بن عوان الكلبي وجنيد بن عبد الرحمن المري قد عاد، ولا ننسى ما أدّاه هشام وأخواه من المآثر الجليلة والتي أعادت مجد العصر العباسي في هذه البلاد.

قتل عبد الله الأشتر وأصحابه: لما تولّى هشام بن عمرو التغلبي إمارة السند اشتغل بما فوّض إليه من المسؤوليات ولقد كان هشام يبغض أن يقبض على عبد الله الأشتر فيقتل وكان يظهر للناس أنه يكاتب إلى الحاكم الهندوسي وفي جانب آخر يصل إلى أبي جعفر المنصور أخبار كل ثانية ويجبر هشامًا على ما أمر، واتفق أنّ ثورة وقعت في موضع من السند في تلك الأيام وجعل الناس يخرجون فأرسل هشامًا أخاه سفيح بن عمرو لكي يخمدها. وسار بطريق كان قريبًا من دولة الحاكم الهندوسي الذي آوى عبد الله الأشتر. وشاهد غبارًا يرتفع فظن أنّ جيشًا يريد مواجهته فتقدّم للدفاع إذ وجد عبد الله الأشتر يتنزه ويصيد في جماعته على جانب من نهر السند فتقدّم سفيح إليه فقال له مؤيدوه: "هذا ابن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد تركه أخوك متعمدًا مخافة أن

يبوء بدمه فلم يقصده".

فقال سفيح إني لا أدعه حرًا ولا أن أترك أحدًا أمر أبو جعفر المنصور بأسره أو قتله وكان عبد الله الأشتر يرافقه عشرة رجال ولما تقدّم إليه سفيح جعل أصحاب عبد الله يقاتلونه فقتل عبد الله وأصحابه وقد صرع عبد الله من بين القتلى بحيث لم يكد يعرف، ويقال أنّ أصحابه ألقوه في البحر لكيلا يرسل رأسه إلى أبي جعفر. يقول ابن الأثير بهذه المناسبة:

"وسقط عبد الله بين القتلى فلم يشعر به، وقيل أنّ أصحابه قذفوه في مهران حتى لا يحمل رأسه".[1]

وقال ابن كثير: "واشتبه عليهم مكانه في القتلى فلم يقدروا عليه".[2]

ولعل سفيحًا لم يتعرض لنعشه وأذاع أنّ نعشه لم يعرف، ولقد كتبنا أنّ أخاه- أمير السند- لم يكن يحبّ القبض على عبد الله، وأما ما حدث فلم يكن عمدًا ولذا فقد عاملوا أولاده معاملة الأحبة والأعزة.

ولكن ذكر أبو الفرج في "مقاتل الطالبين" برواية ابن مسورة أن هشام بن عمرو قتل عبد الله الأشتر وأرسل رأسه إلى أبي جعفر المنصور ومن ثم حمل إلى المدينة وكذا روي أنّ عبد الله وأصحابه قد ناموا متنزهين فوقع أفراسهم في الحقول فلما رآها الفلاحون جاءوا فضربوا كلًا منهم بعصيهم فماتوا ثم أرسل هشام رؤوسهم إلى أبي الجعفر المنصور:

"إنّ الأشتر وأصحابه أغدوا السير ثم نزلوا فناموا فبقيت خيلهم في زرع للرهط فخرجوا إليهم فقتلوهم بالخشب فبعث هشام فأخذ رؤوسهم فبعث بها إلى أبي جعفر".[3]

---

[1] تاريخ الكامل، 221/5

[2] البداية والنهاية، 108/10

[3] مقاتل الطالبين، ص 314

نحن نرى أنّ هذه الرواية لا أصل لها والحقيقة أنّ عبد الله وأصحابه قتلوا في غزوة مع سفيح بن عمرو ولم ترسل رؤوسهم إلى أبي جعفر المنصور.

الحرب ضد ملك هندوسي وذهاب محمد بن عبد الله الأشتر إلى بغداد: أخبر هشام بن عمرو أبا جعفر المنصور بقتل عبد الله الأشتر فشكره المنصور وأمر هشامًا أن يقاتل ذلك الحاكم وقال إنّ عبد الله قد ملك أمة بها ولدت طفلًا اسمه محمد بن عبد الله فإن عثرت عليه فاعتن به، فقاتل هشام ذلك الحاكم وهزمه. جاء في البداية والنهاية:

"فنهض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك فقاتله فغلبه وقهره على بلاده وأمواله وحواصله وبعث بالفتح والأخماس وبذلك الغلام والملك إلى المنصور".[1]

كتب ابن الأثير أنّ الملك قتل ولما بلغ هذا الخبر إلى أبي جعفر المنصور سُرّ به ثم أرسل ذلك الطفل إلى المدينة وكتب إلى أميره رسالة اعترف فيها بصحة حسبه ونسبه ثم أمره بتحويله إلى أسرته لكيلا يضيع حسبه ونسبه وهذا الطفل عرف فيما بعد بـ"أبو الحسن بن الأشتر".

ورود علي بن محمد بن عبد الله إلى الهند: وبعدما قتل محمد بن عبد الله التجأ ولده وعلي أخو عبد الله الأشتر إلى الهند فقال المرزباني في "معجم الشعراء": هرب علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى الهند بعد مقتل والده وأفراد أسرته وكتب حين نزوله برباط أنّ أقدامي قد دميت كأني قد لبست أحذية من الدماء، وكتب ما يلي من الشعر:

عسى مشرب يصفو فيروي ظمأة　　أطال صداها المنهل المتكدّر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه　　سينظر للعظم الكسير فيجبر
عسى الله، لا تيأس من الله أنه　　يسير عليه ما يغير ويكثر[2]

---

[1] البداية والنهاية، 100/10

[2] معجم الشعراء، ص 137

ذكر موجز لغزوات وفتوح ومآثر هشام بن عمرو: كان هشام بن عمرو التغلبي أميرًا على السند من 151هـ حتى 157هـ وقام خلال إمارته بخدمات إدارية وسياسية ولكنها لا تذكر إلا في كتب مؤرخينِ ألا وهما اليعقوبي والبلاذري، نذكرها مجملة ثم نفصّلها فيقول البلاذري في فتوح البلدان:

"ولّي أمير المؤمنين المنصور رحمه الله هشام بن عمرو التغلبي السند ففتح ما استغلق ووجّه عمرو بن جمل في بوارج إلى باريد ووجّه إلى ناحية الهند فافتتح قشميرًا وأصاب سبايا ورقيقًا كثيرًا وفتح الملتان، وكان بقندابيل متغلبة من العرب فأجلاهم عنها، وأتى القندهار في السفن ففتحها، وهدم البدّ وبنى موضعه مسجدًا فأخضبت البلاد في ولايته فتبركوا به ودوخ الثغر وحكم أموره".[1]

وقال اليعقوبي في تاريخه:

"ولّي هشام بن عمرو التغلبي فصار إلى المنصورة فأقام بها، ووجّه إلى ناحية الهند بجيش فغنموا، وأصابوا رقيقًا وقيل لهشام أنّ المنصورة لا تحملك والملتان بلاد واسعة ومنها مغزى فسار إليها فاستخلف على المنصورة أخاه بسطام بن عمرو فلما قرب من الملتان خرج صاحبها إليه في خلق ليردّه والتقيا فكانت بينهما وقعة عظيمة ثم انهزم صاحب الملتان وظفر هشام ونزل المدينة وسبى سبيًا كثيرًا ثم عمل السفن وحملها على نهر السند حتى أتى القندهار ففتحها وسبى وهدم البدّ، وبنى موضعه مسجدًا ثم قدم إلى المنصورة بما لم يقدم به أحد من السند فلم يقم بالعراق إلا قليلًا حتى مات".[2]

يبدو من كتابات هذين المؤرخين الوجيزة أنّ المسلمين في عهد هشام بن عمرو التغلبي خاضوا في الحروب في قندابيل (بالسند)، وملتان (ببنجاب)، وباربد (بغوجرات)، وقندهار وكشمير وانتصر فيها هشام إلا أننا لا نعرف ترتيبها

[1] فتوح البلدان، ص 431

[2] تاريخ اليعقوبي، 2/440-449

التاريخي سوى بعض الغزوات حيث نجد تحديد السنين فغزوة سفيح بن عمرو التغلبي التي قتل فيها عبد الله الأشتر وأصحابه وحرب هشام ضد الملك الهندوسي الذي ألجأ عبد الله وأصحابه. تم خوضهما في 151هـ.

أسباب الغارة على غوجرات: وفي 151هـ أغار هشام على موضع في غوجرات وانتصر فيها وفي هذه الأيام أرسل جيشًا بقيادة عمر بن جميل ليغير على باربد. كانت هاتان الغزوتان بحريتين تم القيام بهما عن طريق المنصورة. وقد سبقهما المسلمون في العهد الفاروقي بفتحهم على تهانه وبروص ثم جاء العصر الأموي ففي العقد الأخير للقرن الأول الهجري فتح محمد بن القاسم وقوّاده سرست وغوجرات ثم في بداية القرن الثاني الهجري فتح جنيد بن عبد الرحمن المري عدة أماكن وسيطر على مربد ودهنج وبروص وبيلمان ثم لم يلتفت إليها المسلمون حتى جاء العصر العباسي فنال هشام بن عمرو التغلبي فتوحًا جليلة. يجمل بنا أن نكشف عن الأسباب في الغارة على غوجرات أولًا:

كان قراصنة الهند المعروفون بالميد مسيطرين على بحر الهند والسواحل وكانوا يقاتلون الجيوش في العصر الأموي ولقد زاد نهبهم وشرهم في العصر العباسي. وقد سكنوا ميادين من مكران والسند إلى سواحل سرست إلا أنّ غوجرات وسرست كانتا مركزين مهمّين لهم، وكان الطريق البري العام من البصرة إلى السند وغوجرات عرضة لهم دومًا حتى أضطر الخلفاء العباسيون في بداية عصرهم إلى أن يقرّروا إمارة خاصة في بحر البصرة وبلاده ولقد ازدادت فعالياتهم في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور فأقام قسمًا لإمارة البحر وجعل محمد بن أبي عيينة أميرًا لها عام 141هـ.

جعل محمد بن أبي عيينة جزيرة قيس مركزًا له فأغار هؤلاء القراصنة على هذه الجزيرة بسفنهم وقتلوا ولده وجماعة من المسلمين ودمّروا الجزيرة ثم خاضوا في نهر دجلة عن طريق بحر البصرة في 148هـ حتى بلغوا مهلبان في 149هـ وفي

هذه السنة واجههم أبو جيفر في جزيرة خارك فقتل هو وأصحابه ثم في 151هـ دخل هؤلاء الميد في نهر دجلة على مقربة من البصرة فقاتلهم أبو عبيدة السعدي وهكذا أغاروا على حدود البصرة في 153هـ و155هـ. كانت هذه فعاليات ميد الهند المدمّرة، هذا وفي جانب آخر جمع الزط الهنود وأقوام أخرى شرسة قوةً عظيمةً وتسبّبوا في خراب الطرق البرية والبحرية من بغداد إلى البصرة فاحتيج إلى قوات بحرية وبرية لمواجهتهم كما احتيج إلى أن يعاقبهم المسلمون في السند. يبدو أنّ ميد سرست قد هدأوا بعد عقدهم الصلح مع محمد بن القاسم الثقفي ولكنهم كانوا شديدين في غوجرات لاسيما في بروص وكانوا يدخلون في بحر العرب عن طريق نهر نربدا فكانوا يدمّرون حتى حدود البصرة ولذا تمت الغارة على قندهار وباربد في بروص. هاتان المنطقتان تقعان على سواحل نهر نربدا وكانتا تعتبران ميناءين مهمين لغوجرات.

ذكر ياقوت بروص في معجم البلدان: "من أشهر مدن الهند البحرية وأكبرها وقال البلاذري: بروص بندر كبير من بنادر الهند".[1]

وقد جاء في "ظفر الواله" عن قندهار:

"(من نواحي كهنباية) قندهار بندر صغير على خورها نربدا".[2]

وكذا باربد بندر شهير في غرب بروص على ساحل نربدا وكان بها معبد ههندوسي كبير. كانت هاتان المنطقتان مركزين مهمّين للميد في العصر العباسي فكانوا يغيرون من هنا على التجار والمراكب التجارية فاضطر الأمراء إلى عقابهم، وقاتلهم كلٌّ من أمير البصرة والمنصورة.

فتح قندهار: في 151هـ ولّي هشام بن عمرو التغلبي السند وفي نفس السنة أخمد ثورة السند بعون من أخيه سفيح بن عمرو وقضى على عبد الله وأصحابه

---

[1] معجم البلدان، 155/2

[2] ظفر الواله، 613/1

المعارضين للخلافة العباسية وكذا هزم ملك السند الهندوسي وبعدما فرغ من هذه الخطوب أراد أن يغير على ميد السند الذين كانوا يخرّبون أمن البحر. وفي 53هـ فتح والي سجستان قندهار بشأن كش وسرست ولكن الفوضى قد انتشرت فيها فيما بعد فقام هشام بن عمرو التغلبي بفتحها مرة أخرى في 151هـ ثم أرسل مسؤولًا عسكريًا له إلى باربد فيقول البلاذري: بلغ هشام بن عمرو قندهار بالسفن الحربية وفتحها وهدم معبدها الهندوسي وأقام مقامها المسجد وقد عمّ الأمن والرقي في المدن في زمن ولايته واعتبره الشعب رحمة لهم وبركة".[1]

ويقول المؤرخ اليعقوبي: وصل هشام بن عمرو إلى قندهار عن طريق بحر السند بالسفن الحربية ففتحها وأسر كثيرًا وهدم المعبد الهندوسي وبنى موضعه مسجدًا".[2]

وقد ذكر فتح ملتان وقندهار مؤرخ آخر وهو القلقشندي في "مآثر الأنافة في معالم الخلافة" فقال:

"في أيامه فتحت الملتان والقندهار مغارض السند، وهدم البد وبني موضعه مسجد".[3]

يبدو من هذه الكتابات ما يلي:

1. أعدّ هشام بن عمرو أسطولًا حربيًا أوّل مرة في العصر العباسي للغارة على قندهار لكي يجر في نهري السند ونربدا.
2. دخل هذا الأسطول البحر من المنصورة عن طريق نهر السند ثم وصل إلى سواحل غوجرات وأرسلت ببندر قندهار عن طريق نهر نربدا.
3. لم يخالف الملوك المحليون المسلمين بعدما وردوا هنا لأنّ كلًا منهم كان قلقًا من الميد وكانوا يودّون القضاء عليهم.

---

[1] فتوح البلدان، ص 431
[2] تاريخ اليعقوبي، 449/2
[3] مآثر الإنافة، 15/1

4. لما عاقبهم المسلمون امتنعوا عن شرهم وعمّ الأمن البلاد وصينت الأموال والأنفس والأعراض وجعل الناس يعيشون آمنين وعمّ الرخاء أرجاء البلاد بفضل الله حتى جعل الناس يحبّون المسلمين، وزد على ذلك إكرام ملوك غوجرات للمسلمين مما قد أشار إليه أبو زيد السيرافي وسليمان التاجر والمسعودي وغيرهم من المؤرخين.
5. كان المسلمون هنا في عدد ملموس منذ العصر الأموي وكانوا يعيشون بأمن وغنى وقد بنى هشام بن عمرو مسجدًا يعتبر أول مسجد في غجرات.
6. والسبب في هدم المعابد هنا هو كون هذه المعابد مركزًا لكل نوع من الشر فكانوا ينهبون الأموال ويجمعونها فيها باسم العبادة ونعلم أنّ أماكن العبادة تستخدم لهذه الأغراض في هذه الأيام فمعبد بالي تهانه بسرست الذي كان واقعًا بجبل، كان مركزًا للسرّاق والناهبين ونفس الحالة كانت مع معبد قندهار.
7. إنّ هشام بن عمرو جعل بعض سكانها أسارى كما يقول اليعقوبي وكان هؤلاء هم الميد الذين كانوا هم المجرمين ولأجلهم أغار المسلمون على هذه المنطقة.
8. هذه الحرب لم تسبب أيّ سوء فهم في الشعب، بل على العكس من ذلك جعل الشعب يحبون المسلمين، الأمر الذي يدلّ على أنّ المسلمين لم يظلموا وإلا فلم يتخلف ملوك غوجرات الأقوياء عن مواجهة هؤلاء الشرذمة القليلة من المسلمين.

كتب القاضي الرشيد بن الزبير أنّ هشام بن عمرو أغار على الهند في 156هـ في عهد أبي جعفر المنصور عن طريق السند ووجد بها منارة ضخمة من حديد كان طولها 100 قدم فلما سأل هشام المواطنين عن هذا أجابوا أنها سيوف أهل فارس. إنهم فتحوا بلادنا بمعونة من تبع حمير ثم جمعوا سيوفهم

فكسروها وهذه المنارة صنعت من هذه السيوف المكسورة ويرى اليمنيون أنّ التبع قال ما يلي بهذه المناسبة:

ولو نعرت بقندهار نعرة   خمرت صوامعها وكل عمود[1]

ورواية حملة تبع حمير على قندهار إن كانت صحيحة أم لا، فقد وجدت بها منارة حين غارة هشام عليها.

ولنعلم أنّ المراد من "قندهار" ليس هنا قندهار كابل فإنها منطقة جبلية وطريقها بري فلا حاجة للوصول إليها بالسفن وإعداد السفن لاختيار طريق نهر السند.

فتح باربد بقيادة عمرو بن جمل: وبنفس المناسبة أرسل جيش عن طريق البحر إلى باربد في بروص والذي رجع فاتحًا. كانت هذه المنطقة مركزًا للميد كذلك وكانوا يضعون به مشاريع لفعالياتهم. لم يذكر هذه الحملة سوى البلاذري وقد أوجز ما ذكر: "ووجّه عمرو بن جمل في بوارج إلى باربد".[2]

والظاهر أن:

1. كانت حملة باربد عادية ولم تكن سوى عقاب فلم يحضرها هشام بذاته بل ساقها قائد جيشه عمرو بن جمل.
2. وبما أنها لم يرد بها سوى العقاب فقد استعملت كلمة "بوارج" وهي جمع بارجة أي أسطول بحري (تعريب بيرا) فقد ذكر البيروني ميد سرست في "كتاب الهند" أنّ جماعة بها اشتهرت ببوارج، وهم يسكنون في كج وسومناث: "وسمّوا بهذا الاسم لأنهم يتلصصون في الزوارق واسمها بيڑه".[3]
3. لم يذكر فيها فتح ولا هزيمة فيبدو أنها تمت الغارة عليها حين الرجوع من فتح قندهار ولم يحتج إلى إقدام ما لأنّ المسلمين كانت لهم علاقة ودية

---

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 175-176

[2] فتوح البلدان، ص 431

[3] كتاب الهند، ص 102

مع ملوكها ولم يرد منها سوى عقاب الميد.

الغزوات والفتوحات في كشمير وغيرها من المناطق: أرسل هشام بن عمرو بعض الجيوش تحت قيادة أمرائه وقوّاده ولكنه لم يحضرها وقد ظفر فيها المسلمون بما يجدر بالذكر وأسروا كثيرًا ولقد ذكر البلاذي كشمير من بين المناطق التي أغاروا عليها: "ووجّه إلى ناحية الهند فافتتح قشميرًا، وأصاب سبايا ورقيقًا كثيرًا".[1]

ويقول اليعقوبي: "ووجّه إلى ناحية الهند بجيش فغنموا، وأصابوا رقيقًا".[2]

والمراد في هذه الجمل من ناحية الهند مناطق بنجاب وكشمير ولقد ذكرت الحملة على ناحيتي غوجرات ولعلها كشمير السفلى التي تتصل حدودها بحدود بنجاب والتي كانت تملؤها أنهار جارية ووديان وأما كشمير العليا فكانت مليئة بجبال وعرة فلم تتم الغارة عليها في هذه المرة.

القضاء على العرب المتغلبة من قندابيل: كانت قندابيل مدينة كبرى لطوران واعتبرها بعض المؤرخين عاصمة دولة البد، وبما أنها كانت جبلية فقد كانت مثل قلعة منيعة. فتحها المسلمون في عهد الخلافة الراشدة ولما جاء العصر الأموي ضمّ سنان بن سليمة الهذلي إلى الدولة الإسلامية بوقان وقيقان وقصدار ولكنها سيطر عليها الخوارج فيما بعد إلا أنّ قندابيل بقيت مرتبطة بالخلاقة أصلًا حتى غلبها العرب في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي وقسمها بعض القبائل فيما بينهم ولكن هشام بن عمرو أخرجهم منها وضمّها إلى المنصورة. لم يذكرها سوى البلاذري فقال: "وكان بقندابيل متغلبة من العرب فأجلاهم عنها".[3]

[1] فتوح البلدان، ص 431

[2] تاريخ اليعقوبي، 448/2

[3] فتوح البلدان، ص 431

يبدو من "متغلبة من العرب" أنّ قنابيل كان يسيطر عليها قبائل أو أفراد مخصوصون فلم يكن يغلبها رجل خاص فأخرجهم هشام بن عمرو منها وكانت طوران ومكران مركزين للخوارج في تلك الأيام وكانوا يتصدّون للخلافة ولعل تلك الخوارج من العرب جعلوا قنابيل مركزًا لهم.

فتح ملتان: مما أثره هشام بن عمرو من أعمال جليلة يعتز بها فتح ملتان فقد فتحها محمد بن القاسم في 95هـ وجعل أميرًا له عليها ولكن لما انتشرت الفوضى في كل الأرجاء في نهاية الخلافة الأموية وعم الاستقلال بالحكم. خرج أهل ملتان أيضًا على الخلافة وارتدّ من آمن حديثًا وأقام ملك هندوسي حكومته حتى فتحها هشام بن عمرو مرة أخرى وضمّها إلى الدولة الإسلامية فيقول البلاذري:

"إنّ الملتان فتحها محمد بن القاسم في أيام الوليد بن عبد الملك، ثم كفر أهل هذه البلاد ففتحت في أيام المنصور".[1]

ويقول القلقشندي: "في أيامه فتحت الملتان".[2]

ولقد فصّل اليعقوبي فتح ملتان بأن قيل لهشام بن عمرو:

"وقيل لهشام: إنّ المنصورة لا تحملك والملتان بلاد واسعة، ومنها مغزى".

فاستحسن هشام هذا الرأي وقرّر أخاه بسطام بن عمرو نائبًا له في المنصورة وتقدّم نحو ملتان في جيش عظيم فلما دنا من ملتان وعلم به الملك الهندوسي فتقدّم بجيش كبير لكي يهزم الجيش الإسلامي خارج البلد ويرجعه قبل أن يدخل المدينة فتقابل الجيشان وبعد معركة حاسمة انهزم الجيش الهندوسي ودخل هشام المدينة ظافرًا وأسر من قاتله.[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص 431

[2] مآثر الإنافة، ص 177

[3] تاريخ اليعقوبي، 2/240-249

وبعدما فتح ملتان امتدّ حكم العباسيين من كشمير وبنجاب إلى غوجرات وتمّت صيانة جانبي السند.

والواقع أنّ هشام بن عمرو أوّل عامل عباسي حكم الهند بكل شعور بالمسؤولية والوفاء بالحكومة فحرّر العديد من المناطق من احتلال العرب والهندوس وعاقب الثوّار وجعل الأسطول البحري وقام بالغزوات البرية والبحرية وفتح المناطق المنيعة واعتبر الشعب حكمه خيرًا لهم وبركة وتفاءلوا به خيرًا. وقد قام هشام بإدارة البلاد وصان الحدود فقال البلاذري عنه: "ففتح ما استغلق --- ودوّخ الثغر وحكّم أموره".

وما قام به هشام بن معمرو من خدمات خلال حكمه الممتد لسبع سنوات في الهند والسند وما ناله من القبول لدى الشعب لا ينكر وعلاوة على ذلك فقد قدّم إلى المركز مغانم كثيرة وأسارى لا تحصى وأموالًا هائلة مما لا يوجد له نظير فقال اليعقوبي: "ثم قدّم إلى المنصور بما لم يقدّم به أحد من السند".

ولما أدّى هذه الخدمات وأثر هذه المحامد بلغ هشام إلى المنصور في 157هـ فتوفّي بعد وصوله بأيام.

ورود الشاعر مطيع بن إياس في بلاط هشام بن عمرو وتكريمه بالجوائز: كان هشام بن عمرو أميرًا عالي الهمة، محبًّا للعلم، وجوادًا فاتسع نطاق سخائه من الهند إلى العرب حتى حضره الشاعر الكبير مطيع بن إياس الكناني فأكرمه ونعّمه ونظم الشاعر أبياتًا عند عودته، يقول أبو الفرج الأصبهاني في كتابه: "رحل مطيع بن إياس إلى هشام بن عمرو وهو بالسند مستميحًا له".

لما لقي مطيع هشامًا أكرمه الأمير وعُقِدَتْ أواصرُ المحبة بينه وبين أولاد هشام. ولما أراد الشاعر أن يرجع جعلت ابنة هشام تبكي على فراقه فقلق به مطيع وتدفّق لسانه بما يلي من الأبيات:

اسكتي قد حزت بالدمع قلبي طالما حزّ دمعكن القلوبا

ودعي أن تقطّعي الآن قلبي أوتريني في رحلتي تعذيبا
فعسى الله أن يدافع عني ريب ما تحذرين حتى أؤوبا
ليس شيء يشاؤه ذو المعالي بعزيز عليه فادعي المجيبا
أنا في قبضة الإله إذاما كنت بعيدًا، أو كنت منك قريبا

كان مطيع بن إياس الكناني شاعرًا مخضرم الدولتين فكان شاعر البلاط في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما ارتبط ببلاط أبي جعفر المنصور وفي زمن حكمه حضر إلى السند.[1]

إمارة بسطام بن عمرو التغلبي وعزله وإمارة معيد بن الخليل التميمي: ولقد جعل هشام بن عمرو التغلبي أخاه بسطام بن عمرو أميرًا ونائبًا له فذهب إلى أبي جعفر المنصور في بغداد، يقول خليفة بن خياط: "ثم شخص إلى أبي جعفر واستخلف أخاه بسطام بن عمرو".[2]

صاحب بسطام أخاه هشامًا لسبع سنوات فخلب حلوّ هذه المنطقة ومرّها وقد استخلفه هشام في المنصورة حين الإغارة على ملتان، فعندما أراد بغداد جعله على منصبه ولكن بسطام لم يجد الوقت الكافي لبقائه على منصبه، وعزله أبو جعفر المنصور وعيّن في موضعه معبد بن الخليل التميمي. يختلف المؤرخون في اسمه فذكره تاريخ اليعقوبي وتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الطبري بمعبد بن الخليل التميمي المزني بينما ذكره خليفة بسعيد بن الخليل والحال أنّ "البداية والنهاية" يذكره تارة بسعيد وأخرى بمعبد ولقد فضّلنا "معبد" على "سعيد". كان معبد بن الخليل في خراسان قبل هذا في 140هـ. وكان عبد الجبار بن عبد الرحمن أميرًا على خراسان فأسر العديد من المسؤولين والقوّاد متهمًا إياهم بدعوة العلويين ووجّه ضربًا إليهم وكان معبد

[1] كتاب الأغاني، 13/275-337

[2] تاريخ خليفة، 2/678

بن الخليل واحدًا منهم.[1] ويروى أنّ أبا جعفر المنصور كتب إليه عن إمارة السند حينما كان هو في خراسان ومن ثم جاء معبد إلى السند.[2]

بقي معبد أميرًا على السند لسنتين إن كانت وفاته في 159هـ كما أشار إليه ابن الأثير وابن خلدون ولكن يقول صاحب "البداية والنهاية" إنه ولّي وتوفي في 157هـ.[3]

وطبقًا لهذا فلم يبق معبد في السند سوى أقل من سنة واحدة فلا نجد ذكر أعماله ومآثره في السند في أيّ كتاب فلم يكتب ابن الأثير سوى ما يلي: "وقيل أنه كان بخراسان فكتب إليه المنصور فسار إلى السند وفتح ما استغلق".

ويقول اليعقوبي: "ولّى المنصور معبد بن الخليل التميمي فكان محمودًا في البلد".

يبدو من هذين القولين أنّ معبد بن الخليل فتح ما استغلق من البلاد في مدة قليلة ونال القبول لحسن إدارته ولقد شاركه ولده محمد في أعماله بالسند.

وفاة معبد بن الخليل في المنصورة وقيام ولده مقامه: توفي معبد بن الخليل بالمنصورة بعد وصوله إلى السند بأشهر وجعل ولده محمد بن معبد أميرًا مؤقّتًا عليها والذي بقي أميرًا عليها حتى وفاة أبي جعفر المنصور في 158هـ. يقول خليفة: "فمات بالمنصورة واستخلف ابنه محمد بن سعيد (معبد) فلم يزل عليها حتى مات أبو جعفر".[4]

معبد بن الخليل التميمي المزني أوّل أمير عباسي توفي في السند وأما ابنه محمد فلم يوفّق فرصة طويلة للإقامة بها فولّى الخليفة المهدي أميرًا آخر مكانه بعد وفاة أبي جعفر المنصور.

أحداث متعلقة بالهند في العهد المنصوري: انتهى عصر خلافة أبي جعفر

---

[1] تاريخ الطبري، 53/7

[2] تاريخ الكامل، 514/6

[3] البداية والنهاية 115/7-129

[4] تاريخ خليفة، 678/2

المنصور في زمن إمارة محمد بن معبد فنذكر فيما يلي أحداثًا لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة ببلاد الهند والسند:

ميد الهند يأخذون أسرى الحكومة رهائن: كما ذكرنا أن معبد بن الخليل كان في خراسان قبل إمارة السند وقد قتل أميرها عبد الجبار بن عبد الرحمن العديد من الأمراء لتأييدهم العلويين كما ضرب العديد منهم. في 141هـ جعل أبو جعفر المنصور ولده محمدًا المهدي ولي عهده فأرسله إلى خراسان لكي يحقّق ما فعله عبد الجبار فيعاقبه على ما فعل فقبض المهدي على عبد الجبار وابنه وجماعة من الناس وجيء بهم إلى بغداد فقتل المنصور عبد الجبار وأرسل ولده وغيره من الجناة مسجونين إلى جزيرة باليمن فأسرهم الهندوس ففكّت أعناق البعض منهم بفدية.[1]

الهندوس الذين قبضوا على هؤلاء العرب كانوا ميدًا يجرّون أسطولهم حتى حدود اليمن وسوقطرة وكانوا ينهبون في البحر فأخذوا هؤلاء المسجونين الحكوميين رهائن ومن هذا يمكن تقدير قوتهم. في هذه السنة أقام المنصور إمارة البحر ونظّم لعقاب الميد الناهبين.

تأمين المسجونين الهندوس: في 158هـ زلّ المنصور عن فرسه وأصيب بالجروح وكان يستريح في جرجرايا فجيء بمسجونين هندوس إليه عن طريق عمان أرسلهم تسنيم بن الحواري تحت إشراف ولده محمد:

"فهمّ بضرب أعناقهم فساءلهم فأخبروه بما التبس به أمرهم عليه، فأمسك عن قتلهم وقسمهم بين قوّاده وأمرائه".[2]

هذه حادثة إمارة معبد بن الخليل أو نيابة محمد بن معبد ولقد قبض على هؤلاء المسجونين الهندوس على جريمة نكراء فأرسلوا إلى أبي جعفر المنصور لكي يقرّر

---

[1] البداية والنهاية، 777-776/10

[2] تاريخ الطبري، 757/8

لهم عقابًا يناسب جريمتهم فأمر بقتلهم ثم سألهم عن جريمتهم فبان أنّ جريمتهم مشكوك فيها ولا يستحقون القتل فأعطاهم أرقّاء للأمراء والمسؤولين.

إسلام شير باميان وتكريمه: وفي زمن خلافته أسلم ملك هندوسي لمنطقة باميان يسمّى "شير" فتم تكريمه فقال اليعقوبي في "كتاب البلدان" إنّ باميان مدينة جبلية أسلم ملكها في زمن أبي جعفر المنصور على يدي مزاحم بن بسطام فزوّج مزاحم ولده من ابنته التي ولدت ابنًا لمحمد بن مزاحم ولما جاء الفضل بن يحيي خراسان جعل هذا الولد أميرًا على غور. وقد قام بفتح غور فلقّب بـ"شير باميان" على لقب جده لأمه.[1]

في هذا العصر كانت باميان تعتبر مدينة هندية وكان كلّ ملك لها يلقّب بـ"رتبيل" فكان شير باميان ملكًا لمنطقة منها.

معرفة أبي جعفر المنصور عن الهنود: ذات مرة قال أبو جعفر المنصور لإسماعيل بن عبد الله أن يصف له أحوال سكان كل دولة فقال: "أهل الحجاز مبتدأ الإسلام وبقية العرب، وأهل العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين، وأهل الشام حصن الأمة وأسنة الأئمة، وأهل خراسان فرسان الهيجاء وأعنة الرجال، والترك منابت الصخور وأبناء المغازي، وأهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عما يليهم، والروم أهل كتاب وتديّن نحّاهم الله من القرب إلى البعد".[2]

رواية خاطئة عن أهالي المنصورة في زمن المنصور: قال الجاحظ في رسالته "حجج النبوة" إنّ جهّال الفرقة الشكية أذاعوا ذات مرة:

"إنّ أهل المنصورة وافوا مصلّاهم يوم خميس على أنه يوم الجمعة، في زمن منصور بن جمهور وإنّ أهل البحرين جلسوا عن مصلّاهم يوم الجمعة على أنه

[1] كتاب البلدان، ص 389، رجال السند والهند، ص 157

[2] تاريخ الطبري، 71/8

يوم خميس، في زمن أبي جعفر، فبعث إليهم وقومهم".

فردّ الجاحظ على هذه الرواية الكاذبة وقال: وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الأمصار --- ولو جاز ذلك في أهل البحرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل البصرة والكوفة، ولو جاز ذلك في الأيام لكان في الشهور أجوز، ولو جاز ذلك في الشهور لكان في السنين أجوز. وفي ذلك فساد الحج، والصوم، والصلاة، والزكاة، والأعياد.[1]

تعريب سدهانت والزيج: ولقد عني بترجمة علوم الهند وفنونها بانتظام في عصر هارون الرشيد حينما أسّس بيت الحكمة في بغداد ولكن سبقه أبو جعفر المنصور بترجمة كتاب سنسكريتي قيّم في الحساب والنجوم أسّس عليه هذا الفن ففي 156هـ حضر بلاط أبي جعفر المنصور عالم هندوسي كان ماهرًا بحسابهم (السندهند) وكان يحمل كتابًا في الفن في 12 بابًا فأمر المنصور بترجمته إلى العربية التي قام بها المنجم محمد بن إبراهيم الفزاري وألّف كتابًا ثم لخّصه أبو جعفر بن موسى الخوارزمي في عصر المأمون وجعل منه زيج الخوارزمي ثم بنوا عليه هذا الفن.[2]

إمارة روح بن حاتم المهلبي وثورة الزط: كان محمد بن معبد أميرًا على السند حين وفاة أبي جعفر المنصور وكان يؤدّي خدماته ولكن المهدي قد عزله في بداية خلافته في 159هـ وأقام مقامه روح بن حاتم بن قبيصة بن مهلب بن أبي صفرة المهلبي الأزدي العتكي. كان روح من أصحاب وثقات الخليفة أبي جعفر المنصور. ولم يحكم السند لمدة طويلة ففي 161هـ عزله الخليفة وجعله أميرًا على البصرة وإفريقية.[3]

ولا يذكر التاريخ ما قام به روح بن حاتم من خدمات وأعمال إدارية وما

---

[1] رسائل الجاحظ، ص 129

[2] طبقات الأمم، ص 67

[3] تاريخ خليفة، 769/2 وتاريخ اليعقوبي، 479/2 وتاريخ الكامل، 7

خاض فيه من الغزوات والفتوحات وقد ذكر اليعقوبي ثورة الزط في زمنه إلا أنه لم يذكر ما لعبه روح من دور في إخمادها:

"استعمل المهدي روح بن حاتم المهلبي على السند فقدمها والزط قد تحركوا بها فلم يقم إلا يسيرًا حتى عزل".

يبدو من هذا أنّ روح بن حاتم لم يستطع عقاب الزط فعزله المهدي وأرسل لعقابهم جيشًا كبيرًا.

الجات، ويسمّون الزط بالعربية، كانوا قومًا ملؤهم شر وضرّ، وكانوا يتوطنون بلوجستان ومكران والسند وبنجاب وغوجرات وكانوا يخلقون الثورات ضد الملوك والأمراء كذلك فلم يدعوا أمراء العباسيين هادئين وآمنين فقال ابن خرداذبة في "المسالك والممالك": فمن أوّل عمل مكران إلى المنصورة ثلاثمائة وثمانية وخمسون فرسخًا والطريق فى بلاد الزّطّ وهم حفّاظ الطريق.[1] وقال الأصطخري في "مسالك الممالك": وبلد السند هو المنصورة وأراضى الزّطّ وما والاها إلى الملتان، وكانت لهم فيها مستعمرات وعقارات[2] فقد أثار هؤلاء الزط في بداية الخليفة المهدي في كلّ جانب وأفسدوا الأمن لسنوات حتى جعل السند تحت إمارة البصرة ولم يصبر العديد من الأمراء على ثورتهم حتى استخدمت القوة العسكرية ضدهم فعاد الوضع إلى نصابه.

فتح باربد (غوجرات) في 160هـ: أرسل جيش مباشر من المركز على باربد في إمارة روح بن حاتم وظفروا بفتح عظيم ولو أنّ روح بن حاتم كان أميرًا على السند في تلك الفترة إلا أنه لم تكن له أيّ علاقة مع هذه المهمة فكان هذا الفتح يرجع فضله إلى إمارة البصرة البحرية ورغب فيه الخليفة المهدي شخصيًا وأعدّ له عدة وقد بلغنا أنّ هشام بن عمرو التغلبي أرسل أسطولًا بحريًا تحت

---

[1] المسالك والممالك، ص 56

[2] المصدر نفسه، ص 35

قيادة عمرو بن جمل إلى باربد حين خلافة المنصور فظفر فيه المسلمون إلا أنّ هذه الخطوة اتخذت لأجل الميد في بحر البصرة فهدأت فعالياتهم ولكن في عصر المهدي ثار الزط فعادت الفتنة إلى حالتها ولأجل حركة الزط في السند ومكران وغوجرات عمّت الفوضى فيها وتجمّع الثوّار في هذه المناطق فعوقبوا من قبل بغداد مباشرة وأعدّ الخليفة عدة لذلك فأرسل الجيش مباشرة من البصرة في 159هـ وفي معركة حاسمة في 160هـ ظفر المسلمون. كان يقود هذا الجيش عبد الملك بن شهاب المسمعي وكان يتبعه العديد من الأمراء.

ذكر هذه الغزوة كلّ من الطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن كثير باختلاف يسير فنقدّم تفصيلها آخذًا من الطبري فقال الطبري في أحداث 159هـ إنّ الخليفة المهدي أرسل عبد الملك بن شهاب المسمعي إلى الهند عن طريق البحر وتبعه ما يلي من الجيوش والمتطوعين:

- ألفان من جيش البصرة الحكومي تحت إمارة المنذر بن محمد جارود الكودي.
- ألف وخمسمئة عالم من المرابطين والفدائيين الذين اشتركوا فيهم حسبة لله تحت إمارة عبد الواحد بن عبد الملك.
- سبعمئة شامي تحت قيادة يزيد بن حباب المذحجي الشامي.
- ألف فدائي متطوع من البصرة وقد شملهم الربيع بن صبيح البصري.
- أربعة آلاف أسوري وسيبجي الذين كان أصل معظمهم من الهند وكانوا متوطنين في العراق.

فكان الجيش كله 9200 جندي وكان يقودهم عبد الملك بن شهاب المسمعي، ولقد رغب في هذه المهمة الخليفة المهدي إلى حد أنه عيّن أبا القاسم محرز بن إبراهيم مسؤولًا عن تنظيم وتنسيق هذا الجيش.[1]

ثم كتب الطبري في أحداث 160هـ إنّ عبد الملك بن شهاب المسمعي بلغ

[1] تاريخ الطبري، 320/9

مدينة باربد بجيشه في 160هـ ثم ابتدأت الحرب بعد يومين فصوّر هذه الحرب كما يلي:

"أقاموا عليها يومين فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة وتحاشد الناس وحضّ بعضهم بعضًا بالقرآن والتذكير ففتحها الله عليهم عنوة ودخلت خيولهم من كل ناحية حتى ألجؤوهم إلى بدّهم فأشعلوا فيها النيران والنفط فاحترق منهم من احترق".

وقد استشهد في هذه الحرب أكثر من عشرين مجاهدًا وهكذا فقد دخلت هذه المدينة تحت سيطرة المسلمين. وخلال هذه الفترة وقع في البحر مدّ وجزر شديدان حتى صعبت الرحلة فأقام الجيش الإسلامي بها حتى عاد الوضع إلى نصابه وعدى في المجاهدين مرض يسمّى "حمام القهر" والذي كان يبتدئ ببثرة على الوجه فمات فيه ألف مجاهد بمن فيهم الربيع بن صبيح البصري ثم رجعوا إلى العراق عن طريق البحر لما هدأ البحر ولكنهم لما وصلوا إلى بحر حمران جاءت ريح شديدة أغرقت كافة المراكب فغرق البعض ومن بقي منهم فوّضوا أسراهم إلى أمير البصرة محمد بن سليمان وكان فيهم ابنة ملك باربد الهندوسي.[1]

إمارة يزيد بن حاتم المهلبي الضمنية: كان يزيد بن حاتم المهلبي أميرًا على مناطق عديدة خلال فترة حكم روح بن حاتم المهلبي فقد قال ابن حزم في جمهرة الأنساب: "ولد حاتم بن قبيصة روح ويزيد كلاهما ولي إفريقية والسند".[2]

كانت هذه الإمارة مثل نيابة أخيه فلم يذكر أحد سوى ابن حزم إمارة يزيد بن حاتم المهلبي على السند وكذا نجد قرائن أخرى لإمارته على السند.

فيؤيد ذلك أنّ الشاعر ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي نظم أبياتًا في مدح يزيد بن

[1] المصدر نفسه، 162/6

[2] جمهرة أنساب العرب، ص 370

حاتم المهلبي هجا فيها يزيد بن أسيد السلمي فردّ عليه أبو الغراف عمرو بن مرثد السلمي السندي بأبيات مدح فيها يزيد بن أسيد. يقول ربيعة الأسدي الرقي:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم، والأعز بن حاتم
فهمّ الفتى الأزديّ إتلاف ماله وهمّ الفتى القيسيّ جمعَ الدراهم
فلا يحسب التمتام أني هجوته ولكنني فضّلت أهل المكارم

فردّ عليه أبو الغراف السلمي السندي هاجيًا اليمانية والربيعة:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عُدّ في الناس المكارم والمجد
يزيد بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلان والأزد
فتًى لم يلده من سليم قبيلة ولا لخم ينميه ولم ينمه نهد
ولكن نمته الغرّ من آل وائل وبرّة تنميه ومن بعدها هند

ولعل هذه الحادثة حدثت في زمن إمارة يزيد بن حاتم المهلبي الأزدي حينما كان يحضرها كل من ربيعة الرقي وأبي الغراف السلمي السندي.[1]

إمارة سليمان بن قبيصة المهلبي المؤقّتة وتوجيه الدعوة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي للورود للسند: كان من أمراء السند المهلبيين سليمان بن قبيصة بن يزيد بن مهلب الذي كان عمّ يزيد بن حاتم المهلبي وروح بن حاتم المهلبي، لم نقدر على تحديد زمن ولايته ولعله كان حاكمًا أو أميرًا على منطقة زمن إدارة روح بن حاتم المهلبي، ذكره ابن المعتز في "طبقات الشعراء" في ترجمة إمام اللغة والأدب الخليل بن أحمد الفراهيدي فقال:

"ومما يختار قوله لسليمان بن قبيصة بن يزيد بن المهلب وقد كتب إليه يستزيره إلى السند وكان واليًا عليها".

[1] معجم الشعراء للمرزباني، ص 30، وفيات الأعيان، 207/1

ثم كتب هذه الأبيات:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
الرزق عن قدرٍ لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حولُ محتال

وكذا قال ابن المعتز: "وأهدى إليه سليمان من السند هدية بارزة فردّها وقال:

وخصلة يكثر الشيطان إن ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زلّ عن يده فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا[1]

فتدلّ دعوة سليمان بن قبيصة الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى زيارة السند وتقديم الهدية إليه على أنه كان أميرًا ناجحًا وكان يتمتع بمنصب هامّ.

عزل روح بن حاتم وإمارة النصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي: لم يقم روح بن حاتم المهلبي في السند لمدة طويلة وولّي مكانه النصر بن محمد بن الأشعب الخزاعي فيقول ابن الأثير إنّ النصر بن محمد بن الأشعث قبض على عبد الله بن مروان من الشام في 161هـ وقدّمه إلى بلاط الخليفة المهدي وفي نفس السنة ولّاه المهدي على السند[2] ولكنه لم يقدر على إعادة الوضع إلى نصابه في عهده وعمّ البلاد الثورة والفوضى.

السند تابعة لأمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي: وعلى هذا فقد مسّت الحاجة إلى التغيير في إدارة هذه البلاد ففوّض الخليفة المهدي السند إلى أمير البصرة محمد بن سليمان بن علي الهاشمي لكي يتخذ ما يناسبه من الخطوات ولنعلم أنّ السند ومكران كانتا تعتبران من مناطق العراق خلال حكم الخلفاء الراشدين والأمويين وكانتا تحت حكم أمير البصرة فكان يعيّن الحكّام بهما وكانا يفعلان ما كانا يعتبرانه مناسباً ولكن تغيّر الوضع في العهد العباسي فجعل الخلفاء العباسيون يعيّنون أمراءهما من تلقاء أنفسهم فكانت هذه أول مناسبة جعلت

[1] طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 99
[2] تاريخ الكامل، 19/6

فيها السند تابعة لإمارة البصرة ويمكن بها تقدير سوء وضعها.[1]

الهدايا من السند ومكران إلى محمد بن سليمان: حينما كانت السند تحت إمارة أمير البصرة محمد بن سليمان بن علي قدّمت إليه هدايا قيّمة من السند وقد عثر على عديد منها بعد موته فذكر الطبري أنه توفي في جمادى الأولى سنة 173هـ فعثر من عنده على عديد من الأمتعة القيّمة والأسماك والغلات والجبن والأقمشة والتي وردت إليه من السند ومكران وفارس والأهواز واليمامة والري وعمان ولقد ضاع معظمها ومنها سمك يسمّى "كنعدة" والذي أخرج من دار محمد وجعفر ابني سليمان فطرح على الطريق وقد تحوّل إلى آفة للمارّين فيقول الراوي إننا لم نمرّ عليه أيامًا لأجل رائحته الكريهة.[2]

إمارة عبد الملك بن شهاب المسمعي لأيام ورجوع النصر بن محمد بن الأشعث: ولما صارت السند تحت إمارة البصرة محمد بن سليمان عزل النصر بن محمد بن الأشعث وجعل عبد الملك بن شهاب المسمعي أميرًا عليها والذي قد جاء الهند بأسطول بحري في 160هـ ورجع بعد فتح باربد ولكنه لم يوفق إمارة السند لأكثر من عشرة أيام ثم عزل عن إمارتها وولّي مكانه النصر بن محمد بن الأشعث وكان مقيمًا بالسند فكتب إليه الخليفة: "ثم جاءه عهده وهو بالبلد".[3]

وقد ذكر اليعقوبي التبديل في إمارة السند بكلمات تالية:

"وولّي نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ثم ضمّ السند إلى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي واستعمل عليها عبد الملك بن شهاب المسمعي فولّي أقلّ من عشرين يومًا وردّت السند إلى نصر بن محمد بن الأشعث".[4]

---

[1] المحمّدون من الشعراء، 347

[2] تاريخ الطبري، 57/8

[3] تاريخ خليفة، 697/2

[4] تاريخ اليعقوبي، 479/2-480

وقع هذا التغيير في أمر الإمارة بعد حرب باربد في 160هـ وعيّن عبد الملك بن شهاب أميرًا عليها بعدها بسنة، ويبدو أنّ الخليفة كان يفكّر في جعل السند تحت إمارة البصرة بعد عموم الفوضى فيها في 160هـ أو بعدها بقليل وعلى هذا فقد حضر الجيش الإسلامي بعد فتح باربد تحت قيادة أميره عبد الملك بن شهاب أمير البصرة محمد بن سليمان وقدّم إليه أسرى الحرب ثم جعل عبد الملك بن شهاب أميرًا مستقلًا بالسند ولكنه لم يوفق أكثر من عشرين يومًا في وضعها غير الهادئ فلم يفد كثيرًا جعلُ السند تحت إمارة البصرة فأعيدت إمارتها إلى نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي وهو لم يتحوّل منها في هذه الأيام وقد جاء في بعض الروايات أنه رجع إلى العراق ولكنه أعيد من طريقه وجعل أميرها.

إمارة الزبير بن العباس الهاشمي: ولو أنّ الإمارة آلت إلى نصر بن محمد الخزاعي مرة أخرى إلا أنّ وضع السند لم يعد إلى نصابه فقد كانت الفوضى عامة البلاد لأجل شرّ الزط ولأجل عصبية العرب القبلية فوقع التغيير في إمارة السند وجعل أميرها الزبير بن العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب الهامشي ولكن اليعقوبي يكتب أنه لم يرد المنصورة: "ولم يبلغ البلد".[1]

ولكن ابن حزم لم يذكر شيئًا كهذا بعدما صرّح عن إمارته للسند: "الزبير بن العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس ولّي السند".[2]

ورأينا أنّ الزبير بن العباس قد حكم السند لمدة قليلة للغاية فحكمه وعدمه سواء فلم نجد ذكره لدى المؤرخين.

إمارة سفيح بن عمرو التغلبي وشدة العصبية القبلية في السند: قد فسد وضع

[1] المصدر نفسه، 480/2

[2] جمهرة أنساب العرب، ص 10

السند في خلافة أبي جعفر المنصور وحاولت قبائل العرب أن تسيطر على معظم مناطقها فكان الدعاة العلويّون يفعلون فعلهم وكان الملوك المحلّيون والميد يطلبون غرضهم وفي هذه الأوضاع السيئة ولّى أبو جعفر هشامَ بن عمرو التغلبي فأعاد وضعها إلى نصابه بعون من أخويه سفيح بن عمرو وبسطام بن عمرو فكان سفيح بارزًا في حروبه وعقاباته.

ولما جاء عهد الخليفة المهدي فسد وضعها مرة أخرى وكاد أن تنسلّ المناطق من قبضة المسلمين ففي 160هـ وقعت حرب باربد ثم جعلت السند تابعة لإمارة البصرة ولم يزل يقع التغيير في الإمارة ولكن الوضع لم يسيطر عليه المسلمون فجعل الخليفة المهدي أميرها سفيح بن عمرو التغلبي الرجل الشجاع الباسل والمجرّب المحنّك منذ عصر أبيه.[1]

ولكن إمارة سفيح بن عمرو لم تفلح هذه المرة ولم يقدر على أن يقدّم أيّ خطوة ففي هذه المرة قد برزت عصبية العرب القبلية شرّ بروز واجتمعوا على معارضة الأمير ومخالفة القوة.

ولقد بذر بذورَ العصبية القبلية الدعاةُ العباسيّون في مخالفة الخلافة الأموية في كل أنحاء الدولة الإسلامية وهي التي لدغت مربيها وأصبحت خطراً على فاعلها وعاد الكيد إلى فاعله كما فعل بالمخالفين فقد شجّع باني الخلافة العباسية أبو مسلم الخراساني العرب المتعصبين ضد الأمير المرواني النصر بن سيار فيقول المسعودي:

"وكانت له مع أبي مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكائد من تفرقة بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوّه".[2]

وهكذا شجّع على العصبية في الشام، الأمر الذي أسفر عن محاولة العرب لنيل

[1] تاريخ خليفة 697/2 وتاريخ االيعقوبي، 480/2

[2] مروج الذهب، 255/3

السيطرة في بداية العصر العباسي، وقد بنيت العصبية القبلية في الهند في بداية إمارة عيينة بن موسى بن كعب منذ عصر أبي جعفر المنصور حيث خالفه جنود الربيعة وأثاروا ضجة ونهبوا الأموال كاسرين أقفال بيت المال فقتلهم عيينة، الأمر الذي سمعت صداه في سجستان ورنج ولذا فلما كان عيينة يحمل إلى بغداد قتله بعض العرب اليمانيية في رنج وهكذا فقد كانت الثورة تنمو وتزدهر في السند، وبعد مرور ثلاثين سنة في خلافة المهدي عمّت العصبية السندَ كلها في 165هـ.

إمارة الليث بن طريف الخزاعي وكبح الزط: مضت فترة إمارة سفيح بن عمرو التغلبي في هرج ومرج وفوضى لاسيما عرب السند الذين مارسوا العصبية القبلية كثيرًا فجعل المهدي مولاه الليث بن طريف الخزاعي أميرها. والذي كبح الزط فيذكر اليعقوبي مآثره كما يلي:

"وكانت العصبية بالسند أول ما وقعت، فاستعمل ليث بن طريف مولاه فقدم المنصورة فأقام بها شهرًا والزط قد كثروا فجرد عليهم السيف فأفناهم".[1]

لقد بدأ الزط يثيرون في بداية عهد المهدي في 159هـ حينما ولّي على السند روح بن حاتم فيقول اليعقوبي: "واستعمل المهدي روح بن حاتم المهلبي على السند فقدمها والزط قد تحركوا بها".[2]

ولقد تأصلت فتنتهم في كل مكان خلال مدة ست سنوات ومن خلال هذه الفترة جاء عدة أمراء، ووقع التغيير في الإدارة، وحاول الأمراء لعقابهم حسب طاقتهم وطريقتهم ولكن لم تتقلص فتنتهم بل اتسع نطاقها وفي النهاية أرسل المهدي مؤتمنه ومولاه الليث بن طريف الخزاعي كما أمدّه بجيش من البصرة. وبخطوات قاسية خمدت الفتنة التي امتدت لست

[1] تاريخ اليعقوبي، 480/2

[2] المصدر نفسه، 479/2

سنوات فأقام الليث بن طريف بدار الإمارة المنصورة وأعدّ العدة وبعدما اطمأن من كل جانب سطا على الزط سطوة قضت عليهم وقتلهم شرّ قتلة ولقد اهتم بهذه الحركة الخليفة المهدي وأرسل الجيوش فقد قال اليعقوبي: ذهب المهدي من بغداد إلى البصرة لحج بيت الله في 165هـ فعلم هنا بأنّ السند عمّها الفتنة فأرسل الجيش إلى الليث بن طريف من البصرة ورجع من البصرة إلى بغداد لقلة الماء على الطريق إلى مكة.[1]

رسائل المهدي إلى ملوك وحكّام السند والهند للطاعة والإسلام: ولقد دعا الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ملوك وحكّام الهند إلى الإسلام فأسلم العديد منهم، الأمر الذي خلق المحبة والتضامن بدلًا من التخويف والجدال ثم جاء العصر العباسي فعمل المهدي على هذه السياسة وأرسل رسائل إلى كافة ملوك وحكّام الهند يدعوهم فيها إلى الإسلام والطاعة والصلح. ولم يكتف برسائل الدعوة فقط بل بعث الوفود وممثلي الخلافة الخواص فأطاع الكثير منهم وفضّلوا الصلح بل وحتى آمن العديد منهم فقال اليعقوبي:

"ووجّه المهدي رسلًا إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة فدخل أكثرهم في طاعته".

ثم ذكر أسماءهم كما يلي: حنحل كابل، واصطبهبد طبرستان، وأخشيد سعد، وشروين طخارستان، وشير باميان، وهرمزان فرخانه، وأفشين أسردشنه، وجيفوبه لخرلحيه، ورتبيل سجستان، وطرخان ترك، ومهوران تبت، وروي السند، بغبور الصين، ومهراج بورس الهند، وخاقان تغرغر.

يبدو من النظر إلى أوضاع السند الداخلية أنّ هذه الدعوة والوفادة قد وجّهتا في بداية عهد المنصور لكي لا يسهم ملوك وحكّام المناطق المجاورة في إفساد وضعها الراهن ولا تتحول هذه القضية المحلية إلى فتنة كبرى جارفة. فقد لبّى ملوك وحكّام المناطق المجاورة على هذه الدعوة للصلح.

---

[1] المصدر نفسه، 136/3

إمارة محمد بن الليث بن طريف الخزاعي المؤقّتة: كان الليث بن طريف أميرًا على السند في نهاية عهد الخليفة المهدي والذي قضى على عصبية العرب وفتنة الزط والشر المنتشر في السند وهو الذي كان أميرًا عليها في فترة الخلافة القصيرة للخليفة الهادي (169-170هـ) ثم دعاه موسى الهادي إلى بغداد كما يقول خليفة بن الخياط فجعل ولده نائبًا له وتوجّه نحو بغداد ولكن موسى توفي قبل وصول الليث إلى بغداد.

"السند- مات المهدي وعليها الليث مولاه فكتب إليه موسى أن يحدر فانحدر واستخلف ابنه محمد بن الليث فمات موسى قبل أن يصل إليه".[1]

وخلال الفترة القصيرة لنيابته لم يؤدّ محمد بن الليث خدمة جليلة تذكر وذلك لأنّ الأمن الذي عمّمه والده كان إبقاؤه هو الخدمة ذاتها.

أبو حارثة الهندي خازن بيت مال الخلافة: كان أبو حارثة الهندي خازن بيت مال الخلافة في زمن الخليفة المهدي فذات مرة أصبح بيت المال فارغًا فوضع أبو حارثة الهندي مفاتيحه أمام المهدي قائلًا: لا يفيدنا حمل مفتاح بيت المال الفارغ وأن يفوّضه إلى أحد غيره. ثم نظّم المهدي لجني الأموال وملأ بيت المال في غضون أيام ولم يجد أبو حارثة الهندي فرصة الحضور إلى البلاط لثلاثة أيام. فلما بلغ سأله المهدي عن سبب التأخير ردّ عليه قائلًا: كنت أعدّ خزائن بيت المال وأحسب ودائعه فقال له المهدي: أيها الأحمق الأبله: هل كنت تظن أنّ الأموال لا تبلغنا حين الحاجة فردّ عليه أبو حارثة: الحادث لا ينتظر جمع الأموال له.[2]

أمة المهدي سكر السندية: من بين إماء المهدي كانت سكر السندية التي ولدت له إسحاق بن المهدي وكانت أذناها مثقوبتين.[3]

---

[1] تاريخ خليفة، 707/2

[2] مروج الذهب، 248/2

[3] كتاب المنمق، ص 505

وفي عهد الخليفة المهدي وقع في السند حادث منكر حط قدر الأرقاء والخدّام السنديين وتحوّل حسن صيتهم إلى سوئه.

كتب المسعودي في مروج الذهب وابن عماد في شذرات الذهب أنّ عيسى بن دأب كان أبرز علماء الحجاز في العلم والأدب وكان يكلف به الخليفة الهادي فبلغ بلاط الهادي أنّ غنياً مهلبيًّا ربّى ولدًا سنديًّا أو هنديًا فلما كبر الولد شغف بأمته حبًّا ورغّبها فيه فاتفق أنّ سيّدها قد رآهما معًا فجعل العبد خصيًا عقابًا على ذلك ثم داواه وسكن العبد مع سيّده. كان لسيّده ولدان أحدهما كان طفلًا بينما الآخر كاد أن يبلغ رشده فذات يوم حين كان سيّده خارج البيت أمال الرقيق الولدين وبلغ بهما سقف الدار فلما رأى السيّد هذه الحالة سأله عن السبب وهل أردت هلاكهما فلم يكترث الرقيق بما سأله سيّده.... فإن لم تقطع ذكرك أمامي فسأسقطهما من السقف فرفع السيّد صوته وأنشده بالله فردّ عليه الرقيق بأنه لا يبالي بموته فماذا بهذين وأراد أن يسقطهما من السقف فقلق السيّد وأخذ السكين وقطع ذكره ولكن الرقيق لم يصبر على هذا وأسقط الولدين من السقف فانكسرت أعضاء جسدهما ثم قال له الرقيق: ما فعلت كان ثأري وكل ما فعلت زيادة على هذا الثأر.... فلما بلغ هذا الخبر الخليفة الهادي كتب إلى أمير السند وأمره بمعاقبة العبد وتعذيبه نكالًا كما أمر بإجلاء كافة الأرقاء والخدّام السنديين من السند: "فكتب الهادي بالكتّاب إلى صاحب السند بقتل الغلام وتعذيبه بأفظع ما يمكن من العذاب وأمر بإخراج كل سندي من مملكته".

وهذا أسفر عن خفض قيمة الأرقاء والخدّام السنديين في زمن الهادي وجعل الناس يحقّرونهم.[1]

ولا نجد حادثًا يذكر مما سواه في السند زمنَ خلافة الهادي.

[1] مروج الذهب، 335/3 وشذرات الذهب، 202/1

إمارة الليث بن طريف مرة أخرى: سبق أنّ محمد بن الليث بن طريف كان أميرًا على السند حين وفاة المهدي والذي أراد بغداد على دعوة من الهادي ولكنه لم يصل إلى بغداد إذ توفي الهادي وبلغها إذ أصبح هارون الرشيد أمير المسلمين فرجعه هارون الرشيد كأمير على السند ولقد ذكره خليفة بن الخياط كأول أمير من أمراء هارون الرشيد السنديين الذين ولّوا فعزلوا فهو يقول: "السند- ولّاها الليث مولى أمير المؤمنين ثم عزله".[1]

إمارة الليث هذه المرة كانت مؤقتة وغير ثابتة فلم يذكرها المؤرخون الآخرون ويمكن أنّ رجوع الليث إلى السند حلقة أخرى لإمارته الأولى كما يبدو من بيان اليعقوبي.

إمارة السالم بن أبي سالم اليونسي: قد ذكر خليفة بن الخياط الليث بن طريف أمير السند الأول في عصر الهارون بينما اعتبر اليعقوبي سالم بن أبي سالم أوّل أميرها والذي ذهب إلى السند بعد عزل الليث بن طريف: "واستعمل هارون على السند سالمًا اليونسي مولى إسماعيل بن علي مكان الليث مولى أمير المؤمنين".

ولقد ذكر خليفة إمارة سالم بن مولى بنفس الأسلوب ولكن جاء فيها: "ثم عزله وولّاها البرنسي سالم مولى أمير المؤمنين".

ولقد ذكر خليفة نسبة سالم "البرنسي" بدلًا من "اليونسي" و"مولى أمير المؤمنين" بدلًا من "مولى إسماعيل بن علي" ولم يجد سالم فرصة للقيام المديد هنا ولكن الأيام التي قضاها كان حميدًا فيها ولم يكتب اليعقوبي عنه سوى جملة واحدة: "فأحسن السيرة".

موت سالم اليونسي وإمارة إبراهيم بن سالم المؤقتة: فترة إمارة سالم اليونسي قصيرة جدًا فقد توفي بالمنصورة بعدما وصل إلى السند فجعل ولده إبراهيم نائبًا له حين الوفاة والذي أقام بها لمدة سنة وذكر خليفة إمارته ونيابته كما يلي:

---

[1] تاريخ خليفة، 746/10

"وولّاها البرنسي سالم مولى أمير المؤمنين فمات بها واستخلف ابنه إبراهيم بن سالم فولّاها سنة ثم عزل".

وقد ذكر اليعقوبي وغيره من المؤرخين إمارة أبي سالم اليونسي فقط فلم يصرح عن إمارة إبراهيم بن سالم سوى خليفة ولا نعلم شيئًا غير ذلك، وقد وقعت هذه التغييرات في إمارة السند في الفترة ما بين 170هـ و174هـ.

إمارة إسحاق بن سليمان الهاشمي: وبعد سنة واحدة عزل هارون الرشيد إبراهيم بن سالم وولّى السند إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي في 174هـ، ذكر إمارته اليعقوبي وخليفة كلاهما، وكذا قال اليعقوبي: "وقدم البلد، وكان عفيفًا".

وصرح ابن الأثير أنه ولّي السند ومكران في 174هـ وأما ابن خلدون فقد ذكر سنة وفاته 174هـ مع أنه كان حاكمًا على مصر في 177هـ و178هـ.[1] ولم يبلغنا عن إسحاق بن سليمان سوى أنه قدم دار الإمارة المنصورة وكان شهيرًا لعفته.

إمارة طيفور بن عبد الله الحميري وشدة العصبية القبلية في السند: لم يقم بها إسحاق بن سليمان الهاشمي كما سنّه الأمراء السابقون وولّي مكانه طيفور بن عبد الله بن منصور الحميري مولى المهدي وذكر خليفة بن الخياط اسمه محمد بن طيفور ولكن الصحيح هو طيفور، ذكر اليعقوبي إمارته كما يلي:

"ثم عزله وولّى طيفور بن عبد الله بن منصور الحميري فهاجت بين اليمانية والنزارية حربٌ، فوجّه جابر بن الأشعث الطائي على غربي النهر ومكران".[2]

وسبق أنّ اليمانية والنزارية قد أثاروا العصبية القبلية ولكن الليث بن طريف الخزاعي قد أخمد تلك الثورة بقدر كافٍ ولكنها قد رسا أصلها حتى كانت تنمو شيئًا فشيئًا ولذا فقد تجدّدت حتى في عصر خليفة قوي كمثل هارون الرشيد

[1] تاريخ خليفة، 748/4، تاريخ اليعقوبي، 493/4، تاريخ الكامل، 40/9 و46 و47، تاريخ ابن خلدون، 463/3

[2] تاريخ اليعقوبي، 414/2 و594

وضجّت الدولة الإسلامية كلها بالثورة ولم تنج الهند منها ولقد حاول طيفور بن عبد الله الحميري كل جهده لإخمادها فكان مقيمًا في دار الإمارة المنصورة إلا أنه لم يغفل عن التطورات في السند فأرسل أميرًا تابعًا له وهو جابر بن الأشعث الطائي إلى غربي نهر السند ومكران ولنعلم هنا أنّ طيفور الحميري وجابر بن الأشعث الطائي كانا من اليمانية فلا يمكن اعتبارهما غير منحازين.

إمارة سعيد بن مسلم الباهلي ومعاملة أخيه كثير بن مسلم السيئة: وبعد طيفور الحمير ولّى هارون الرشيد على السند سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي فأشرك في أمره أخاه كثير بن مسلم بن قتيبة الباهلي. كان سعيد بن مسلم عالمًا كبيرًا للحديث والعربية إلا أنه قد اختار سبيل الإمارة والحكومة فكان حاكمًا على مركز لخراسان قبل إمارته على السند وأما كثير فقد حكم سجستان. يقول اليعقوبي عن إمارة كلا الأخوين:

"وولّى سعيد بن مسلم بن قتيبة فوجّه أخاه كثير بن مسلم فأساء السيرة وكان مذمومًا".[1]

وقال خليفة بن خياط:

"وولّى سعيد بن مسلم بن قتيبة فوجّه أخاه كثير بن مسلم ثم عزل".[2]

يبدو من قول اليعقوبي أنّ كثير بن مسلم كان غافلًا ولم يكن يشعر بالمسؤولية وأنه لم يكن ناجحًا في إمارته.

السند تحت إمرة والي البصرة عيسى بن جعفر بن منصور: لقد مضى عصر سعيد بن مسلم في قلق وفوضى لأجل العصبية القبلية ففي الحرب بين اليمانية والنزارية كانت النزارية يعزمون على السيطرة على السند كلها فكانت ملتان تحت سيطرتهم بل كأن بنجاب كلها كانت تحت سيطرتهم وفي هذا الوضع

---

[1] المصدر نفسه، 454/2

[2] تاريخ خليفة، 746/2

الحرج فوّض هارون الرشيد السند ومكران إلى إمارة البصرة عيسى بن جعفر بن منصور وقد كان عيسى، في ذلك العهد، يحكم على فارس والأهواز واليمامة، ولقد مضى أنّ المهدي فوّض السند تحت إمارة البصرة محمد بن سليمان الهاشمي وذلك لأنها كانت مركزًا للحروب القبلية والسيطرية.

إمارة محمد بن علي التغلبي وشدة العصبية القبلية: لما وضعت السند تابعة لإمارة البصرة عيسى بن جعفر عزل أميرها سعيد بن مسلم وأقيم مقامه محمد بن عدي التغلبي. لم يذكر خليفة بن خياط إلحاق السند بالبصرة فذكر مجرد عزل سعيد بن مسلم وتعيين محمد بن عدي التغلبي ولنعلم أنّ أمير السند المعزول كان ابن أخت هشام بن عمرو التغلبي فلما وصل إلى ملتان من المنصورة لم يسمح له أهل ملتان أن يدخل فيها. يفصّل هذا كله اليعقوبي كما يلي: "فبعث إليها محمد بن عدي التغلبي، فلما قدم بدأ بالعصبية والتحامل وضرب القبائل".

يبدو من هذا أنّ محمد بن عدي التغلبي ذاته أصبح عرضة للعصبية القبلية فلما جاءها أثار نارالعصبية القبلية وشجّع بعضها على قتال البعض حتى أصبحت السند عرضة للقتال والدمار.

الفشل في تسخير ملتان: كانت العرب مسيطرين على ملتان ولما جاء محمد بن عدي زاد الطين بلة وعمّ السند القتال والدمار، وفي هذه الفترة سار محمد بن عدي بجيشه لتحرير ملتان من المتغلبة ولكن عربها قد هزموه فهرب من ساحة الحرب. يقول اليعقوبي: "وخرج من المنصورة يريد الملتان فلقيه أهلها فقاتلوه فهزموه ونهبوا ما معه من السلاح ومرّ منهزمًا لا يلوي على شيء حتى صار إلى المنصورة فالتحمت العصبية بين اليمانية والنزارية واتصلت".

ويذكر خليفة: "وولّي محمد بن عدي بن أخت هشام بن عمرو فمنعه أهل الملتان".

وما أبداه القبائل العربية في السند وبنجاب من التقاتل والتدامر كان أشنع نموذج لقصر فهمهم وبلاهة عقلهم فقد كان هذا عصرًا ملائمًا لنشر الإسلام

ولإمالة قلوب الهندوس المحليين إليه عن طريق محاسن الأخلاق والمحبة لهم فقد سبقهم الخليفة المهدي بعقد الصلح عن طريق الرسائل والوفود فكان للمسلمين أن يترجموا الإسلام بقولهم وفعلهم ولكن من الأسف أنهم قد أعادوا ذكرى الجاهلية الأولى ففي زمان كانت العصبية القبلية تفعل فعلها في السند وبنجاب لم يكن وضع الشام ودمشق مختلفًا عنهما ففي 176هـ وقعت الفتنة الكبرى بين النزارية واليمانية وكما قال المؤرخ: إنّ العرب أعادوا ذكرى جاهليتهم فقتل فيها كثير من الناس وكان يحكم على دمشق مولى لأبي جعفر المنصور يسمّى سندي بن سهل فلما وقعت الفتنة صان دمشق بالحدود والجدران لكيلا يدخلها النزارية[1] فلننظر إلى غرابة هذه الفتنة أنّ العرب يحاولون الاستيلاء بينما يحاول مولاهم السندي الدفاع عنهم.

إمارة عبد الرحمن بن سليمان الهاشمي ونيابة عبد الله بن علاء الضبي: لما انهزم محمد بن عدي التغلبي على أيدي عرب ملتان هزيمة ملؤها ذلة وصغار عيّن أميرها عبد الرحمن بن سليمان الهاشمي فأقام بها لأيام ثم جعل عبد الله بن العلاء الضبي نائبه ورجع إلى العراق، يقول خليفة: "وولّي عبد الرحمن بن سليمان بن علي، ثم خرج واستخلف عبد الله بن العلاء الضبي".[2]

لم يذكر اليعقوبي سوى إمارة عبد الرحمن بن سليمان ولقد سبقه أخواه كأميرين على السند ألا وهما محمد بن سليمان بن علي وإسحاق بن سليمان بن علي ولكن ما هي فترة هذه الإمارة وتلك الاستخلاف؟ وماذا خدمها عبد الرحمن الهاشمي وعبد الله الضبي؟ لا نعثر على أيّ منهما.

إمارة أيوب بن جعفر بن سليمان وورود سليمان بن سعيد للسند: لما رجع عبد الرحمن بن سليمان إلى العراق جعل أميرها ابن أخته أيوب بن جعفر بن

[1] البداية والنهاية، 168/10

[2] تاريخ خليفة، 746/2

سليمان بن علي الهاشمي ولكنه لم يأت إليها بل جاءها ممثّله سليمان بن سعيد بن زيد، يقول خليفة:

"ثم ولّي أيوب بن جعفر بن سليمان بن علي فوجّه أيوب على مقدمته سليمان بن سعيد بن زيد ثم مات أيوب قبل أن يدخلها".[1]

ولم يكتب اليعقوبي سوي ما يلي: "ثم ولّي أيوب بن جعفر بن سليمان".

اسمه الكامل جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان أولاده الثلاثة من أعيان زمنهم وهم أيوب وعبد الرحيم وسليمان وكانوا أمراء وحكاماء لمختلف البلاد، لم يحرم أولادهم من هذه المناصب.[2] لم نقف على أخبار سليمان بن سعيد بن زيد فقد مضى العهد الهاروني بأسره (170-184هـ) في هذه المنطقة في فوضى وعدم هدوء فجاءها العديد من الأمراء والحكام كما غيّرت النظم والإدارة ولكن ثورة العرب لم تخمد. ويعجز المؤرخ عن معرفة السبب في انتشار العصبية والفوضى في هذه الديار بالرغم من خليفتهم العظيم مثل هارون الرشيد ولم يقدر الأمراء والحكام على كبح جماحهم حتى جاء داؤود بن يزيد بن حاتم المهلبي وأخوه المغيرة بن يزيد بن حاتم المهلبي فأخمدا الثورة بقوتهما فوجّها القوة التي يمكن توجيهها إلى الأعداء وجّهاها إلى الإخوان وهكذا أساء بعض الأمراء استخدام القوة والذي تسبّب في سوء الوضع فيبدو أنّ أمراءها قد أحيط بهم من قبل هذه العصبية فلم يعدلوا بل أشعلوا النار إلى هذا الدمار.

إمارة داود بن يزيد المهلبي وثورة النزارية: في 184هـ ولّى هارون الرشيد داود بن يزيد بن حاتم المهلبي على السند كما صرّح به اليعقوبي وابن الأثير بينما ذكر القلقشندي أنه ولّي في 182هـ والحال أنّ البلاذري لم يذكر إلا

[1] المصدر نفسه، 746/2

[2] جمهرة أنساب العرب، ص 34

داود بن يزيد المهلبي طوال عهد هارون الرشيد وأما خليفة فيكتب أنّ هارون الرشيد ولّى داود بن يزيد المهلبي على السند وقد بقي على هذا المنصب حتى وفاته أي حتى 184هـ فقضى بها تسع سنوات مسيطراً على الأوضاع السيئة من حيث أنّ الأمن ساد البلاد حتى عصر المأمون، وذكر البلاذري أنّ أوضاع هذه البلاد كانت على ما يرام بعد داود بن يزيد بن حاتم حتى جاء عصر المأمون فجاء بشر بن داود بن يزيد فبغى عليه.

شاعر بدوي في بلاط داود بن يزيد: ذكر الجاحظ في "كتاب المحاسن والمساوئ" أنّ بدويًا جاء بلاط داود بن يزيد بالسند وقال: أيا أميرنا! أصغ إليّ لكي أنشد ما قرضته في مدحك فقال داود فورًا: إن مدحتني خيرًا أعطك جائزة ثمينة وإن كان شعرك خلاف ذلك فأرجع إليك القريض فأنشد البدوي ما يلي:

أمنن بداود وجود يمينه ... عن الحدث المخشيّ والبؤس والفقر

وأصبحت لا أخشى بداود نبوة ... ولا حدثانًا وشددت به أزري

فما طلحة الطلحات ساواه في الندى ... ولا حاتم الطائي ولا خالد القسري

له حكم لقمان، وصورة يوسف ... وملك سليمان، وصدق أبي بكر

فتًى تهرب الأموال من ظل كفه ... كما يهرب الشيطان من ليلة القدر

فلما سمع الأمير هذه الأبيات قال: أيا أعرابي! لقد مدحتني خيرًا فقل لي ماذا أعطيك من الجوائز وإن شئت دعني وهذا الفصل. فقال الأعرابي: أنظر الأمير في فصله وهو سيفصل بعد تأنّ وتفكّر فقال داود بن يزيد: لقد حريت أن تعطى جائزة ثمينة على هذه الأبيات ثم أمر بأن يعطى عشرة آلاف درهم.[1]

ورود المغيرة بن يزيد المهلبي وموته في الحرب ضد النزارية: لما ولّي داود بن يزيد على السند بادر بإرسال أخيه المغيرة بن يزيد إليها وفي تلك الفترة كانت

[1] كتاب المحاسن والمساوئ، 390/1

النزارية تفكّر في السيطرة على البلاد كلها بعدما غلبوا على اليمانية فقال اليعقوبي: "فوجّه أخاه المغيرة فرفعت النزارية رؤوسهم وعزموا على أن يقسموا البلاد أرباعًا، ربعًا لقريش وربعًا لقيس وربعًا لربيعة ويخرجوا اليمانية".

وفي تلك الفترة قد احتلت النزارية دار الإمارة المنصورة وامتلكوا ناصيتها فلما جاء المغيرة بن يزيد أغلقوا كافة المداخل ومنعوه عن دخولها ثم سمحوا له على أن لا ينتقم منهم على أساس العصبية القبلية أو أن يدخل بعد أن يغادروا المدينة وفي النهاية اتفق على أن يغادر النزارية المدينة فخرج منها مَنْ خرج ومن لم يخرج أقام بها ثم أغار المغيرة على النزارية بعدما دخل المدينة ولكنهم لم يكونوا في عدد قليل فصابروا على قتاله حتى انهزم المغيرة.[1]

قتل المغيرة بن يزيد في هذه الحرب فصرّح ابن الحزم في جمهرة أنساب العرب: "ولد يزيد بن حاتم المغيرة قتل بالسند".[2]

وذكر المبرد في كامله: "قتل المغيرة بن يزيد بن حاتم بالسند فقتل أخوه داود بن يزيد بن حاتم الذين قتلوه شرّ قتلة".

ثم ذكر المبرد أبيات شاعر يسمّى عبد الله قالها في داود بن يزيد:

أفنى تميمًا سعدها وربابها	بالسند قتل مغيرة بن يزيد
صعقت عليهم صعقة عتكية	جعلت لهم يومًا كيوم ثمود
ذاقت تميم عركتين عذابنا	بالسند من عمرو ومن داود
قدنا الجياد من العراق إليهم	مثل القطا مستنة لورود
يحملن من ولد المهلب عصبة	خلقت قلوبهم قلوب أسود

وهذا الذي قرض أبياتًا تالية في المغيرة بن يزيد بن حاتم:

وكان لهن في كرمان يوم	أمرّ على الشراة بها الشرابا

[1] تاريخ اليعقوبي، 494/2

[2] جمهرة أنساب العرب، ص 370

وإنا تاركون غدًا حديثًا   بأرض السند سعدًا والربابا
تفاخر بابن أحوزها تميم   لقد خان المفاخر بي وخابا[1]

ورود داود بن يزيد ومجزرة النزارية: لما قتلت النزارية المغيرة بن يزيد بالمنصورة كان أخوه داود بن يزيد بالعراق فأسرع إلى السند لما بلغه هذا الحادث وجعل يقتل الجناة فور وصوله إليها، قال اليعقوبي:

"وسار داود بن يزيد لما بلغه الخبر حتى قدم البلد فجّرد فيهم السيف فقتل من النزارية خلقًا عظيمًا وصار إلى المنصورة فأقام يقاتل عشرين يومًا، ولم تزل الحروب بينهم عدة شهور ففتحها، ثم سار إلى سائر مدن السند، فلم يزل يفتح ويخرب إلى أن استقامت له البلاد".[2]

يبدو من هذه السطور أنّ العرب قد مارسوا مجزرة إخوانهم إلى حد التنكيل ففعل داود بن يزيد ما قد جرّ إليه وضع أكثر من خمسة عشر عامًا فقام بذبح النزارية ودخل المنصورة ولم ينته عن القتل حتى عشرين يومًا ثم جال في المدن الأخرى وقطع دابر الفتن المختفية ولو أنّ النزارية ظلوا صابرين في ساحة القتال إلا أنهم استسلموا أمام شدة وحدة نقمة داود بن يزيد وبما أنّ بني تميم كانوا هم الذين تولّوا أمر قتل المغيرة فعانوا الظلم أكثر من غيرهم، وبما أنّ هارون الرشيد قد سئم وضع هذه البلاد السيئ فكتب إلى داود يأمره بالقضاء على عصبية العرب الجاهلية بالقوة فقال ابن عبد ربه في "العقد الفريد": "(هارون الرشيد) وقّع إلى صاحب السند إذ ظهرت العصبية، كل من دعا إلى الجاهلية فعجّل إلى المنية".[3]

وقد نقله أبو منصور الثعالبي في "خاص الخاص" بتغيير بسيط فقال: "وكتب إليه صاحب السند بظهور العصبية فوقّع مَنْ أظهر العصبية فعاجله بالمنية".[4]

[1] الكامل في اللغة والأدب، 34/1-36
[2] تاريخ اليعقوبي، 494/2
[3] العقد الفريد، 214/4
[4] خاص الخاص، ص 88

وقد زاد قتل المغيرة بن يزيد غضب داود بن يزيد وبلغت صدى مجزرة آل المهلب بقندابيل في العصر الأموي بيدي هلال بن الأحوز التميمي إلى هذه المجزرة في العصر العباسي فقد انتقم داود بن يزيد المهلبي من بني تميم وبني سعد وبني رباب فذبح بنو المهلب وأبادوا بني تميم كما حاولوا إبادة بني المهلب بسيوفهم وقد كان بقايا بني المهلب يعتبرون أشجع وأبسل رجال الحكومة وكانوا محتلّين أهمّ مناصب الدولة العباسية وزدْ على سآمة بغداد من السند فإن لم تتخذ هذه الخطوة لأقامت النزارية حكومتهم المستقلة في عهد هارون الرشيد ذاته.

فتح سرست: سبق أنّ أبا جعفر المنصور قد أوجد قسمًا لإمارة البحر يستهدف إلى صيانة الطريق العام عن الميد لاسيما طريق البحر من البصرة إلى الهند والجزائر وأن لا تكون هناك عرقلة للمراكب التجارية في بحر البصرة وبلاد بحر البصرة. كان شهاب بن عبد الملك أمير بحر البصرة في 155هـ زمن خلافة أبي جعفر المنصور ولما جاء المهدي سنة 160هـ أغار في البحر تحت ذلك القسم بقيادة عبد الملك بن شهاب المسمعي والتي هزمت وفتحت في غزوة باربد ولما جاء هارون الرشيد في 170هـ أرسل أمير البحر محمد بن سليمان بن علي جيشًا بحريًا تحت قيادة يحيى بن سعد السعدي وكان هذا الجيش يحتوي على 13 مركبًا حربيًا، بلغ هذا الجيش حتى عمان ولكن الخصوم هربوا ولم يوفقهم للقتال ثم في 174هـ أغار حماد بن نمير على بلاد سرست عن هذا الطريق. ذكرها خليفة بن خياط بهذه الكلمات: "(سنة أربع وسبعين ومئة) وفيها غزا حماد بن نمير بلاد سرست وافتتح مدينة البردان".[1]

أي فتح حماد بن نمير مدينتين في غزواته البحرية عام 178هـ إحداهما البردان التي كانت واقعة على ساحل البحر في غرب البصرة وعلى بعد ستة أميال من طرطوس وأما الأخرى فهي سرست وهي كانت في شرق البصرة.

---

[1] تاريخ خليفة، 714/2

وأول من غزا وافتتح في غوجرات وسرست هو عباد بن زياد والمهلب بن أبي سفرة الأزدي في العصر الأموي ثم توجّه نحوهما محمد بن القاسم فصالحه أهل سرست. وقد سبق أنّ ميد سرست كانوا ينهبون في البر والبحر كليهما ولذا فكانت الحكومة تعاقبهم مرة بعد أخرى ففي هذه السنة شنّت الغارة على مركزهم. وسرست تعريب "سورٹھ" فجاء في فتوح البلدان وتاريخ اليعقوبي كلمة "سرست" كما ذكرها المسالك والممالك بكلمة "سرشت" بينما طبعت في تاريخ خليفة "سرسب" ولكن الصحيح "سرست" ولقد استعمل البيروني هذه الكلمة غير مرة والمراد منها "سورٹھ" أو "سوراشٹر" وهي منطقة واسعة متصلة بساحل البحر في أقصى غوجرات ويوجد بها نهر بنفس الاسم يروّيها وينضم إلى البحر بالقرب من معبد سومنات في شرقه.[1] يعرف العرب هذه المنطقة بـ"بلاد بيت الذهب"، كانت مدينته المركزية "مانكير" (منگرول) وكان يغير عليها كثيرًا إمارة بحر البصرة ولذا سمّوها بـ"مغزى أهل البصرة" في وسط القرن الثالث. والحرب البحرية التي قادها حماد بن نمير لا نعلم عنها شيئًا ولم يذكرها سوى خليفة بن خياط. كانت هذه حربًا عادية كأنها شجار بينهم وبين الميد ولذا لم يذكر فيها فتح أو شيء من الغنيمة.

لا نجد سوى ذكر هذه الغزوة في خلافة هارون الرشيد الممتدة لـ23 سنة فكأن هذه المدة الطويلة ذهب بها العصبية القبلية والنزاع المحلي مع أنّ عصر هارون الرشيد هو أزهر عهود العصر العباسي.

القتال ضد الخوارج في السند والفتح: كانت السند ومكران ملجأ للخوارج منذ العصر الأموي وكان ثوّار الشام والعراق وخراسان وسجستان يجمعون قوتهم هنا، وبقيت هاتان المنطقتان مركزين للأماكن البعيدة فقد اختبأت هنا جماعة الخوارج المنهزمة التي اكتشفها عيسى بن علي بن هامان وأجلاهم

[1] كتاب الهند، ص 129-130

بسعيه من هاتين المنطقتين، ذكر المسعودي: جاء عيسى بن علي بن هامان إلى السند وقندهار ورنج وزابلستان في عصر هارون الرشيد وغزاهم وهزمهم هزيمة نكراء لا يوجد لها نظير. يقول ابن العذافر عنها:

كاد عيسى يكون ذا القرنين بلغ المغربين والمشرقين
لم يدع كابلًا ولا زابلستا ن فما حولها إلى الرنجين[1]

ولكن الفتوح الإسلامية لم تكن فتوحًا بمعناها الحقيقي بل كانت شجارات فيما بين الفريقين أو القبيلتين.

هدية ملك هندوسي لهارون الرشيد: ولقد عامل الملوك الهندوس الخلفاء العباسيين بطريق المصالحة معاملة حسنة ولم يتعرضوا لأمرائها ومسلميها بل تعاملوا معهم بالود والمحبة وسنفصّلها في موضع مناسب. وقد اطمأن الخليفة المهدي بعدما وجّه الدعوة إلى الإسلام والأمن إلى ملوك وحكّام العجم فأرسل بعض الملوك الهندية الهدايا والتحف إلى الخليفة هارون الرشيد فقد كتب أحمد بن محمد بن عبد ربه في "العقد الفريد" أنّ ملكًا من ملوك الهند أرسل إلى هارون الرشيد السيوف القلعية والكلاب السيورية والأقمشة الهندية ولما وصل رسول الهند بهذه الأمتعة إلى بلاد الخليفة أقام هارون الرشيد الجنود الأتراك مواجهًا بعضه للبعض وكانت أجسادهم يواريها الأسلحة بحيث لا تبدو إلا الأعين فلما اصطف هؤلاء الجنود الأتراك دعي رسل وسفراء الملوك إلى البلاط فأدّوا التقاليد والآداب الملكية ثم سألهم هارون الرشيد عما جاءوا بها إليه فأجابوا: هذه أقمشة جيدة من بلادنا ثم قدّموا إليه هدية الأقمشة، فأمر الخليفة بأن يدعى الخياطون ويؤمروا بخياطة السرج (جل) لأفراسه فلما رأى هذا الرسلُ والسفراءُ استحيوا ثم سأله الحارس عما جاؤوا به مزيدًا فأجابوا: هذه سيوف قلعية فاقدة النظير في

---

[1] مروج الذهب، 237/4-238

جوهرها وصقلها (برّش) فأمر هارون الرشيد بإخراج الصمصامة لعمرو بن معديكرب وقطع بها ما جاؤوا به ثم أري للسفراء أنّ الصمصامة لم تؤثر في حدها هذه السيوف فاستحيووا مرة أخرى ثم سئلوا عما جاؤوا أكثر من ذلك فقالوا: كلاب سيورية وهي تفرس الوحوش فقال لهم هارون الرشيد: لو فرست كلابك وحوشنا لصح ما تقولون؟ ثم جيء بأسد فاضطرب سفراء الهند وقالوا: إنّ بلادنا لا يوجد فيها الأسد كمثل هذا ولكن بالرغم من ذلك نحرّض كلابنا عليه فأرسلوا ثلاثة كلاب فرسوا الأسد فقال هارون الرشيد: خذوا ما شئتم من أجود أمتعتنا فتمنّى سفراء الهند الصمصامة ولكن اعتذر هارون الرشيد قائلًا: "ما كنّا لنبخل عليكم ولكنه لا يجوز في ديننا أن نهاديكم بالسلاح ولكن تمنوا غير ذلك ما شئتم".

فقالوا له إننا نتمنّى الصمصامة فردّ عليهم الخليفة بالنفي: "ثم أمر لهم بتحف كثيرة وأحسن جائزتهم".[1]

هدية ملك هندي آخر وعصًا من زمرّد: ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في "كتاب الذخائر والتحف" أنّ ملكًا هنديًا أرسل عديدًا من الهدايا والتحف إلى هارون الرشيد وكانت منها عصًا من زمرّد طولها متر وعلى رأسها عصفور لطيف من الياقوت الأحمر فأهداها هارون الرشيد إلى زوجته أم جعفر الزبيدة بنت جعفر والتي ورثها الأمين ثم المأمون ثم المعتصم بالله.[2]

شاعر هندي في بلاط يحي بن خالد البرمكي: أنشد شاعر هندي بلغته الهندية قصيدة في بلاط يحيي بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد فقام مترجم بترجمتها إلى العربية فأعطى يحيي جائزة للشاعر. نقل الإمام أبو حاتم محمد بن حبان في "روضة العقلاء" عن أبي الهذيل أني كنت لدى يحيي بن

[1] العقد الفريد، 2/203-204

[2] كتاب الذخائر والتحف، ص 20

خالد يومًا إذ جاء رجل هندي بترجمانه فقال الترجمان إنه شاعر ويودّ أن ينشد بعض أبياته في مدحك فأجازه يحي فأنشد الشاعر قريضه بما فيه:

أَرَهِ، أَحَرَهِ، كَكَرَاكِيِ، كِرَهِ، مَنْدَرَهِ

فاستفسر يحيى الترجمان معناه فترجمه المترجم ما يلي من البيت في معناه:

إذ المكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضرب المثل

فلما سمعه يحيى أمر بإعطائه ألف دينار.[1]

هذه أول مناسبة في العهد العباسي حيث ذهب شاعر هندي إلى العراق فأنشد قصيدته الهندية ونال الجائزة عليها.

العود الهندي في خزينة هارون الرشيد: يقول الفضل بن الربيع أنّ الأمين استخلف في 193هـ بعد هارون الرشيد فأحصى كل ما كان في بيت المال الحكومي، العمل الذي استغرق أربعة أشهر فكان البيت يحتوي على ألف سلة للعود الهندي.

ورود منكة الهندي في بغداد ومداواة هارون الرشيد: كتب ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء" أنّ منكة الهندي كان من أبرز فلاسفة وأدباء الهند، وكان متضلعًا من الهندية والفارسية، وطبيباً حاذقًا فذات مرة أصيب الخليفة هارون الرشيد بمرض شديد عجز عن علاجه أطباءُ بغداد فقال أبو عمرة الأعجمي إنّ في الهند طبيباً يدعى منكة فمن المستحسن أن تدعوه عسى أن يشفيك الله بيده فأرسل هارون الرشيد رجلًا مع الزاد إلى منكة فجاء منكة بغداد وداواه فشفي وأعطي منكة الجوائز الثمينة.

ذات يوم كان منكة يمرّ في الطريق حين إقامته ببغداد فوجد رجلًا ينشر أدوية وعقاقير على رداء مبسوط ويقول: إنّ هذا المعجون دواء لكل نوع من الحمى

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 214

والوجع والبواسير والعين ووجع المفاصل ووجع المعدة والصداع والشقيقة وسلس البول والفالج والرعشة فسأل منكة الترجمان عما يقول هذا المرء فلما ترجم له الرجل قال منكة: إن صحّ ما يقول فلم دعاني الخليفة وأنفق أموالًا كثيرة فإنّ هذا المرء موجود لديهم وإن غلط ما يقول فلم لا يقتله الخليفة لأنّ الشريعة قد أجازت قتله فإن بقي هذا المرء حياً فسيقتل يومياً رجلين أو ثلاثة أو أربعة وهذا حافز على الفساد في الأرض والضعف في الحكومة.[1] وكتب الجاحظ في كتاب الحيوان أنّ منكة قد آمن بعد المباحثة والمناظرة.[2]

نشر وتطوير علوم الهند وفنونها وترجمة الطب والحكمة: من أبرز أعمال العصر العباسي نشر وترويج وترجمة علوم الهند وفنونها، وعني بها في عصر هارون الرشيد عناية خاصة وترجمت إلى العربية علوم وفنون الحساب والطب والنجوم والهندسة فقد جعل هارون الرشيد البرامكة وزراء له وهم خدموا هذه العلوم والفنون فقد جعل يحيى البرمكي وزيره وكان ولده موسى بن يحيى بن خالد وحفيده عمران بن موسى البرمكي أميرين على الهند، كان يحيى بن خالد البرمكي محباً شديدًا للعلم فكان يحضر جلساته علماء الإسلام وأدباؤه والعلماء والأدباء غير المسلمين وقد أقام معهدًا علمياً وبحثياً ببغداد باسم "بيت الحكمة" وجمع فيه كتب مختلف العلوم والفنون ومترجميها وهو الذي سبق الخلفاء بعنايته بعلوم الهند وفنونها، قال ابن النديم في الفهرست:

"الذي اعتنى بأمر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة من البرامكة، واهتمامها بأمر الهند وإحضار علماء طبها وحكمائها".[3]

وقال كذلك:

"حكى بعض المتكلمين بأنّ يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند ليأتيه

---

[1] عيون الأنباء في طبقات الأطباء آخذًا من رجال السند والهند، ص 349-350

[2] كتاب الحيوان، 650/2

[3] كتاب الفهرست، ص 384

بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له أديانهم".[1]

الدخل السنوي من الهند في عصر هارون الرشيد: لقد فصّل الجهشياري ما كان تجنيه الدولة العباسية من الهند زمن خلافة هارون الرشيد فقال:

"من السند وما يليها أحد عشر ألف ألف، وخمس مئة ألف درهم، الطعام بالقفيز الكيرخ ألف ألف قفيز، الفيلة ثلاثة، الثياب الحشيشة ألفا ثوب، الفوط أربعة آلاف فوطة، العود الهندي مائة وخمسون منًا، وسائر أصناف العود مئة وخمسون منًا، النعال ألفا زوج، وذلك سوى القرنفل والجوزبوا".[2]

ثم تقلّصت هذه الكمية تدريجيًا فكان يبلغ المركز مجرد مليون في عصر المأمون ثم انقطعت هذه السلسلة.

وفاة داود بن يزيد في 205هـ وإمارة بشر بن داود: كما سبق أنّ هارون الرشيد ولّى داود بن يزيد المهلبي في 184هـ، إنه أرسل أخاه المغيرة بن يزيد لإخماد ثورة العرب التي قتل فيها فجاء داود بنفسه وعاقبهم شديدًا حتى عاد الأمن إلى البلاد. توفي هارون الرشيد في 193هـ زمن إمارته فاستخلف الأمين والذي حكم حتى عام 198هـ. مضى عصر الأمين في قتاله ضد أخيه المأمون حتى قتل فيه، وفي هذه الظروف توفي داود في 195هـ في السند فأقيم مقامه ولده بشر بن داود. هذا ما قاله اليعقوبي فطبقًا لهذا القول كان الوالد والولد كلاهما أميرين على السند في خلافة الأمين. وقد ذكر خليفة بن خياط موت داود بن يزيد بن حاتم في 200هـ بالسند ولكن ابن كثير وابن الأثير ذكرا وفاة داود وإمارة ولده في 205هـ زمن خلافة المأمون[3] فطبقًا لهذا القول لم يؤمر على السند خلال حكومة الأمين سوى داود بن يزيد وهذا ما يؤيد قول البلاذري حيث جاء فيه: "ولم يزل أمر ذلك الثغر

[1] المصدر نفسه

[2] كتاب الوزراء والكتّاب، 283/1

[3] البداية والنهاية، 254/10 وتاريخ الكامل، 55/6

مستقيمًا حتى وليه بشر بن داود في خلافة المأمون فعصى وخالف".[1]

نرى أنّ داود توفّي في 205هـ كما أنّ بشرًا ولّي فيها على السند.

عصيان بشر بن داود: توفي داود بن يزيد في 205هـ في السند ثم تولّى أمرها ولده بشر بن داود. كانت هذه خلافة المأمون (198-218هـ) فتركه المأمون على هذا المنصب شريطة أن يرسل إلى العاصمة مليون درهم سنويًا فقال ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون باختلاف يسير: "فولّى مكانه بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم".[2]

فقد أبدى المأمون ضعفه بسؤاله مليون درهم فقط، الأمر الذي أساء استخدامه بشر فعصى وقطع سلسلة المبلغ المذكور. يقول البلاذري إنّ وضعها كان آمنًا هادئًا ولكن بشر بن داود عصى وسيطر على دار الإمارة المنصورة وبعث ابن عمه إبراهيم بن عبد الله بن يزيد المهلبي إلى مكران.

إمارة إبراهيم بن عبد الله المهلبي المؤقتة وإسهامه في العصيان: من أمراء السند ومكران إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، صرّح ابن حزم عن ولايته في كتابه "جمهرة أنساب العرب": "ولّي إبراهيم بن عبد الله هذا السند ومكران وكرمان نحو عشرين سنة".[3]

من العجب أنّ الأمير الذي حكم على مختلف ديارها لمدة عشرين سنة لا ذكره المؤرخون ولا ذكروا خدماته فيها ولعل هؤلاء لم يذكروه لأنه لم يكن أميرًا مستقلًا بها بل كان أميرًا مؤقتًا وأدّى ما فوّض إليه من المسؤوليات.

ورود الحاجب بن صالح في مكران وحديثه مع إبراهيم بن عبد الله: لما بلغ المأمون خبر عصيان بشر بن داود أرسل الحاجب بن صالح لعقابه فذكر ابن

---

[1] فتوح البلدان، ص 732

[2] البداية والنهاية، 255/10، تاريخ ابن خلدون، 254/3

[3] جمهرة أنساب العرب، ص 370

الأثير أنّ المأمون ولّى الحاجب بن صالح على السند في 25هـ ولكنه لم يثبت أمام بشر بن داود والتفت إلى كرمان[1] وذلك، كما يقول اليعقوبي، أنّ المأمون ولّى الحاجب بن صالح مكان بشر بن داود لما بلغه عصيان الأخير، فلما جاء مكران لقيه أحد إخوة بشر: "فلما صار بمكران ألفى أخًا لبشر بن داود".

فقال الحاجب لإبراهيم أن يحوّل الإمارة إليه لأنّ الخليفة سيأمر بشرًا بذلك عما قريب فيمتثل به فقال إبراهيم: ليس بيدي شيء فإنّ بشرًا أمّرني عليها وهو على مسافة يومين بالمنصورة فلما يلقاني ويأمرني بالتفويض أفوّض الإمارة إليك فوقع النزاع بينهما فكتب الحاجب إلى المأمون أنّ بشرًا عصى الخليفة ويودُّ الخروج.[2]

وقد أشرك بشر بن داود إبراهيم بن عبد الله في حكومة السند ومكران وهكذا فأقام حكومة مهلبية بها فالبلاد التي ضمّها الوالد بالخلافة بعد جهد جهيد جعل ولده يحلم بالسيطرة عليها والحكم في سنوات قلائل. أقام الحاجب بن صالح بالسند ومكران لحوالي سنتين وحاول أن يردّهما إلى الخلافة فلما فشل أخبر المأمون بالوضع الراهن.

ورود غسان بن عباد واستسلام بشر بن داود: لقد فشل عهد الحاجب بن صالح من حيث أنّ السند ومكران سيطر عليهما بشر وإبراهيم ولم ينل الحاجب منصب الإمارة عليهما فلما مضت سنتان كتب إلى المأمون مخبرًا إياه عما يحدث واقترح عليه اتخاذ خطوة حاسمة ففكّر المأمون واستشار حتى أرسل غسان بن عباد في 213هـ لكي يقاتل بشرًا ويرجع سيطرة الدولة العباسية عليها كما جعل موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أميرًا عليها، فهذه أول مناسبة وزّعت الإمارة في قسمين.

---

[1] تاريخ الكامل، 55/6

[2] تاريخ اليعقوبي، 557/2

كتب اليعقوبي أنّ المأمون لما بلغه كتّاب الحاجب دعا محمد بن عباد المهلبي الذي كان رئيس بني المهلب في البصرة وكان عاقلًا وفارسًا وبصيرًا وقال له إنّ بشرًا خرج على الحكومة في السند فلما سمع محمد هذا استعاذ بالله فأمره المأمون بالذهاب إلى السند بمرافقة غسان بن عباد ثم أرسل المأمون غسان بقوّاد الجنود إلى السند ثم أرسل موسى بن يحيى بن خالد البرمكي وطلب غسان أن يجعله أميرًا على المدينة[1] وقد ذكر ابن كثير إمارة غسان في 213هـ ناقلًا ما مضى من القول. ونفسَ الشيء ذكره ابن كثير فقال إنّ المأمون ولّى غسانًا السند في 213هـ وذلك لأنّ بشر بن داود خرج على الحكومة ولم يرسل الخراج إلى دار الخلافة وعصاه فاستشار المأمون ندماءه عن غسان وقال إني أريد أن أفوّض إليه خطبًا عظيمًا فأثنوا عليه إلا أحمد بن يوسف الذي كان يسمع ما كانوا يقولون فسأله المأمون عنه فقال إنّ محاسن غسان أكثر من مساوئه فسينصف حيث ترسله ولا يقوم بفعل يجلب الاعتذار فقال له المأمون: ولو أنك لا تحسن الظن به إلا أنك تمدحه فردّ عليه أحمد ناقلًا القول التالي:

كفى شكرًا لما أسديت أني صدقتك في الصديق وفي عداتي

فسرّ المأمون بحسن أدب أحمد وأرسل غسانًا إلى السند، الذي كان وقتها أميرًا على بحر البصرة. وعلى كل حال فلما بلغ غسان بجنوده وقوّاده إلى السند خاف بشر وطلب الأمان وحضر غسانًا بل سلّم نفسه إليه بدون أيّ جدال. أقام بها غسان لحوالي سنتين وفي 216هـ بلغ العراق ببشر بن داود وأعضاء أسرته المهلبية وأمرائه فعفى المأمون عن الكل وأحسن إليهم وأكرمهم.[2]

ذكر كل من ابن الأثير وابن كثير ورود غسان إلى السند في 213هـ

---

[1] المصدر نفسه، 558/2

[2] فتوح البلدان، ص 432، تاريخ اليعقوبي، 55/2، والبداية والنهاية، 207/10، وتاريخ الكامل، 137/2

ورجوعه في 216هـ وهذا يعني أنه كان أمير الحرب في السند لمدة سنتين وبعدما أدّى مسؤوليته رجع إلى العراق. قال شاعر عن قوة وجلالة غسان بن عباد واستسلام بشر بن داؤود:

سيف غسان رونق الحرب وسمام الحتوف في ظبتيه
فإذا جرّه إلى بلد السنـ ـد فألقى المقاد بشرٌ إليه
مقسمًا لا يعود ما جنّ لد ـه مصلٍّ، وما رمى جمرتيه
غادرًا يخلع الملوك ويغتا ل جنودًا تأوي إلى ذروتيه[1]

وبعد هذا خمدت الثورة وأرسل غسان جنودًا قوية سرًا.

ثم جعل غسان أميرًا على خراسان من قبل السهل بن الحسن وفي 218هـ ولّاه المعتصم بالله على الجزيرة وقنسرين والعواصم.

إبراهيم بن فزارون الطبيب الخاص لغسان: كان إبراهيم بن فزارون من أمهر وأحذق حكماء وأطباء بغداد وكان يرتبط ببلاط غسان وكان يرافقه حيثما جعل أميرًا فكان طبيبًا خاصًا لغسان فلما جعل أميرًا على السند قدم إبراهيم معه.

لحم طاؤوس السند: يقول إبراهيم الطبيب إنّ غسان بن عباد لما جاء السند لم يزل يتمنى اللحم البائت والبارد لمدة ثلاثة أشهر والنصف منذ النوروز حتى المهرجان ولكنه لم يقدر على تناول قطعة منه وذلك لأننا وعندما كنا نطبخ اللحم كان يفسد بعد أن يبرد واضطررنا إلى رميه إلا أنّ لحم طاؤوس السند ألذّ من لحم الطاؤوس في أيّ مكان فقد تناولت لحمه حين إقامتي بالسند ولم أجد لحم طاؤوس ألذّ مما في السند.

سمك سندي عجيب: ولقد ذكر إبراهيم بن فزارون تناوله سمكًا سنديًا بطريقة طريفة ممتعة فيقول إنّ الناس ذكروا لغسان بن عباد أنه يوجد في نهر السند سمك يشبه ولد شاة، إنه يطلى بالطين من الرأس إلى الذنب ثم يشوى على

[1] تاريخ الطبري، 626/8

النار ثم يوكل بحيث لا يكسر الشوك الرئيسي منه ثم يجعل ذلك الهيكل في الماء فيحيي ذلك السمك بعد أيام وينمو اللحم والجلد عليه فلما سمع غسان هذا جعل حوضًا بفنائه وجعل فيه السمك وكنّا نفعل كلّ يوم كما قيل لنا فإذا كسرنا الشوك الرئيسي مات السمك، وإذا لم نكسره عاد السمك إلى الحياة بعد أيام. والفرق بين السمك الأول المأكول والسمك الثاني الحيّ هو أنّ الأول لونه أسود والثاني لونه ضارب إلى البياض.[1]

إمارة موسى بن يحيي البرمكي وقتاله ضد ملك پال: سبق أنّ المأمون أرسل موسى بن يحيي بن خالد بن برمك إلى السند في 213هـ قائلًا لغسان إنه سيكون أمير البلد فجعله غسان مسؤولًا عن شؤون البلد وتوجه بنفسه إلى بشر ولما وصل غسان إلى العراق في 216هـ أصبح موسى أميرًا مستقلًا بالسند فخرج في زمنه ملك هندوسي فقاتله.

وذلك أنه حينما كانت تجري مناقشات بين غسان بن عباد وبشر بن بدر سطا ملك هندوسي يدعى پال على غسان في شرق السند ومكران وكتب الملك الهندوسي إلى غسان أن يحضر جنوده كما فعل الملوك الآخرون ولكن أنكر دعوته غسان ومضى ما مضى ولكنه لما رجع غسان إلى العراق وأصبح موسى أميرها فأسر ذلك الملك الهندوسي فأراد الملك أن يفدي ذاته بخمسمئة ألف درهم ولكن موسى قتله[2] وحينما كان غسان يقاتل عدوّه بشر فطلبُه الملك الهندوسي إليه كان كيدًا عظيمًا ولعل الملك أراد أن يمنع غسان عن عقاب بشر بيديه ولكن غسان أدرك ما أراد الملك ولم يستحسن أن ينازعه ولكن موسى قتله على جريمة أنه تدخل في شؤون المسلمين الداخلية وحرّض أعداء الدولة الإسلامية. وأراد الملك أن يفدي نفسه بخمسمئة ألف درهم ولكن موسى لم يقبلها.

مآثر موسى بن يحيي الأخرى ووفاته: تولّى موسى بن يحيي البرمكي إمارة

---

[1] تاريخ الحكماء للقفطي، ص 75 وطبقات الأطباء، 170/1

[2] فتوح البلدان، ص 432

السند منذ 213هـ حتى 221هـ وفي أثناء ذلك استخلف المعتصم بالله (218-227هـ) فقد قضى موسى سنوات إمارته البضع في خلافة المعتصم بالله ولكن لا نجد تفاصيل أعماله وخدماته كمثل الأمراء الآخرين إلا أنّ البلاذري كتب بعد حدث الملك پال: "وأثر موسى أثرًا حسنًا ومات سنة إحدى وعشرين، واستخلف ابنه عمران بن موسى".

وقد ذكر اليعقوبي إمارة موسى بن يحيي ومآثرها فيها وقيامه بالسند لبضعة أعوام كما يلي:

"وولّى البلد موسى بن يحيي فلم يزل موسى في البلد حتى مات فصار ابنه عمران بن موسى مكانه".[1]

لا نجد تفاصيل مآثر موسى بن يحيي إلا أنه حكم على السند بنجاح في زمن الفتن.

قيام الدولة الماهانية في سنجان (غوجرات) في عصر المأمون: لقد مضى أنّ ميد الهند كانوا ينهبون من البصرة إلى السند ومكران وكانت غوجرات وسرست مركزين مهمين لهم ولأجل هؤلاء الميد جعل الخلفاء العباسيون إمارة حاصة باسم إمارة البحر فكان هؤلاء الأمراء والقوّاد يعاقبون الميد وعلى هذا فقد أجريت غزوات بحرية في قندهار وباربد وسرست وافتتحوها ولكن مع هذا فكان ميد غوجرات وسرست نشيطين في الفتنة والفساد في البحر والبر. وبما أنّ أوضاع مناطق السند ومكران كانت ذات حرج لأجل العصبية القبلية للعرب فلم يجد أمراؤها الفرصة لعقاب هؤلاء القراصنة حتى سيطر فضل بن ماهان رقيق حرّره بنو سامة على غوجرات في زمن المأمون فأقام دولته في سنجان (سندان)، بومباي، وارتبط بالدولة العباسية وقرأ الخطبة باسمهم وقدّم الهدايا إليهم والتحف. لم تكن هذه المنطقة تحت سيطرة الخلفاء العباسيين بل كان يحكمها الملك بلهرا فإقامة دولة مستقلة هنا لم ينكرها الخلفاء العباسيون،

[1] تاريخ اليعقوبي، 558/2

لقد أقام فضل بن ماهان هذه الحكومة المستقلة في عصر المأمون ولما توفي قام مقامه محمد بن فضل بن ماهان ثم أعدّ أسطولًا بحريًا وقاتل الميد وسيطر على پالي تهانه من غوجرات ولما رجع وجد أخاه ماهان بن فضل بن ماهان مسيطرًا على سندان فوقع القتال بين الأخوين قبل العام 203هـ الذي توفي فيه محمد بن فضل بن ماهان فسيطر على سندان أخوه ماهان بن فضل وراسل إلى الخليفة المعتصم بالله وأرسل الهدايا إليه ولقد أيّد الهندوس المحليّون محمد بن فضل في هذا النزاع الداخلي فصلبوا ماهان بن فضل فيما بعد وسيطروا على سندان تاركين مسجده للمسلمين لكي يصلّوا فيه ويدعوا لخليفتهم.[1]

ولو اعتبرنا أنّ هذه الحكومة ابتدأت في 198هـ وانتهت في 227هـ فمدتها تكون 28 أو 29 سنة ولقد فصّلنا عن الدولة الماهانية بسندان في كتابنا "هندوستان ميں عربوں كى حكومتيں" (حكومات العرب في الهند) ولقد حاولت قبائل العرب مرارًا وتكرارًا أن يسيطروا على ما سيطر عليه المسلمون ولكنهم لم ينجحوا فيها وعوقبوا من قبل الخلافة ولكن الدولة الماهانية قد أقيمت في منطقة أخرى وكانت قد تمتّعت برضى الخلافة فإن لم يقض عليها في معركة الأخوين لأفادت الإسلام والمسلمين كثيرًا.

نزاع سندان بين الأخوين وتدخل جنود الخلافة فيه: يبدو من بعض القرائن أنّ القتال بين محمد بن فضل وماهان بن فضل قد وقع قبل 202هـ وأعان فيه جنود المأمون محمد بن فضل وساهموا في القتال، الأمر الذي قد جعل الوضع سيئًا للغاية فيقول كتّاب الوزير الحسن بن سهل إنه قد وجدت ورقة في جيش المأمون كتب فيها شعران فلما رآهما مجاشع بن سعده قال إنهما لصديقي أبي العتاهية وهما لن يتعلقا بي بل يتعلقان بالفضل بن سهل (ت 202هـ) فذهب الجندي بالورقة إلى الفضل بن سهل فلما قرأهما قال إني لم أفهم معناهما فلما بلغ

[1] فتوح البلدان، ص 432-433

الأمر المأمون أمر بمجيء الورقة إليه وأنه سيعرف فقد جاء فيها البيتان:

ما على ذا افترقنا بسنـ ـدان وما هكذا عهدنا الإخاء

تضرب الناس بالمهنّد البيـ ـض على غدرهم وتنسى الوفاء[1]

فوجود هذين البيتين لأبي العتاهية في جيش المأمون بصورة غير واضحة وبلوغها إلى الوزير حتى الخليفة يدلّان على أنّ الحملة العسكرية كانت شديدة.

وكذا يمكن تقدير هذا النزاع بين الأخوين بسندان من أنّ الاشتراك في "أيام سندان" أي حرب سندان كان يعتبر آية للشجاعة وكانوا يعتبرونه مأثرة لهم فقد قال خالد بن يزيد أحد أرقاء آل المهلب والذي كان غنياً جدًا بجانب كونه بخيلًا للغاية قال لولده حين الموت:

"لم تشهدني وكردويه الأقطع أيام سندان ولا شهدتني في فتنة سرنديب ولا رأيتني حرب الملتان".[2]

يبدو كذلك من هذا أنّ خالد بن يزيد مولى آل المهلب قد أقام بملتان وسندان وسرنديب وكان يحضر معارك الهند في العهد العباسي.

إسلام الملك رتبيل: كانت باميان تعتبر جزءًا من الهند وكانت متصلة بها، كانت ملوكها تلقّب بـ"رتبيل" فأسلم رتبيل في عصر المأمون وأهدى إليه إهليلج كابل الغض فقال البلاذري إنّ أمراء المهدي والرشيد كانوا يأخذون الجزية من ملوك سجستان الرتبيل حسب مقدرتهم فالفترة التي كان فيها المأمون في خراسان قد تضاعف هذا المبلغ أضعافًا مضاعفة وأسلم ملكه وأطاع الخليفة.

"وأظهر ملكها الإسلام والطاعة وأدخلها عامله واتصل إليها البريد فبعث إليه منها بإهليلج غض ثم استقامت بعد ذلك حيناً".[3]

---

[1] الأغاني، 52/4

[2] كتاب البخلاء، ص 74

[3] فتوح البلدان، ص 353

ولقد كانت لملوك باميان الرتبيل علاقة ودية مع المسلمين منذ الخلافة الأموية.

إسلام ملك تبت وهدية ثمينة للكعبة: وفي زمن المنصور أسلم ملك هندوسي من تبت في صعيد السند وأرسل هدية ثمينة إلى بيت الله مبديًا إخلاصه للدين فقد روى الإمام الأزرقي عن سعيد بن يحيي في أخبار مكة أنّ ملكًا هندوسيًا آمن في تبت وكان لديه صنم من الذهب على هيئة إنسان وكان على رأسه تاج من الذهب مرصّع من الجواهر والياقوت الأحمر والياقوت الأخضر والزبرجد وكان الصنم موضوعًا على عرش قوائمه من الذهب والفضة وكان عليه فرش من الديبا كانت حواشيه ذهبية وفضية مرخاة فأرسل الملك الصنم وعرشه إلى المأمون في خراسان وقال إنه هدية إلى الكعبة فأرسلها المأمون إلى وزيره الحسن بن سهل ومن ثم أرسل إلى مكة المكرمة عن طريق مسؤول عسكري من بلخ نصير بن إبراهيم الأعجمي وعرض على الحجاج في موسمه كعلامة لعلوّ شأن الإسلام ولما رجع الحجاج من منى وضعه نصير بن إبراهيم الأعجمي على فرش موضوع على العرش برحبة عمر بن الخطاب بين الصفا والمروة وبقي الصنم كذلك لثلاثة أيام وكان ابن أخت نصير بن إبراهيم محمد بن سعيد يحرسه وكان بيديه لوح من الفضة مكتوب فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا سرير فلان بن فلان ملك التبت، أسلم وبعث بهذا السرير هدية إلى الكعبة فاحمدوا الله الذي هداه للإسلام".

وكان محمد بن سعيد يجلس في هذا السرير فيقرأه صباح مساء وكان يحمد الله الذي هدى ملك التبت للإسلام".[1]

رسالة الملك رهمي ببنغال وهديته إلى المأمون: كتب الملك رهمي ببنغال إلى المأمون وأهدى إليه التحف فسرّ به المأمون، وقد ذكر تفصيله القاضي الرشيد بن الزبير بأنّ ملك بنغال (الهند) رهمي أرسل إلى المأمون هدايا وتحفًا برسالة تالية:

[1] أخبار مكة للأزرقي، 480/1

"بسم الله الرحمن الرحيم

من رهمي ملك الهند، وعظيم أركان المشرق، وصاحب بيت الذهب وأركان الياقوت وفرش الدرّ. الذي قصره مبنيٌّ من العود الرطب الذي إذا ختم عليه قبل الصورة قبول الشمع. والذي توجد رائحة قصره من عشرة فراسخ. والذي في خزائنه ألف تاج من الجوهر لألف أب كانوا له ذهبوا. والذي يسجد له أمام البدّ الأكبر. الذي وزنه ألف ألف مثقال من الذهب وعليه ألف حجر من الياقوت الأحمر والدرّ الأبيض. والذي يركب في يوم السعادة وعلى رأسه التاج في ألف موكب. كل موكب له دابة مكلّلة بالدر وتحتها ألف فارس معلّمين بالحرير والذهب. والذي في مربطه ألف فيل أبيض خزائمها أعنّة الذهب. والذي يأكل في صحائف الجوهر على موائد الدر المنضود. والذي يستحي من الله أن يراه خائنًا له في رعيته بعد أن استكفاه الأمانة عليهم والرئاسة على أهل مملكته.

أما بعد. فإنه لم يذهب علينا أنّ ما تقدّم من ذكرنا أيها الأخ فيما انتسبنا إليه من الشرف وعلوّ الحال غير طائل لزواله. وأنه كان الأولى أن نبتدئ بذكر الله تعالى جلّ اسمه. غير أنّا أجللناه عن أن نبتدئ بذكره إلا في مواضع المناجاة له عابدين. وأخبارك ترد علينا بفضيلة لك في العلم لم نجدها لغيرك من أمثالك. ونحن شركاؤك في الرغبة والمحبة. وقد افتتحنا بابَ المكاتبة وطلب الفائدة بأن أهدينا إليك كتابًا ترجمته "صفوة الأذهان" والتصفّح له يشهد على صواب التسمية. وبعثنا إليك لطفًا بقدر ما وقع منا موقع الاستحسان له، وإن كان دون قدرك. ونحن نسألك أيها الأخ أن توسع أخاك عذرًا في التقصير. إن شاء الله".[1]

كانت هذه الرسالة مكتبوبة على ورق صنع من شجرة كاذي التي تنمو في الهند

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 22-23

ويكون قشرها أجود من الكاغذ ولونه يضرب إلى الصفرة. كتبت هذه الرسالة من حبر لاجوردي وتم تزيينها بماء الذهب، والهدايا والتحف التي أرسلها الملك إلى المأمون يلي تفصيلها:

1. كأس من الياقوت الأحمر عرضها شبر وضخامتها إصبع ومليئة بالدرر وكانت كل درة وزنها مثقال وأما عدّها فهي كانت مئة درة.
2. فرش من جلد لأفعى توجد بوادي مهراج وهي تقدر على تناول الفيل، ومن خواص هذا الفرش أنّ مَنْ يجلس عليه لا يمسّه السل وإذا كان مريضًا بالسل فيزول مرضه بعد الجلوس عليه لسبعة أيام.
3. أقمشة من الشيت وأجودها ما يكون فيه نقش قدر الدرهم ويتخلله الزركشة وطرزت باللآلئ.
4. ثلاث سجاجيد معها وسادة وضعت من ريش طير يسمّى "سمندل" ومن خصائص هذا الريش أنه لا يحرق بالنار.
5. عود طري وزنه مئة ألف مثقال وكانت لطيفة إلى حد أثر فيها الختم.
6. 33 كيلوغرامًا من قطع الكافور وكانت كل قطعة مثل الفستق وأكبر من اللوز.
7. أمة تسمّى "سندية" كانت طويلة للغاية وعندما تمشي يتدلّى شعر رأسها حتى الأرض وكانت على رأسها أربع ضفائر اثنتان من فوق مثل التاج واثنتان من خلف، كانت حواجبها طويلة كذلك وأما بياض أسنانها فكان يلمع كالبرق.[1]

رسالة المأمون وهديته إلى الملك رهمي: وقد ردّ المأمون على كتاب الملك رهمي برسالة وهدايا فرسالته كما يلي:

[1] المصدر نفسه، ص 21-25

"بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله المأمون بالله أمير المؤمنين الذي وهب الله له ولآبائه الشرف بابن عمّه النبي المرسل صلّى الله عليه وسلّم، والتصديق بالكتاب المنزّل، إلى دهمي ملك الهند وعظيم من تحت يده من أراكنة الهند، وأركان المشرق.

سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم.

وصل كتابك فسررت لك بالنعمة التي ذكرت. ووقع إتحافك إيّانا الموقع الذي أمّلت من قبول ذلك. وكنت على ما ابتدأت به من البرّ محمودًا، موجبًا ذلك إلى الشكر عليه وحسن الذكر له. ولولا أنّ السنة جارية، بترك تقديم من لم يكن لنا على الشريعة مواليًا، وبها آخذًا ما تركنا ما يحسن من مبرتك بالتقديم والاعتذار بما ذكرناه أحد التقديمين. وأنت له منا أهل. وقد أهدينا إليك مودتنا لك. وهي أوفر حظّ المتواصلين. وأهدينا إليك كتابًا ترجمته "ديوان الألباب وبستان نوادر العقول" ومطالعتك ترجمته تحقّق عند فضيلة النعمة، ومشاهدتك له تحقّق عندك ما أسميناه به، وجعلنا لذلك عنوانًا من الهدية، وهو لطف استقللنا قدرها لك. ولو كانت الملوك تتهادى على أقدارها لما اتسعت لذلك خزائنها، وإنما يجري ذلك بينها على قدر ما يدلّ على حسن النية وجميل الطوية. وبالله التوفيق".[1]

كتبت رسالة المأمون هذه على الجانبين من الكاغذ العريض وكان خطها جليًا قدر إصبع. والهدايا التي كانت ترفق بها تفصيلها كما يلي:

1. فرس من العقيق عليه فارسه وسرجه ويروى أنّ هذا الفرس كان لأشهب الشهري.
2. مائدة من الجزع الأسود والأبيض أرضها بيضاء مخطّطة بالخطوط

[1] المصدر نفسه، ص 25-27

السوداء والحمراء والخضراء، كان عرضها ثلاثة أشبار وضخامتها إصبعين، كانت قوائمها من الذهب، قد وجدها بنو العباس من خزينة مروان بن محمد الأموي.

3. خمسة أنواع للأقمشة كان كلّ قسم يحوي مئة طية: قماش أبيض من مصر، قماش حرير من السوس، شيت من الإسكندرية، ديباج من خراسان، فرش من القرمز، فرش من طبر، فرش من سنجر، 100 سرير من حرير من حيرة ومعها وسائد، وفرش من حرير من السوس.

4. كأس من زجاج فرعوني سمكها إصبع وعرضها شبر ونصف وبوسطها أسد فاغر فاه، قد عثر على هذه الكأس بنو العباس من خزينة مروان بن محمد الأموي.[1]

هدية ملك هندوسي بمناسبة زفاف المأمون وبوران: في 210هـ تزوّج المأمون من ابنة الوزير الحسن بن سهل واحتفل بزفافه بكل أبهة فأرسل بهذه المناسبة ملك هندوسي هدايا عديدة ثمينة إلى الحسن بن سهل تحتوي على سلة من عود جيّد. وقد فصّلها القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه "كتاب الذخائر والتحف".[2]

هدية الفيل للمأمون: قد أهدى ملك هندوسي فيلًا إلى المأمون، كان ضخمًا في طوله وقامته وفي خلافة المعتصم أسر بابك خرمي وجيء به على ذلك الفيل من قاطول إلى سامراء وقد ذكر المسعودي هذا الفيل الأشهب في مروج الذهب.[3]

اعتقال أحمد بن أبي نعيم البغدادي في السند: اعتقل الخليفة المأمون أبرز شعراء بلاطه أحمد بن أبي نعيم البغدادي وأرسله إلى السند. فذات مرة

---

[1] المصدر نفسه، ص 25-28

[2] المصدر نفسه، ص 32-35

[3] مروج الذهب، 750/4

سأل المأمون القاضي يحي بن أكثم عن قائل الشعر التالي:

وقاضٍ يرى الحد في الزنا ولا   يرى على من يلوط من بأس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ   أمة والٍ من آل عباس

فأمر المأمون بعدما سمع هذا الشعر بنفي قائله إلى السند.[1]

إمارة عمران بن موسى البريحي: توفي موسى بن يحي بن خالد البرمكي بالسند في 221هـ فأقام مقامه حين الموت ابنه عمران. كان هذا عهد الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ) وقد أصدر المعتصم أمر إمارة عمران بن موسى على السند فيقول البلاذري:

"ومات سنة إحدى وعشرين واستخلف ابنه عمران بن موسى فكتب إليه أمير المؤمنين المعتصم بالله بولاية الثغر".[2]

لما ولّى الخليفة المعتصم عمران بن موسى على السند طلب منه ألف ألف درهم سنويًا مما قد قبله. يقول ابن خرداذبة:

"وكان عمران بن موسى البرمكي ضمن السند على أن يحمل منها بعد نفقة ألف ألف درهم".[3]

يبدو أنّ مبلغ ألف ألف درهم من السند أصبح عادة منذ عصر المأمون وقد بقي هذا حتى النهاية وذكر اليعقوبي كذلك موت موسى بن يحي ونيابة عمران بن موسى وذكر البلاذري إمارة عتبة بن إسحاق الضبي زمن المعتصم بالله بينما ذكره الآخرون في زمن الواثق بالله وعسى أن يكون عمران بن موسى أميرًا مستقلاً بالسند ويكون عنبسة بن إسحاق أمير البلد في زمن المعتصم بالله.

لقد قام عمران بن موسى بالعديد من الخدمات والمآثر في زمن إمارته فهزم

---

[1] المصدر نفسه

[2] فتوح البلدان، ص 432

[3] المسالك والممالك، ص 57

زط قيقان، وأسّس مدينة باسم "البيضاء"، وقضى على سيطرة الآخرين على قندابيل، وقطع دابر الميد، ولكن من الأسف أنّ عصبية اليمانية والنزارية قد رفعت رأسها في النهاية وضحّى عمران بنفسه فيها ومن ثم ضعفت قبضة العباسيين على السند ومكران وقامت دول مستقلة في مختلف مناطقهما.

القتال ضد زط قيقان والفتح: قد مضى أنّ زط السند أثاروا الفتنة في بداية خلافة المهدي وأبادوا الأمن في غير موضع، فعيّن العديد من الأمراء حتى جعلت السند تابعة لإمارة البصرة ولكن الزط لم يكبح جماحهم حتى جاء الليث بن طريف فكبح جماحهم بالسيف واطمأن الخلفاء لمدة معلومة ولكنهم كانوا يفعلون فعلهم سرًا حتى جمعوا قوتهم الملموسة بحدود قيقان في خلافة المعتصم واتبعوا تقليدهم القديم من القتل والنهب فأعدّ عمران العدة من المنصورة وقضى عليهم بقيقان، يقول البلاذري: "نخرج إلى القيقان وهم زط فقاتلهم فغلبهم".

لم نجد أكثر من ذلك بالنسبة عن عقاب الزط.

تعمير مدينة "البيضاء": كانت قيقان وقندابيل وطوران على بعد بعيد من شمال المنصورة ولذا كانت الثورة تبرز منها شيئًا فشيئًا وكان الخوارج والزيود والمتغلبة والزط والميد يلتجئون في هذه المناطق البعيدة فاحتيج إلى مركز في تلك الحدود يستعد فيه الجيش والمعدّات العسكرية الرسمية لكي يمكن السيطرة على الوضع فورًا وعلى هذا فقد عمّر عمران مدينة باسم "البيضاء" لعقاب الزط وقد ذكرها البلاذري بعد فتح قيقان فقال: "وبنى مدينة سمّاها "البيضاء" وأسكنها الجند".[1]

يبدو من استعمار الجيوش في هذه المدينة الجديدة أنّ الهدف وراء بناء هذه المدينة إخماد الثورات التي تحدث من وقت لآخر في ضواحي الدولة ونواحيها

[1] تاريخ اليعقوبي، 557/2

فالمدينة مثل مستعمرة عسكرية يمكن بها اتخاذ الخطوات العسكرية في قيقان وقندابيل وغيرهما من البلاد.

هذه أول مدينة في الهند بنيت في عهد الخليفة المعتصم فلا يخلو من المتعة لو عرفنا أنّ الخليفة المعتصم كان كلفًا ببناء المدن وكان يقول بأنّ البناء له صفات منها إحياء الأرض ورونقها والتي يستفيد منها جماعات من الناس ويزداد الخراج والجزية وتزداد الثروة وتنمو الأموال وتتربى البهائم وترخص أسعار الأشياء وتكثر المعيشة فكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك: إذا توفّرت لك فرصة تصرف فيها عشرة دراهم وتكتسب بها أحد عشر درهمًا بعد سنة فلا تسألني عنها بل افعل كيفما شئت،[1] وعلى هذا فقد اعتنى الناس ببناء المدن كثيرًا فبنيت المدن الجديدة وأصلحت المدن القديمة ووسّعت وهكذا فقد بنيت مدينة في الهند.

بناء السجن في الديبل وإصلاح المدينة: ومن نماذج بناء المدن ومرمتها في عصر المعتصم بالله إصلاح مدينة الديبل وبناء السجن بها فقد سبق أنّ محمد بن القاسم فتح الديبل بعد معركة حاسمة وكسر معبدها الهندوسي ومنارته بالمنجنيق المسمّى "عروس"، ودخل الجيش الإسلامي المدينة عن طريق السلّم على حدود المدينة ثم أسكن محمد بن القاسم بها أربعة آلاف مسلم وبنى مسجدًا. كانت منارة معبدها الهندوسي طويلة وعريضة إلى حد بني فيها سجن في العصر العباسي وجعلت تصلح مدينة الديبل بأحجارها المكسورة فقد نقل البلاذري بيان المنصور بن حاتم النحوي الذي شهدها بعينيه أنّ عنبسة بن إسحاق الضبي أصبح أميرًا على السند في زمن خلافة المعتصم بالله فهدم أعلى منارة المعبد وحوّلها إلى السجن وجعل يصلح مدينة الديبل بأحجارها المكسورة ولكنه عزل قبل أن يتم العمل.[2]

---

[1] مروج الذهب، 47/4

[2] فتوح البلدان، ص 425

القتال ضد محمد بن الخليل وأسره: بعد كبح جماح زط قيقان توجه عمران بن موسى نحو قندابيل والتي كانت مدينة منيعة لكونها منطقة جبلية ولقد سيطر عليها المسلمون في الخلافة الراشدة ولكن العرب الثوّار احتلوها مرارًا وتكرارًا وأقاموا دولتهم المستقلة فاضطرت الخلافة إلى قتالهم.

ولو أنّ المدينة قد تحرّرت من سيطرة بشر بن داود وابن عمه إبراهيم بن عبد الله في عصر المأمون ولكن أعيان العرب ورؤسائهم كانوا يفعلون فعلهم سرًا وكانوا يحتلون المنطقة التي يجدون فرصة للاستيلاء عليها ولذا فقد غلبت جماعة من العرب تحت قيادة قائد عربي محمد بن الخليل على قندابيل منطقة جبلية لمكران وطوران في زمن المتكلم بالله فهزم عمران بن موسى زط قيقان وجعل مدينة البيضاء مستعمرة عسكرية ثم رجع إلى دار الإمارة المنصورة وأعدّ العدة حتى أغار على قندابيل وأسر محمد بن الخليل وأصحابه وحملهم إلى قصدار فيقول البلاذري:

"ثم أتى المنصورة، وصار منها إلى قندابيل، وهي مدينة على جبل، وفيها متغلب يقال له محمد بن الخليل فقاتله وفتحها وحمل رؤسائها إلى قصدار".

يبدو من هذا القول أنّ محمد بن الخليل سيطر على قندابيل وجمع له قوة عسكرية ملموسة وأعانه فيه رؤساء من قبائل العرب فقاتلوا عمران بن موسى فلما انهزموا حمل كلهم إلى قصدار.

أول حرب ضد الميد وبناء السد: لما كبح جماح زط قيقان وعرب قندابيل التفت عمران إلى الميد الذين قاموا بالقتل والنهب في داخل المدينة وكانوا يقومون بمثلها في الجزائر والسواحل على البصرة والهند فوقع التغيير في إمارة بحر البصرة في 219هـ و225هـ وأجبروا على القتال ضدهم وبهذا الصدد اتخذ عمران بن موسى خطوة حاسمة ضدهم فقتل ثلاثة آلاف من الميد فعاد الوضع إلى نصابه. يقول البلاذري: "ثم غزا الميد، وقتل منهم ثلاثة آلاف

وسكّر سكرًا يعرف بسكر الميد".

لعل هذه الحرب وقعت في منطقة من سرست حيث كان مركزًا هامًا للميد وهذا السد الذي بني كان الهدف منه منعهم عن الغارة.

الختم لميزة الزط وحصول الجزية: ولو أنّ زط قيقان هدؤوا ولكن أنشطتهم التدميرية لم تنقطع في المناطق الأخرى لاسيما مناطق السند الصحراوية حيث قتلوا ونهبوا وسبّبوا الضوضاء والفوضى فشرع عمران في تمييزهم وحجزهم وأقام الجيش الكبير على ساحل نهر ألور داعيًا زط ضواحيه وختم على أيديهم للتعرف عليهم وحصل على الجزية منهم كما أمر بأنّ كل زط يود الحضور في بلاطي ولقائي يجب عليه أن يصاحبه كلب وعلى هذا فقد ازداد ثمن الكلب في السند في ذلك الزمن حتى بلغ سعر كلب واحد إلى خمسين درهمًا.[1]

لقد أوجب ملوك السند وحكّامها منذ القدم على الزط أن يصاحبهم كلب فلما فتح محمد القاسم السند دعا المحليّين وسألهم عن علاقة الملوك مع الشعب فقالوا إنّ ملوكهم يوجبون على الزط مصاحبة الكلب فاتبع عمران هذا التقليد القديم آمرًا إياهم بمرافقة الكلب.

حرب ثانية ضد الميد: لم يقاتل عمران بن موسى زط ضواحي نهر ألور ولا شدّد عليهم بل ختم على يد كل منهم لإحصائهم ومثل هذه العلامات توجد في زمننا بشأن بعض الجماعات والتي تظهر أنه ينتمي إلى جماعة خاصة مثل جماعة شبه وحشية في مهاراشتر وكوكن تضع الجلجل وعلى أجسادها علامات خاصة تدل على انتمائها إلى قومها وأما مرافقة الكلب فهي عادة قديمة ولأجل لطف عمران مع الزط التحق بعضهم بجيشه وبمعونتهم أغار عمران على الميد مرة أخرى، يقول البلاذري: "ثم غزا الميد ومعه وجوه الزط".

وبكلمات أخرى أنّ شجعان الزط رافقوا جيش عمران لمواجهة الميد وأعانوه

---

[1] المصدر نفسه، ص 432

في القضاء على هذه البلية من الهند وبما أنّ هؤلاء الميد لم يكونوا يمتنعون عن شرهم لعقابهم مرة بعد أخرى وكانوا يسبّبون الفوضى في البر والبحر فاحتال عمران لنشرهم بمعونة الزط أنّ النهر الذي كانوا يشربون منه خلطه بماء البحر الذي جعل ماءهم مالحاً وغير قابل للشرب ولما قلقوا غلبهم بالقوة، يقول البلاذري: "فخفر من البحر نهراً، وأجراه في بطيحتهم حتى ملح ماؤهم وشنّ الغارات عليهم".

ولقد ساهم الزط في حفر النهر من البحر وإجرائه في نهر الميد لأنّ العامة كانوا ينزعجون من غاراتهم.

قتل عمران بن موسى في الحرب القبلية للعرب: والحرب القبلية هنا ومحاولة كل قبيلة على السيطرة عليها كانت أخطر من حروب وغارات الزط ولقد ثارت هذه القتنة القبلية في عصر كل خليفة عباسي بصورة أو أخرى ولم تتوقف هي في عهد عمران كذلك ففي جانب كان عمران بن موسى يقطع دابر الثوار بمعونة من الزط وفي جانب آخر قتل العرب المتغلبة أميرهم ممهّدين السبيل للسيطرة على الهند.

وذلك أنّ رجلًا يسمّى المنذر بن الزبير القرشي المباركي جاء السند بالمرافقة مع أمير السند الحكم بن عوانة الكلبي وذلك في العهد الأموي. وقد ذهب من هنا إلى قرقيسيا وخرج على الحكومة العباسية وبالتالي قتل وقد قتل حفيده عمر بن عبد العزيز بن المنذر القرشي الهباري عمران في 227هـ ولقد كانت السند تمر في تلك الفترة بهرج ومرج من النزارية واليمانية. وعمر بن عبد العزيز الذي كان ينتهز الفرصة للسيطرة كان يؤيد النزارية وأما عمران بن موسى البرمكي الذي ما كان يمانيًا ولا نزاريًا بل كان من أصل إيراني كان يؤيد اليمانية فانتهز الفرصة عمر بن عبد العزيز وقتل عمران، قال البلاذري:

"ثم وقعت العصبية بين النزارية واليمانية فمال عمران إلى اليمانية فسار إليه عمر

بن عبد العزيز الهباري فتله وهو غارٍ".[1]

صرح القاضي الرشيد بن الزبير في "كتاب الذخائر والتحف" أنّ عمران بن موسى قتل في السند في ذي الحجة 227هـ خلافة الواثق بالله[2] وقد سبق الحادث موت المعتصم بالله في ربيع الأول 227هـ.

ثم استقل بالحكم عمر بن عبد العزيز ممثلًا النزارية في السند حتى لم يكن أمراء السند يدخلونها بدون إذن منه فقال الزير بن بكّار في جمهرة أنساب قريش وأخبارها:

"عمر بن المنذر بن الزبير كان قد غلب على السند، وكان لا يدخلها والٍ إلا أن يتلقاه عمر بن المنذر، فإذا تلقاه عمر بن المنذر في جماعة دخلها".[3]

وبالرغم من هذه الظروف لم يخرج على الخلافة العباسية وبقي متعاونًا مع أميرها.

إرث عمران بن موسى: أقام عمران بن موسى البرمكي في السند في الفترة ما بين 221هـ و227هـ وخلال هذه الفترة قام بخدمات جليلة وجمع أموالًا هائلة فقال القاضي الرشيد بن الزبير في "كتاب الذخائر والتحف": لما بلغ الخليفة الواثق بالله قتل عمران أرسل الرجال إلى بغداد والبصرة وسيراف لأخذ أمواله فأسروا ولده محمدًا وأخته اللذين كانا يعتنيان بأمواله وأولاده وسجنوهما لدى إبراهيم بن مصعب لسنتين ثم حدّثوا مع الواثق بالله عنهم فأمر بتحريرهما والقبض على وكلاء عمران الذين حمّلوا إلى سرّ من رأى بعد القبض عليهم ففوّضوا إرث عمران الذي كانوا يحملونه إلى الحكومة والذي كان يبلغ خمسين مليون درهمًا وعلاوة عليها ألفا سلة من العود وأما الأسباب والأمتعة التي

---

[1] المصدر نفسه، ص 432

[2] كتاب الذخائر والتحف، ص 185

[3] جمهر نسب قريش وأخبارها، 520/1

ضاعت لا حصر لها والأمتعة المقبوض عليها كان معظمها الذهب فقد وضع الواثق بالله مائدة من ذهبه كانت صحانها وأسبابها الأخرى من الذهب.[1]

أسلحة عمران: لقد خاض عمران بن موسى في العديد من الحروب خلال حكمه الممتد لسبع سنوات وظفر بها فلما قتل عثر على أنواع من آلات الحرب من بيت المال وهذه تدل على تنوع آلات وأسباب الحرب فكتب القاضي الرشيد أنّ ما يلي من آلات وأسباب الحرب عثرت من بيت المال:

1. سبعمئة نصل هندي قديم كان يطلى بالدهن
2. الدروع السابرية
3. ملابس حربية طرخونية قيمة
4. مدرّعات وجواشن تبتية
5. غطاء حديدي للصدر
6. غطاء حربي لليد
7. غطاء حربي للساق
8. الخوذ
9. تجافيف الخيل
10. وغيرها من آلات وأسباب الحرب التي لا يمكن حصرها[2]

الهدايا والتحف من الهند في حضرة الخليفة الواثق بالله: تولّى الواثق بالله الحكم في السنة السابعة التي مضت على إمارة عمران بن موسى أي ربيع الأول 227هـ فأرسل إليه عمران هدايا وتحفًا قيّمة من الهند كما أهدى غيره من المسؤولين والأعيان. فصّل القاضي الرشيد بن الزبير تلك الهدايا والتحف كما يلي: إنّ عمران

---

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 185-186

[2] المصدر نفسه، 185-187

بن موسى أرسل من الهند إلى الخليفة الواثق بالله حوالي ألفي أسير، أمتعة جيدة من السند، نافجة المسك، والعنبر، والعود الهندي، والتيجان من الذهب والفضة، وكانت تبلغ أكثر من مئتي ألف درهم ويرافقها وحوشها، وطيور جميلة لا توجد سوى في الهند، والصقر والببر، فلما بلغ الواثق أنّ عمران سيرسل الصقر والببر وغيرهما من السند غمره السرور وأرسل سفيرًا إلى السند فلقيه السفير وأعلمه عن سرور وتوق الخليفة فحمّلت الوحوش والطيور إلى بغداد قبل الهدايا العامة، التي سرّت الخليفة جدًا وتبعها أمتعة وأسباب أخرى.

وهكذا أرسل عمران هدايا وتحفًا ثمينة إلى حضرات إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن عبد الملك وأحمد بن أبي داؤود وغيرهم من القوّاد والمسؤولين جاء بها بغداد كاتب عمران بن موسى البرمكي.[1]

إسلام ملك عسيفان: في وقت كان المسلمون العرب في الهند يخرجون على الحكومة يتعاون ملوكها وحكّامها مع ممثّلي الخلافة وأمرائها حتى وكان البعض منهم يدخل في الإسلام ولذا فقد تأثر بصدق الإسلام ملك هندوسي في عصر المعتصم بالله فأسلم، يقول البلاذري: كان ملك مدينة عسيفان فيما بين كشمير وملتان وكابل عاقلًا للغاية. كان شعبه يعبد الأوثان في معبد لهم فذات مرة مرض ابن الملك فجمع الملك متولي المعبد ونسّاكه وعبّاده لكي يتضرعوا إلى الوثن لشفاء ولده فلما سمع ذلك العبّاد غابوا عن الملك لهنيهة ثم جاؤوا وقالوا إننا دعونا الوثن لشفاء الولد فاستجاب دعاءنا ولكن الولد مات بعد ذلك فغضب الملك وهدم المعبد ونحّى عنه الأوثان: "ثم دعا قومًا من تجّار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد فوحّد وأسلم".

حدثت هذه الحادثة في عصر أمير المؤمنين المعتصم بالله.[2]

[1] المصدر نفسه، ص 185-186

[2] فتوح البلدان، ص 433

إمارة السند التكريمية لأفشين: حينما كان عمران بن موسى أميرًا على السند منح الخليفة المعتصم بالله أفشين الإمارة التكريمية فكتب ابن كثير في البداية والنهاية أنّ أفشين قتل بابك الخرمي في 223هـ فكرّمه المعتصم بالله بوضع التاج على رأسه وألبسه عقدين للجواهر وأعطاه مليوني درهم "وكتب له بولاية السند".[1]

ثم أمر الشعراء أن يقرضوا القصائد في مدحه فحضر العديد من الشعراء بلاط أفشين أنشدوا قصائدهم فيه وكان فيهم أبو تمام جامع "ديوان الحماسة".

كانت ولاية أفشين هذه تكريمًا فما جاء السند ولا ولّى أحدًا عليها.

أمير برمكي آخر على السند: كان أميرًا برمكيًا على السند حين إمارة موسى بن يحيى البرمكي أو عمران بن موسى، ذكره ابن خلكان في تذكرة الجاحظ (ت 255هـ) ببعض البرامكة وكان أميرًا عليها ورجع إلى بغداد: "وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلّدت السند فأقمت بها ما شاء الله، ثم اتصل بي أني صرفت عنها".

توفي موسى بن يحيى وولده عمران في السند وكانا أميرين عليها حتى الموت فلا مجال لعزل أحد منهما عن الولاية فكأنه كان أميرًا على منطقة أو حاكمًا في قسم فاكتسب أموالًا كثيرة ورجع منها بقدر كبير من الذهب فأمدّ الجاحظ.

دعم مالي للجاحظ: ذكر هذا الأمير البرمكي أني اكتسبت ثلاثين ألف دينار زمن ولايتي على السند ولما عزمت على الرجعة ظننت أني لو علم عن ثروتي أيّ صارف لأشكل عليّ فسككت عشرة آلاف إهليلج وزن كل منها ثلاثة مثاقيل وركبت الباخرة مختفيًا عن الصارف فلما وصلت إلى البصرة بلغني أنّ الجاحظ أصابه الفالج فرغبت في أن أراه قبل الموت فوصلت ببابه واستأذنت خادمته الدخول فبلّغني عن الخادمة: "وما تصنع بشق مائلٍ

[1] البداية والنهاية، 10/21-28

ولعابٍ سائلٍ ولونٍ حائلٍ".

ولما أصررت على اللقاء أجازني قائلًا إنّ هذا المرء كان يمر بالبصرة فعلم عن مرضي ففكّر في أن يرى الجاحظ قبل موته لكي يقول فيما بعد إني رأيت الجاحظ فدخلت وسلّمت عليه فردّ عليّ بطريقة حسنة ثم سأل عن اسمي ونسبي فلما فصّلت ما سألني قال:

"رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الأجواد فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير، فسقيًا لهم ورعيًا".

ثم سألته أن ينشد بعض أبياته فأنشد ما يلي:

لئن قدمت قبلي رجال فطالما　　مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكنّ هذا الدهر تأتي صروفه　　فتبرم منقوصًا وتنقص مبرما

فلما ودّعته وبلغت دهليزه فقال الجاحظ: يا فتى! هل رأيت مفلوجًا يفيده الإهليلج فقلت: لا، فقال: ولكن الإهليلج الذي معك سيفيدني فأرسل البعض منها إليّ فتعجّبت شديدًا من أنه كيف علم الجاحظ عنها بعدما أخفيتها فأرسلت إليه مئة إهليلج.[1]

القتال ضد الميد في بحر البصرة: قد مضى ما قام به أمير السند عمران بن موسى بالقتال ضد الزط والميد والمتغلبة فيناسبني أن أذكر قتال الأمراء زط خارج الهند وميدها في بحر البصرة والعراق والقضاء عليهما، إنّ هذه الحادثة لا تتعلق بإمارة السند بل تتعلق بإمارة بحر البصرة وعاصمة الدولة الإسلامية بغداد فقال المسعودي عن المعتصم في "كتاب التنبيه والإشراف": "وكانت له ثمانية فتوح عظام".

كان الخليفة المعتصم يلقّب بـ"المثمّن" لأنّ له وقائع عددها ثمانية فكانت ثمانية فتوح عظام في عصره بما فيها اثنان يتعلقان بقتال الميد والزط الذين كانوا

---

[1] وفيات الأعيان، 424/1-425

يثيرون الثورة والفوضى خارج الهند.

قد سبق أنّ عمران بن موسى قاتل الميد وهزمهم فقد قتل ثلاثمئة نفر منهم ذات مرة ثم أجرى نهر الماء المالح في مستعمراتهم وكذا كسرت قوتهم في مناطق البصرة وعمان وفارس البحرية من قبل إمارة بحر البصرة، قال المسعودي:

"أسرة البوارج وهي مراكب الهند، وكان فيها منهم عسكر عظيم قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة".[1]

أسر ميد الهند من البصرة وعمان وفارس لحفظ طريق البحر العام لمدة من حيث اعتبر هذا العمل من أعمال المعتصم الجليلة. ذكر خليفة بن خياط بإجمال أنشطة أمراء بحر البصرة في 219هـ و225هـ و226هـ خلافة المعتصم ولعل هذه الواقعة حدثت في 226هـ فأشار إليها خليفة كما يلي:

"سنة ست وعشرين ومئتين وفيها أغزى أحمد بن عبيد الله بن الحسن بحر البصرة".[2]

بدا من هذا أنّ القبض على أساطيل الميد البحرية والقتال ضدهم حدثا في قيادة وإمارة أحمد بن عبيد الله بن الحسن.

القضاء على الزط من العراق: من مآثر عهد المعتصم أنّ الزط ومن شابههم من الأشرار الذين كانوا يسكنون في البطيحة بين البصرة والكوفة والواسط منذ القدم وجمعوا لهم قوتهم وكانوا ينهبون ويقتلون في العراق قد قضي عليهم فقال ابن خلدون وهو يذكر قتال الزط الهنود الأشرار: إنّ جماعة غلبت على الطريق إلى البصرة وكانت تنهب وتقتل في ضواحيها وكأنها أقامت حكومتها المستقلة في حدودها وجعلت أميرها محمد بن عثمان وكان يعينه رجل آخر يدعى إسحاق في الإدارة فأرسل المعتصم في جمادى الأخرى 219هـ عجيف بن عنيسة لعقابهم فوقعت المعركة الحاسمة وقتل ثلاثمئة زط كما أسر خمسمئة

[1] كتاب التنبيه والإشراف، ص 355

[2] تاريخ خليفة، 791/2

منهم فقتلوا فيما بعد بيدي عجيف. لم يقاتلهم عجيف لسبعة أشهر حتى أسلموا أنفسهم إلى عجيف في ذي الحجة 219هـ وطلبوا الأمان وكان عددهم آنذاك 27 ألف نسمة بما فيهم 12 ألف مقاتل فأرسلهم عجيف بالسفن الحربية إلى بغداد وبلغوها في 10/ محرم 230هـ فلما سمع عنهم المعتصم ركب البحر حتى شماسة ثم وجّههم إلى عين رزبة حيث شنّ الروم غارة عليهم وقتلوا كلًا منهم.[1]

قال ابن الأثير إنّ المعتصم عزم على إبادة هؤلاء الزط في 219هـ فأرسل الجنود بأمراء عدة تحت قيادة عجيف بن عنيسة أمير خراسان وأعطاه المال الذي طلبه الأمير من المعتصم فنشر عجيف فرسانه في البطيحة في وسط بغداد وحرسهم من كل جانب وكان يصل إلى العاصمة ما كان يفعل بالزط. أمر المعتصم عجيف أن يمنع مياههم عن طريق السد لكي يصغروا له فأجهد الجنود أنفسهم لوضع السد وأسر كل منهم، أركبهم عجيف إلى بغداد فأسكن المعتصم بعضهم في خانقين ومن بقي منهم نشروا في عين رزبة والمناطق الساحلية.[2]

ذكره خليفة بن خياط في 219هـ: "وفيها أخرج الزط من البطيحة إلى بغداد على يدي عجيف".[3]

وقال المسعودي في "كتاب التنبيه والإشراف" إنّ من مآثر المعتصم الثماني القضاء على الزط، إنهم كانوا منتشرين في البطيحة وراء البصرة وبوسط البصرة والواسط وكانوا ينهبون فيقتلون ويسلبون. انتقلوا من الهند أيام السنين وأقاموا بكرمان وفارس والأهواز ثم توطنوا في ضواحي البصرة والواسط وجمعوا قوتهم وأثاروا الفتنة فأخرجهم المعتصم منها وعمّرهم في خانقين وجلولاء وعين رزبة.[4] وقال ابن كثير في البداية والنهاية إنّ المعتصم أرسل

---

[1] تاريخ ابن خلدون، 257/3

[2] تاريخ الكامل، 234/5

[3] تاريخ خليفة، 83/4

[4] كتاب التنبيه والإشراف، ص 355

عجيفًا بجيش عظيم لمواجهة الزط الذين كانوا يفسدون في البصرة فقاتلهم عجيف حتى تسعة أشهر واستأصلهم بصعوبة وكان آنذاك يحكم على الزط أميران محمد بن عثمان الزطي وصماق الزطي والأخير كان شجاعًا مبسالًا فهزمهم المعصتم وأمّن المسلمين عنهم. دخل عجيف بغداد يوم عاشوراء 230هـ وكان يرافقه 27 ألف زط الذين طلبوا منه الأمان وحضروا الخليفة فأنزلهم الخليفة أولًا بشرق بغداد ثم أرسلهم إلى عين رزبة حيث سطا عليهم الروم فأبادوهم.[1] وقال ابن كثير إنّ الروم شنّوا الغارة على عين رزبة في 241هـ فأسروا الزط بنسائهم وأطفالهم.[2]

بدأ يجمع هنا هؤلاء الزط في العصر الأموي وأسهمهم فيه الأشرار الآخرون. إنّ بغداد والبصرة والكوفة والواسط مناطق مجاورة، يتجر العرب بينهما عن طريق دجلة فكان الزط ينهبون سفن التجّار ولم يكتف الزط بهذا بل أقاموا حكومتهم المستقلة وجعلوا أميرين لهم: محمد بن عثمان وإسحاق، يقول ابن كثير عن إسحاق: "سماق وهو داهيتهم وشيطانهم فأراح المسلمين منه ومن شره".

فتشير كلمات المؤرخ عن أمير لهؤلاء الأشرار إلى خطورة هذه الجماعة في تلك الفترة وكم كان الشعب البغدادي خائفًا منها فمأثرة المعتصم هذه مهمة وجليلة بهذه النسبة.

إمارة عنبسة بن إسحاق الضبي وإبادة المتغلبة: كان عمران بن موسى أمير السند زمن المعتصم وكان يشاركه في الإمارة عنبسة بن إسحاق الضبي وقد أرسله رقيق المعتصم التركي إيتاخ إلى السند، وجعل السجن في الديبل وبدأ يصلح المدينة، قتل عمران في ذي الحجة 227هـ في عهد الخليفة الواثق بالله (227-232هـ) ثم ولّي عليها عنبسة بن إسحاق الضبي وبقي حتى عهد الواثق

[1] البداية والنهاية، 282/10

[2] المصدر نفسه، ص 324

وجاء عهد المتوكل حينما قتل إيتاخ في جمادى الأخرى 235هـ فرجع عنبسة بن إسحاق حينما بلغه قتل إيتاخ، يقول اليعقوبي: "ولما بلغ عنبسة بن إسحاق عامل --- إيتاخ على السند الخبر سار إلى العراق".

أي أمّر عنبسة بن إسحاق الضبي على السند من ذي الحجة 227هـ حتى جمادى الأخرى 235هـ وخلال هذه الفترة قام بخدمات جليلة، يقول اليعقوبي إنّ الواثق ولّى إيتاخ التركي على خراسان والسند ودجلة وكانت السند آنذاك تمر بحالة حرجة فقد قتل عمر بن عبد العزيز الهباري عمران بن موسى وأقام حكومته المستقلة وأرهب من السند إلى بغداد فلن يمكن لأمير من بغداد أن يدخل السند بدون إذنه وكانت القبائل العربية متغلبة في كل موضع فأقام بها عنبسة لتسع سنوات تقريبًا وأخمد الثورة بدون أيّ قتال سوى عثمان الذي لم تمكن إبادة قبضته. يقول اليعقوبي:

"وكانت السند قد اضطربت وقتل عمران بن موسى بن يحيى بن خالد عامل السند، فوجّه إيتاخ إلى السند عنبسة بن إسحاق الضبي فقدم البلد وقد تغلب عليه عدة ملوك، فلما قدمها عنبسة سمعوا وأطاعوا وخرجوا إليه جميعًا، خلا عثمان ... فسار إليه عنبسة .. فأقام على البلد تسع سنين".[1]

فنجد عمر بن عبد العزيز الهباري وغيره من شيوخ ورؤساء النزارية ما نجده في كافة عهود الخلفاء العباسيين فيبدو أنّ العصبية القبلية قد رفعت رأسها في غير موضع من الهند في زمن المعتصم وتغلب رؤساء القبائل في مناطق محدودة إلا أنهم لم يكونوا قادرين على المواجهة ولذا لما جاء عنبسة أطاع كل منهم ولم يقدر أحد منهم على مواجهته سوى عثمان الذي لقيه عنبسة بنفسه ولكن لم يقع أيّ قتال بينه وبين عنبسة كما يبدو من الأسلوب. ويبدو كذلك أنّ عنبسة قضى معظم أوقاته بالسند في القضاء على غلبة الشيوخ والرؤساء العرب ولو أنه

[1] تاريخ اليعقوبي، 212/3 والمكان المنقوط بياض.

لم يضطر إلى القتال سوى سرست التي ظفرت إمارة البصر بفتح عظيم.

فتح سرست في 230هـ: كانت الحرب جارية ضد الميد الهنود في عهد الواثق بالله بين الحين والآخر فقد قاتل المسلمون ضدهم في 228هـ و229هـ و230هـ بينما كانت حرب 230هـ ناجحة للغاية فتم فتح سرست فيها وكانت هذه السنة الرابعة لخلافة الواثق بالله فقال خليفة بن خياط:

"سنة ثلاثين ومئتين: غزا إبراهيم بن هاشم بحر البصرة فبلغ أداني بلاد سرست فحرق بعض قراها وأصاب سبياً".[1]

كانت هذه الغارة شنّت من البصرة عن طريق البحر على منطقة الهند الساحلية سرست ولعل الجيوش الإسلامية دخلت نهر سرست قبل أن تدخل المنطقة، فقال البيروني: إنّ هذا النهر يجري في بلاد سرست" ويبدو من كلمات خليفة بن خياط هذه أنّ المسلمين قد بلغوا أقصى بلاد سرست ودمّروا حيث وجدوا الميد حتى أشعلوا النار في القرى التي كانوا يسكنون فيها والتي كانت تعتبر قلعة حصينة لهم، أسر في هذه الحرب كثير من الميد ولكنهم لم يمكن إصلاحهم بعد ذلك بل خاضوا في أنشطتهم حسب المعتاد ولذا فقد دمّروا في بحر البصرة في 231هـ وكسرت عديد من السفن البحرية للمسلمين الفدائيين وغرقت بكثير من ركّابها ولنعلم أنّ فتح سرست هذا كان محدوداً في تلك المنطقة الخاصة ولم يكن حاوياً البلد كله.

تخفي الخوارج في جبال السند: كانت المناطق الجبلية للسند ومكران ملجأ للخوارج منذ العصر الأموي وكانوا يختفون فيها حينما لحق بهم الهزيمة فقد اختفت جماعة منهم في هذه الجبال في خلافة الواثق بالله في 232هـ فكتب ابن خلدون أنّ الواثق بالله أمر والي المدينة محمد بن صالح عام 232هـ أنْ يخرج لعقاب بني نمير التي أثارت الفتنة في اليمامة وضواحيها فتوجّه محمد

[1] تاريخ خليفة، ص 479 (طبعة محققة)

بجيشه نحو اليمامة واشتبك هو وجماعة من بني نمير فقتل محمد خمسين رجلًا منهم وأسر أربعين رجلًا ثم ذهب لعقاب بني مرة فدعاهم للصلح ولكن لم يطيعوا لهم واختفوا في جبال السند كما هرب البعض منهم إلى سواحل اليمامة: "وساروا إلى جبال السند وطف اليمامة".

فتبعهم محمد بجيشه وحاصرهم من كل جانب، ولكن البعض منهم هربوا حين وجدوا الفرصة وواجهوا الجيش الإسلامي بأضاخ ثم أسروا بصعوبة وجيء بهم إلى بغداد.[1]

إمارة هارون بن أبي خالد المروزي: كان عنبسة بن إسحاق الضبي أميرها من قبل إيتاخ التركي ورجع منها في 235هـ بدون أيّ حكم. كانت هذه السنة الثالثة لخلافة المتوكل (232-247هـ) أي أمر عنبسة على السند لثلاث سنوات في خلافة المتوكل فلما رجع ولّى المتوكل هارون بن أبي خالد المروزي على السند والذي بقي بها حتى 240هـ حينما توفي فيها فيقول اليعقوبي:

"ولما بلغ عنبسة بن إسحاق عامل إيتاخ على السند الخبر سار إلى العراق فولّى المتوكل مكانه هارون بن أبي خالد".[2]

لقد مضت خمس سنوات لإمارة هارون بن أبي خالد على السند وكان عمر بن عبد العزيز مسيطرًا على السند فعلًا فقد أصبح حاكمًا حرًا بعدما قتل عمران بن موسى في 227هـ فلم يكن لأمير أن يصدر أمرًا دون إذنه.

محمد المنتصر واليًا على السند ومكران: ولّي هارون بن أبي خالد على السند في 235هـ حينما جعل المتوكل ابنه محمدًا وليّ عهده ولقّبه بـ"المنتصر بالله" وأعطاه الراية السوداء لولاية العهد والراية البيضاء للإمارة والبلاد التي جعله واليها السند ومكران وقندابيل وفرج بيت الذهب (ملتان).[3]

---

[1] تاريخ ابن خلدون، 271/3

[2] تاريخ اليعقوبي، 223/3

[3] الكامل لابن أثير، 16/7

فكأن المتوكل جعل ابنه محمدًا المنتصر بالله نائبًا له في السند ومكران وقندابيل وملتان ولكنها كانت مجرد إدارة مزعومة فلم تسفر عن نتيجة كما يعلم.

الأمير العباسي الأخير على السند عمر بن عبد العزيز الهباري: قد سبق أنّ عمر بن عبد العزيز الهباري قتل عمران بن موسى أمير السند في 227هـ حين النزاع الداخلي بين اليمانية والنزارية وسيطر على البلاد حتى لم يكن يدخل البلادَ أميرٌ جديدٌ بدون إذن منه ولكن مع ذلك لم يخرج عمر على الخلافة حتى مضى على السند أميران: عنبسة بن إسحاق الضبي وهارون بن أبي خالد المروزي ولما توفي هارون بن أبي خالد المروزي في 240هـ بالسند كتب عمر إلى المتوكل وحصل على الإمارة على السند وأصبح أميرها كنائب له فيقول اليعقوبي:

"وتوفي هارون بن أبي خالد عامل السند سنة 240هـ وكتب عمر بن عبد العزيز السامي المنتهي إلى سامة بن لؤي صاحب البلد هنالك فذكر أنه إن ولّي البلد قام به ضبطه فأجابه إلى ذلك فأقام طويل أيام المتوكل".[1]

فيبدو من هذه الجمل أنّ عمر بن عبد العزيز الهباري سيطر على المنصورة بعد موت هارون بن أبي خالد مباشرةً وكتب إلى المتوكل كصاحب البلد وهنا اشتبه اليعقوبي ببني سامة ملتان ولذا نسب عمر بن عبد العزيز إلى سامة بن لؤي وجعله ساميًا وإلا فهو هباري وينسب إلى هبار بن أسود. وعلى كل حال فقد أمر عمر بن عبد العزيز على السند منذ 240هـ حتى 247هـ ولذا فهو الأمير العباسي الأخير الذي حكم الهند من قبل الخلافة ومن ثم انقطعت علاقة العباسيين بالهند مباشرة.

سفير المتوكل بحضرة الملك الهندي وتبادل الهدايا والتحف: قد سبق أنّ ملكًا هنديًا أرسل الهدايا إلى المأمون في 210هـ بمناسبة زفاف بوران بنت السهل وهكذا فقد جاء سفير من قبل الخليفة بعد نحو 36 سنة إلى الملك الهندي ثم

[1] تاريخ اليعقوبي، 213/3

أعاده الملك بهدايا ثمينة.

يقول علي بن المنجم إنه ذات يوم هو وعبيد الله بن الحسن بن سهل كانا حاضري مجلس المتوكل وفصد المتوكل ووصف له الأطباء تبخيره بالعود فأثنى عليه الحضور برائحة العود فقال عبيد الله بن الحسن إنّ هذا هو العود الذي أهداه إلى أختي بوران بمناسبة زفافها فكذّب المتوكل عبيد الله ولكنه لما جيء بسلة العود وقرئت الورقة فتم تصديق قول عبيد الله وأعطى المتوكل عبيد الله جوائز ثم أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان بأن يبعث رجلًا بزاد ألف دينار بهدايا وتحف مبلغها عشرة دنانير إلى الملك، لا توجد نظائرها في الهند وليقل للملك أن يعطيه ما بقي من العود المهدى فبلغ السفير إلى الملك وقدّم إليه الهدايا وطلب منه العود فقال: لا يوجد في خزينتي سوى مئة وخمسة وسبعين كيلوغرامًا فخذ نصفه ودع لي النصف الأخير. قال السفير: فجعلت أماطل الملك حتى رضي عن إعطائي 131 كيلوغرامًا وخلال هذه الفترة دعاني الملك على المائدة وبعدما فرغنا جيء بنبيذ النارجيل فامتنعت عن شربها وأخرجت خمري القطربلية التي جئت بها من بغداد فسألني الملك عنها فرددت عليه بأنها ماء الكرم وأعطيته شيئًا منها فجزاني بها أقمشة عديدة وعطورًا كثيرة ومئة ألف درهم ورجعت بهذه كلها إلى بغداد وقتل المتوكل الليلة التي بلغت فيها سرّ من رأى فبلغ السفير بتلك الأسباب والعود إلى الوزير عبيد الله فأخذ العود وأعطى ما بقي لعلي المنجم وكان يستخدم ذلك العود دائمًا.[1]

قتل المتوكل بالمهنّد: ذات ليلة كان المتوكل يتحدث مع ندمائه فانجرّ الحديث إلى السيوف المهنّدة فقال أحد منهم: أمير المؤمنين: رجل من البصرة يمتلك سيفًا مهنّدًا فاقد النظير في جوهره وصقله فكتب المتوكل إلى أمير البصرة يأمر بأن يشتري ذلك السيف بأيّ ثمن فردّ عليه الحاكم أنّ أحدًا من اليمن

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 34-35

اشتراه فكتب المتوكل إلى حاكم اليمن يأمره بالبحث عنه وشرائه فجاء عبيد الله بن يحيى بذلك السيف وقال له إنه اشتراه بعشرة آلاف درهم فغمر المتوكل السرور وأطرى ذلك السيف وفي اليوم الثاني قال المتوكل لفتح بن خاقان أن يبحث عن شابّ أمنحه هذا السيف فيحرسني به إذ جاء باغر التركي فأثنى عليه فتح بن حاقان وقال إنه يجدر بالوثوق به فأعطاه المتوكل هذا السيف. يروي المؤرخ أنّ هذا السيف أخرج يوم قتل المتوكل وقتله به عبده باغر التركي. قتل المتوكل يوم الأربعاء الثالث من شهر شوال سنة 247هـ لثلاث ساعات خلون من الليل.[1]

استقلال عمر بن عبد العزيز وقيام الدولة الهبارية في السند سنة 247هـ: بقي عمر بن عبد العزيز أميرًا على السند من قبل الدولة العباسية منذ 240هـ حتى 247هـ ولما قتل المتوكل أعلن عن استقلاله بالحكم وأقام الدولة الهبارية بالسند. يقول ابن حزم:

"عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبّار بن الأسود، صاحب السند وليها في ابتداء الفتنة إثر قتل المتوكل، وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم في زماننا هذا، أيام محمود بن سبكتكين صاحب ما دون النهر من خراسان، وكانت قاعدتهم المنصورة".[2]

ونفس الشيء ذكره ابن خلدون.[3]

جاء المنذر بن الزبير جدّ عمر بن عبد العزيز الهندَ بمرافقة من الحكم بن عوانة الكلبي في العصر الأموي. وساهم في الخروج مع جماعة في قرقيسيا في 132هـ بداية الخلافة العباسية فصلب وأما حفيده فأمدّ النزارية في النزاع بين النزارية واليمانية وقتل أمير السند عمران بن موسى، الأمر الذي جعله

[1] مروج الذهب، 714/4

[2] جمهرة أنساب العرب، ص 118-119

[3] تاريخ ابن خلدون، 688/2

قويًا من السند إلى بغداد وجعل يعيش بها ذا شوكة وأبهة وفي 240هـ أصبح أميرًا على السند من قبل بغداد ثم في 247هـ أقام حكومة مستقلة وارتبط بالخلفاء العباسيين وذكرهم في الخطبة. بقيت هذه الحكومة منذ 247هـ حتى 416هـ ومضى فيها حكّام أمثال عمر بن عبد العزيز الهباري، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهباري، ومحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهباري، وعلي بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز الهباري، ويحيى بن محمد وغيرهم وقضي على هذه الحكومة في نهاية 416هـ أو في بداية 417هـ بيدي السلطان محمود الغزنوي ولقد خدمت الحكومة الهبارية الهندَ خدمات جليلة وكانت تجدر بأن تسمّى دولة إسلامية من كل جانب.

كانت الدولة الهبارية يتبعها معظم مناطق السند فلم يكونوا يحكمون على مكران وطوران في شمال غربها وملتان في شرقها بل حكمها المتغلبة أو كان يحكمها آل صفار من خراسان وقد وجدت، فيما بعد، حكومات مستقلة اشتقت منها.

لا نجد أثرًا من الدولة العباسية عليها بعد المتوكل حتى المستعين (247-251هـ) إلا أنه وقعت هنا أحداث في زمن المعتز (251-255هـ) لم تكن متعلقة بالحكومة الهبارية وخلال هذه الفترة أقام يعقوب بن صفّار حكومته في خراسان في 253هـ والتي اتسع نطاقها فيما بعد حتى مكران وحدود السند.

القتال ضد الميد في سرست: يبدو من بعض القرائن أنّ أهل البصرة كانوا يغيرون على منطقة سرست في ذلك العصر وكانت الحرب بينهم وبين الميد فقد ذكر البلاذري صلح محمد بن القاسم مع أهالي سرست وقال سنة 255هـ زمن تأليف كتابه "فتوح البلدان" إنّ أهل البصرة كانوا يغزون هنا في تلك الفترة:

"وسالمه أهل سرست، وهي مغزى أهل البصرة اليوم، وأهلها الميد الذين يقطعون في البحر".[1]

---

[1] فتوح البلدان، ص 427

أي أنّ سرست كانت مغزى أمراء ومجاهدي البصرة في 255هـ وكانوا يغيرون عليها لعقاب الميد.

حاكم متغلب أبو الصمة: كان الهباريّون لهم حكومة مستقلة في خلافة المعتز بالله وفي نفس الفترة كان حاكم متغلب آخر في إحدى مناطقها قد أقام حكومته المستقلة. كان هذا المتغلب مولى قبيلة كندة وجاء السند مع داود بن يزيد بن حاتم المهلبي زمن هارون الرشيد. ذكره البلاذري كذلك:

"ثم داود بن يزيد بن حاتم وكان معه أبو الصمة المتغلب اليوم وهو مولى لكندة".[1]

المراد من "اليوم" للبلاذري هو زمن تأليف كتابه "فتوح البلدان" (255هـ) وكان أبو الصمة متغلباً على منطقة، لم أجد معلومات أخرى عنه من مأخذ آخر إلا أننا نعثر على غلبته بعد 270هـ فقد أراد أن يسيطر على المنصورة زمن الحاكم الثاني للحكومة الهبارية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهباري ولكن عبد الله طرده وبعد ذلك ترك عبد الله وطنه بانية وجعل يسكن المنصورة وكان أبو الصمة متغلباً على منطقة من حيث شنّ الغارة على المنصورة فرجع خائبًا.

حكومة يعقوب بن الليث الصفّار على بعض مناطق السند: كان الهباريّون يحكمون السند كلها سوى المناطق التي كانت مجاورة لخراسان وسجستان وقد فوّضها العباسيون إلى الحكّام الصفاريين. لم تقم الخلافة بأيّ تغيير في مناطق السند هذه من قبل الخليفة المهتدي (255-286هـ) إلا أنّ المعتمد (256-279هـ) قد ضمّها إلى حكومة خراسان الصفارية وولّى المعتمد في 256هـ يعقوب بن الليث الصفّار على بلخ وطخارستان وما جاورها من كرمان وسجستان ومناطق السند.[2] قد أقام يعقوب بن الليث الصفار حكومته المستقلة في خراسان في 253هـ التي اعترف بها الخلفاء العباسيّون وكذا أقام

---

[1] فتوح البلدان، ص 432

[2] البداية والنهاية، 28/11

بنو سامان حكومتهم المستقلة في ما وراء النهر صعيد خراسان في 260هـ فأقرّها الخلفاء العباسيّون كذلك وفي 261هـ جعل المعتمد الموفق بالله ولي عهده وولّاه على مناطق الشرق بما فيها السند،[1] وفي 265هـ توفي يعقوب بن الليث الصفار وقام مقامه أخوه عمرو بن الليث فكتب إلى المعتمد عن طاعته له فولّاه أخوه أبو أحمد الموفق على خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان علاوة على خراسان المحتلة كما أعطاه الخلعة والعلم.[2]

وقد أرسل عمرو بن الليث هدايا وتحفًا إلى المعتمد (279-289هـ) فاستلم مرسوم الإمارة في حقه، ولم يكن بأيدي الخلفاء العباسيين في تلك الفترة سوى هذا.

غزوات وفتوحات الصفّاريين في السند: واصل يعقوب بن الليث الصفار وأخوه عمرو بن الليث الصفار سلسلة الغزوات والفتوحات في السند زمنَ حكومتهما، فغزوا على المناطق التي كانا يحكمان عليها وأما المناطق التي كان الهباريّون مسيطرين عليها فلم يتعرضوا لها لأنّ كلًا منهما كان يطيع الخلافة فقد كتب ابن النديم في كتاب الفهرست عن صنم باميان: أول منطقة هندية هي باميان من جهة سجستان وفيها معبد فقد بلغها يعقوب بن الليث فاتحًا الهند فالأصنام التي أرسلت إلى بغداد كانت من هذه المنطقة.[3]

لقد أرعب يعقوب بن الليث مَنْ جاوره من الملوك والحكّام فكانوا يخافونه.

كتب ابن خلكان أنّ يعقوب بن الليث اشتهر في سجستان وهرات وبوشيخ وما جاورها من المناطق في 253هـ فغزا باميان وبلغ خراسان ولم يقعد عن الفتح في المناطق التي مرّ بها وبالتالي:

[1] المصدر نفسه

[2] مآثر الإنافة، 259/1

[3] كتاب الفهرست، ص 485

"فرهبته الملوك الذين حوله، منهم ملك المولتان، وملك الزنج، وملك الطيسين، وملك ذابلستان، وملك السند ومكران وغيرهم، وأذعنوا له".[1]

يمكن بها تقدير حكومة يعقوب القوية في الهند المحتلة ومدى رعبه لمن جاوره من الملوك والحكّام.

وتبع يعقوب أخوه عمرو في الغزو على هذه المناطق والظفر بها فقال المسعودي إنّ عمرو بن الليث فتح ما جاور بلاد بست ومعبر، وبلاد داور من مناطق الهند وجبالها، هذه المناطق تقع في حدود الهند في زمننا (332هـ) وهي تشمل المدن والأرياف كلتيهما.

هدايا وتحف الهند إلى الخلفاء العباسيين من قبل الصفاريين: في 283هـ أرسل العديد من الهدايا والتحف إلى المعتضد من قبل عمرو بن الليث الصفار وهي اشتملت على بهائم خراسان، وصندوق الهدايا، وأربعمئة ألف درهم، وكذا اشتملت على صنم من باميان في شكل امرأة لها أربع أيدٍ وعقدان من الفضة في عنقها مرصعة بالجواهر الحمراء والبيضاء وقد زيّنها أوثان صغرى من الجواهر، كان هذا الصنم موضوعًا على عربة كبيرة كان يجرّها الإبل. أرسلت هذه الهدايا كلها إلى قصر المعتضد ثم وضع في مركز للشرطة شرقي بغداد وأصبح مشهدًا للشعب لمدة ثلاثة أيام ثم وضع في قصر المعتضد. وكان هذا المعرض يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الأول سنة 283هـ وسمّاه الشعب بـ"شغل" لاشتغالهم برؤيته لأيام عديدة.[2]

ولم يزل يرسل الصفاريون من هذه الديار الهدايا والتحف إلى حضرة المعتمد فكتب القاضي الرشيد بن الزبير أنّ يعقوب بن الليث أرسل مرة إلى حضرة المعتمد كثيرًا من الهدايا والتحف يشملها 175 كيلوغرام عود هندي بجانب

---

[1] تاريخ ابن خلكان، 473/2

[2] مروج الذهب، 237/4

النفائس والعجائب. وأما الهدايا التي أرسلها في 281هـ فيشملها كذلك 175 كيلوغرام عود هندي، والهدايا التي أرسلها في 285هـ كان يشملها 87 كيلوغرام عود هندي. ولما انهزم يعقوب بن الليث مقابل المعتمد وأخيه الموفق في 262هـ والتجأ إلى طسوخ جازر (بالعراق) اغتنم المعتمد من خزينته الأمتعة الثمينة من السند والهند والصين وفرغانه والعود الهندي والمسك التبتي والصناديق التي لا تحصى من النقود، هذه بجانب الأشياء والأسباب الأخرى.[1]

نظرة خاطفة على الحكومة الصفارية: في 256هـ سيطر الحكّام الصفاريون على منطقة من الهند وحكموا عليها لسنوات فغزوا وفتحوا الديار التي احتلّوها وحكموا عليها كجزء من سلطنتهم فيجدرون بأن يعتبروا حكّامًا هنودًا ويجب علينا أن نذكر تاريخهم بالإجمال.

أقام بسجستان يعقوب بن الليث وعمرو بن الليث اللذان كانا يحترفان أواني الصفر.

وكانا تقيّينِ وفي نفس الفترة كان رجل بسجستان يدعى صالح بن نضر الكناني والذي كان يقاتل الخوارج وأيضًا كان تقيًا فسيطر صالح على منطقة من سجستان فغزاه يعقوب بن الليث في 237هـ فنفى الأمير العباسي الطاهر بن عبد الله صالح بن النضر الكناني فقام رجل آخر يدعى درهم بن الحسين وسيطر عليها وكان يعقوب بن الليث قائد جيشه فلما وجد الطاهر بن الحسين يعقوب بن الليث فهيمًا وعاقلًا محنّكًا جعله أميرًا له واستقال بنفسه عن الحكم في حقه فقوي يعقوب بن الليث وغزا الخوارج ببسالة وقضى عليهم وسيطر على سجستان كلها وأحسن إدارتها وحاول أن يقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام في الديار ثم سيطر على هرات وبو شيخ من مناطق سجستان في 253هـ أيام خلافة المعتز. وفي 255هـ سيطر على كرمان حتى

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 42-43

سيطر على فارس كلها. ولما جاء عهد المعتضد سيطر على نيسابور في 259هـ، وعلى طبرستان في 260هـ. وفي 262هـ وقع القتال بين الموفق ويعقوب، وفي 273هـ سيطر يعقوب على الأهواز، وفي 256هـ حكم على بعض مناطق السند. ولما توفي في 265هـ تولّى مكانه أخوه عمرو. وفي 257هـ وقعت الحرب بين الموفق وعمر. وفي 289هـ قتل عمرو بن الليث. ولقد حكم الأخوان على الهند بكل شعور بالمسؤولية ولم يزل أخلافه يحكمون هذه المناطق لمدة طويلة.

قيام الدولة السامية في ملتان في نحو 275هـ: لما قتل الخليفة العباسي المتوكل في 247هـ أحيط بالخلافة العباسية من العديد من الفتن والبلايا الداخلية فازدادت الفتن على الفتن حتى قام الأمراء في مناطقهم وأقاموا حكوماتهم المستقلة حيثما شاءوا وكيفما شاءوا ونالوا مرسوم النيابة من قبل الخلافة فكأنّ الخلافة العباسية بقيت اسمياً ولم تكن فعّالة في أيّ بقعة من بقاع العالم الإسلامي، ففي زمان كان الخلفاء العباسيون يكبحون جماح هؤلاء الأمراء الخوارج ولكنهم الآن أصبحوا لعبة بأيديهم. والحكومة الهبارية والحكومة الصفارية دليلان على ما نقول. ومن مثل هذه الحكومات كانت حكومة بني سامة في منطقة من مناطق بنجاب.

قد سبق أنّ الفضل بن ماهان مولى بني سامة أقام حكومته المستقلة في غوجرات خارج ما احتله الخلفاء العباسيون من السند ومكران خلال العصر الأموي، وارتبط بالخلفاء، وذكر أسماءهم في الخطب، وأهدى إليهم، ورضي عنه الخلفاء كذلك. ومن رؤساء بني سامة محمد بن القاسم بن منبه السامي والذي أقام حكومته المستقلة بملتان في حوالي 279هـ خلال حكم المعتضد. ولقد أثار الخوارج كثيرًا في عمان زمن المعتضد فوجّه المعتضد دعمًا عسكريًا إلى محمد بن القاسم بن المنبه السامي ووطّنه لمواجهة الخوارج فهزم محمد السامي

الخوارج وأقام حكومته المستقلة بعمان والتي بقيت بصورة أو أخرى حتى 317هـ. ولعل محمد بن القاسم فور إقامته حكومة مستقلة بعمان نفى متغلباً على ملتان وأقام حكومته بها. والتي مضى فيها حكّام متعددون باسم بني المنبه. كان هؤلاء الحكّام الساميون أهل السنة المخلصين وكانوا يبدون علاقتهم بالخلافة العباسية ذاكرين أسماءهم في خطبهم للجمعة، وفي الفترة ما بين 360هـ و375هـ غلب عليهم الباطنية، وضمّوها إلى الحكومة الباطنية لمصر وإفريقية، ثم قضى على هذه الحكومة الباطنية السلطان محمود الغزنوي في 396هـ.

وهكذا فقد برز على ساحتها ثلاث حكومات في العقود الأخيرة للقرن الثالث الهجري، وكل منها كانت تثبت علاقتها بالخلافة ومنها الحكومة الهبارية في المنصورة والحكومة السامية في ملتان (بنجاب)، وكلتاهما كانت محلية، والحكومة الصنارية في خراسان وهي كانت خارجية. ويمكن لنا أن نسمّي عهود هذه الحكومات المستقلة الفترة الثانية للخلافة العباسية في الهند.

قيام الدولة المعدانية في مكران في نحو 340هـ: وبعد السبعين سنة الماضية على الدولة السامية في ملتان تقريبًا قامت ببغداد حكومة مستقلة جديدة باسم "الدولة المعدانية" والتي لم ترتبط ببغداد شيئًا وكان حكّامها خوارج. ونعلم أنّ مناطق السند ومكران القاصية كانت مركزًا للخوارج وكانوا نشيطين فيها شديدًا. ولما قامت الحكومات المستقلة في المنصورة وملتان جاءت هذه المناطق تحت سيطرة الصفاريين وكانوا يحكمونها بقوتهم. وحينما ضعفت بطشتهم عليها أقام الخوارج المحليون حكومتين مستقلتين إحداهما في مكران وهي تسمّى "الدولة المعدانية" والأخرى في طوران (في مناطق قندابيل وقيقان) والتي نسمّيها بـ"المتغلبة".

أقام رئيس للخوارج يسمّى "عيسى بن معدان" حكومته المستقلة في مكران ولقّب نفسه بـ"مهراج". إنه لم يرتبط ولو قليلًا بالخلفاء العباسيين ولا قرأ الخطبة بأسمائهم ولا راسلهم، ومن حكّامها عيسى بن معدان مهراج مؤسس الحكومة،

ومعدان بن عيسى بن معدان، وعيسى بن معدان بن معدان، وأبو العساكر الحسين بن معدان بن عيسى بن معدان. قضى عليها السلطان شهاب الدين الغوري في 471هـ وقد حكموا عليها لـ131 سنة. مضى فيها حكّام ناجحون.

قيام الدولة المتغلبة في طوران لنحو 340هـ: ولعل حكومة مستقلة قامت في هذه الفترة بطوران (مناطق قندابيل وقيقان) وقد بناها خارجي وفيما بعد حكم عليها الخوارج. هذه الحكومة أيضًا كانت غير مرتبطة ببغداد ولم تكن لها نظم خاصة بل حكم عليها مَنْ قَهَرَ الخصوم ففي حوالي 340هـ غلبها المغيرة بن أحمد فأقام حكومته وجعل كيزكانان عاصمته ثم حكم عليها أبو القاسم البصري، وفي نهاية القرن الرابع حكمها ملك عادل وصالح وكذا نجد معلومات عن حاكم أو حاكمين عليها وقد قضى عليها السلطان شهاب الدين الغوري في 471هـ وكانت فترة هذه الحكومة 131 سنة تقريبًا.

إمارة بحر البصرة

كانت نظم الدولة العباسية في الهند مختلفة عما للعهد الأموي فلقد تغيّرت الأوضاع في هذا العهد وانقسمت نظم الدولة في مختلف الأقسام حتى وقد كان يعاني أمراؤها وحكّامها في الهند من ثورة العرب وفتنة الزط وغارة الميد فقسموا النظم في مختلف الأقسام وتحمّلوا مسؤوليات الشؤون المالية والقضائية والإدارية والحربية بدعم من أعوانهم والأمراء تحت إمرتهم. وفي هذه الأوضاع كان الزط والميد يغيرون فيقتلون وينهبون في بحر فارس وبحر الهند وكانوا يجمعون قوتهم في بعض مناطق العراق وجزائر بحر فارس وعلى هذا فقد مسّت الحاجة إلى جعل إمارة بحر البصرة التي كان يعيّن تحتها أمراء بصورة منظمة وكانوا يغيرون على الجزائر والسواحل تحت قيادتهم فكأنّ هذه الإمارة كانت قسمًا من أقسام نظم الدولة في الهند.

كانت هذه الإمارة متعلقة بشؤون الدولة فنفصّل أنشطتها التي لم يذكرها سوى خليفة بن خياط (ت240هـ) فقد التزم بذكر غزوات بحر البصرة في كتابه الذي تحدّث فيه عن كلّ حدث حسب الترتيب الزمني، وما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية والذهبي في تاريخ الإسلام من غزوات هذه السلسلة يرجع فضلها إلى هذا المصدر.

بحر البصرة وبلاد بحر البصرة: فأولًا نذكر بحر البصرة وبلاد بحر البصرة التي كانت جزءًا من هذه الإمارة والتي أقيمت لها هذه الإمارة فبحر فارس وبحر العرب وبحر البحرين وبحر عمان وبحر الهند أسماء مختلفة لبحر واحد فقد انتسب بالبلد الذي يجاوره ثم أطلق بحر البصرة على هذه المناطق كلها. ليس هذا المصطلح بحريًا ولا جغرافيًا بل هو اسم لقسم من أقسام نظم الدولة في العهد

العباسي والذي كان متعلقًا بإمارة الهند وحكومتها. كانت إمارة بحر البصرة مشتملة على بلاد بحر البصرة، وجزائر بحر فارس، ومكران والسند وغوجرات وسرست. وهذه المناطق كانت مجالًا للميد ومركزًا لهم وبها كانت إمارة بحر البصرة متعلقة فكما يقول ياقوت الحموي إنّ بحر فارس القديم الذي هو جزء من بحر البصرة طبقًا للمصطلح الجديد ساحله الأول من البصرة عن طريق دجلة هو محرزة وهي مدينة صغيرة جانب عبادان ومن هنا تنقسم إلى فرعين أحدهما إلى الجانب الأيمن الذي يدخل في البحر على ساحل البحرين وتجري فيه السفن والمراكب المتوجهة إلى ميادين البحرين ومناطق العرب وتقع على سواحله الجنوبية القطر وعمان والشحر ومرباط وحضرموت وعدن وأما الفرع الثاني فهو يدخل في البحر عن طريق بحر فارس عن جهة الشمال، وبسبب دخولهما في البحر تتحول عبادان إلى جزيرة. والمدينة الشهيرة على ساحل بحر فارس من جهة عبادان هي مهروبان. هنا يسمّى بحر فارس بـ"ز راه افرنگ" بالفارسية ومن هنا يتفرع خليج من البحر يتجاوز أبلة جانب الشمال من الجنوب ويدخل في مياه بطيحة للعراق ثم مدينة جنابة للقرامطة على جانب الجنوب ويقابلها جزيرة خارك في البحر ثم تبرز على سواحل فارس سينيز وبو شهر وبخيرم وسيراف وجزيرة لا ر وقلعة نهرو ويقابلها في البحر جزيرة قيس بن عميرة التي تبدو من المناطق الميدانية الفارسية. وهذا المكان أكثر عمارة في بحر فارس ويسكنه سلطان البحر ومتوليه ثم تأتي هرمز على ساحل فارس وتقابلها جزيرة كبيرة باسم جاسك في لجة ثم تأتي مدينة الهند تيز مكران وهنا ينتهي حد بحر فارس.

ثم يأتي بحر الهند الذي يجري من ساحل تيز مكران نحو الشرق عرضًا ويقع على ساحله الديبل وكش وسومنات وكنبايت ثم ينشق الطريق من خلال الخليج إلى بروص ثم توجد انعطافات امتدت حتى مالابار ومن أشهرها منجرور وخاكنور ثم يأتي خليج يمر به الطريق إلى معبر وهذه آخر منطقة للهند.[1]

[1] معجم البلدان، 69/1

ثم توجد في بحر البصرة (بحر فارس وبحر الهند) جزائر صغار وكبار جعلها الميد مركزًا لهم وملجأ ولقد فصّلها ابن خرداذبة جغرافي العصر العباسي كما يلي:

(1) جزيرة فارس على بعد 50 فرسخًا من البصرة، وهي مساحتها فرسخ واحد وبها حدائق العنب والنخيل وحقول للخضراوات.

(2) وجزيرة لاوان على بعد 80 فرسخًا من هنا، مساحتها فرسخان، وبها حدائق للنخيل وحقول للخضراوات.

(3) وجزيرة أبرون على بعد سبعة فراسخ من هنا، مساحتها فرسخ واحد، بها حقول للخضراوات وبساتين النخيل.

(4) وجزيرة فين على بعد سبعة فراسخ من هنا، ومساحتها في نصف ميل، وهي جزيرة قاحلة.

(5) وجزيرة قيس على بعد سبعة فراسخ من هنا، ومساحتها أربعة فراسخ، وبها حقول للخضراوات وتربية الماشية ومنها يستخرج اللؤلؤ.

(6) وجزيرة ابن كاوان على بعد 18 فرسخًا، ومساحتها ثلاثة فراسخ.

(7) وكل من جزيرتي هرموز وثارات على بعد سبعة فراسخ من هنا.[1]

كانت هذه الجزائر والمدن من البصرة إلى سرست وكش تسمّى بلاد بحر البصرة وفيها كان أمراؤها يخوضون في الحرب ضد الميد والتي حدها النهائي منطقة سرست فقال البلاذري في 255هـ: سرست مغزى أهل البصرة، أهلها ميد يقطعون في البحر.[2]

كانت البواخر المقاتلة ضد هؤلاء الميد تحمل جيوشها وأسلحتها وكانت تشنّ عليهم الغارة من قبل إمارة بحر البصرة.

---

[1] المسالك والممالك لابن خرداذبة، ص 62-61

[2] فتوح البلدان، ص 427

مدن وجزائر شهيرة كانت عرضة للميد: الجزر والسواحل الواقعة بين البصرة والهند كانت تحتل المركزية حيث كانت ترسى بواخر التجار والمسافرين وكان يقلّ بها قدر كبير من الأمتعة والسلع التجارية فكانت الحاجة ماسة إلى الوعي والإدارة الكبيرين لحمايتها فكان الميد يشنّون الغارة على هذه السلع وهؤلاء المسافرين وينهبونها ويقتلونهم بصورة منظمة وفيما يلي الإشارة إلى أهمية بعض الجزر والمدن المركزية والتجارية والبحرية والتي ستدلّ على الحاجة إلى إمارة بحر البصرة.

جزيرة قيس: وكانت تسمّى "كيش" و"كيس"، وكانت تقع في حدود عمان في بحر البصرة، مساحتها أربعة فراسخ، كانت مدينة جميلة للغاية، بها حدائق واسعة، ومبانٍ شامخة، وقصر سلطان البحر. وكانت تجني ثلثي دخل البحرين، وكانت ترسى بها البواخر بين الهند والعرب فكانت هي سوقًا تجارية وكان حاكمها ذا رعب على ملوكها وحكّامها لأنه كان يمتلك مراكب وبواخر وأساطيل بحرية كثيرة صغيرة وكبيرة وكانت الدرر تخرج من جزيرة قيس وما جاورها من الجزر وكانت الجزائر كلها ملك سلطان قيس.[1]

جزيرة جاسك: جاسك جزيرة كبرى مقابل مدينة هرمز الساحلية بين جزيرة قيس وعمان وهي تبعد عن جزيرة قيس مسافة ثلاثة أيام عن طريق البحر وكانت بها مبانٍ يسكنها الجيش البحري لحاكم جزيرة قيس وكانت البحرية قوية وثابتة وماهرة في حروبها، وكانت تعرف طريقة ترميم المراكب والسفن، تقاتل الميد بسيوفها لأيامٍ سائحةً في البحر كمثل الحروب البرية ولأجل بسالتها ومهارتها في الحروب وصبرها وثباتها عمّت الشعبَ قصصٌ وأساطير عنها.[2]

رأس الجمجمة: يبرز جزء من الأرض في البحر على قرب من عمان بين عمان

---

[1] معجم البلدان، 197/7

[2] المصدر نفسه، 38/3

وعدن، ويسمّيه البحّارون "رأس الجمجمة" ويشهرونه لأنه كمثل معلم للبواخر من العرب إلى الهند.[1]

سيراف: هذه كانت مدينة كبرى تجارية على ساحل بحر البصرة وكان ترسى بها البواخر الذاهبة والآئبة من وإلى الهند، كان يسمّيها التجّار "كوشيلاؤ" وهناك خليج بين جبلين على بعد فرسخين ترسى به البواخر وإذا كانت الريح مواتية فسيراف تقع على بعد سبعة أيام من البصرة ولما أصبحت الجزيرة مرفأ للبواخر الذاهبة والآئبة فخربت سيراف وجعل الميد يسكنونها.[2]

هرمز: هرمز (هرموز) كانت مدينة ساحلية لبحر البصرة وكان يصل بها خليج من البحر، كانت هذه مرفأ لكرمان وكانت تأتيها بواخر الهند فكانت تنزل سلعها وترسل منها إلى كرمان وسجستان وخراسان.[3]

قلهات: كانت قلهات مدينة ساحلية لعمان كانت ترسى بها بواخر الهند ثم أصبحت مرفأ مستقلًا وسيطر عليها حاكم هرمز.

هذه السواحل والجزائر كانت مركزًا وملجأ للميد الهنود ومن هنا كانوا يغيرون فيقتلون وينهبون من سقوطرة إلى عدن.

كثرة الميد في كش وسرست: ولو أنّ الميد قد جعلوا مستعمراتهم ومراكزهم في السواحل من مكران إلى سواحل سرنديب والميادين وراءهما ولكنهم تجمّعوا في العصر العباسي في سواحل سرست وغوجرات وميادينهما ومن هنا كانوا يقطعون مراكب المسلمين وسفنهم في بحر البصرة (بحر فارس وبحر الهند) وكانوا يغيرون على القرى والأرياف ولقد ذكر كل مؤرخ وجغرافي من هذا العصر تجمعهم وغارتهم فقال ابن خرداذبة: المسافة من نهر

---

[1] المصدر نفسه، 136/3

[2] المصدر نفسه، 193/5

[3] المصدر نفسه، 460/8

السند إلى منطقة أوتكين أول منطقة هندية مسافة أربعة أيام. إنّ مناطقها الجبلية تحصد الخيزران وأما ميادنها فهي تزرع الأشياء الأخرى: "وأهلها عتاة، مردة، لصوص، ومنها على فرسخين الميد".[1]

وذكر الأصطخري أنّ الميد يسكنون سواحل نهر السند من ملتان (بنجاب) إلى السند ولهم مراعٍ وأماكن للسكن في الميادين بين نهر السند وقامهل وأنهم يسكنونها بكثرة.[2]

وقال المسعودي في كتاب التنبيه والإشراف إنّ ميادين نهر السند وغاباته الواسعة الممتدة لثلاثمئة فرسخ والتي تنبت غابات الرماح والخيزران ويسكنها الكثيرون من قوم سندي يسمّى "بالميد" الذين كانوا يقاتلون أهل المنصورة: "ولهم بوارج في البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند وجدة والقلزم وغيرها كالشواني في بحر الروم".[3]

وجاء في مروج الذهب ذكر غارة الميد على أهل سقوطرة كما يلي:

"وهم في هذا الوقت تأوي إليهم بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين في هذه البوارج وهي المراكب على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم في الشواني على المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر".[4]

ولقد ذكر البيروني في كتابه "كتاب الهند" كش وسومنات في سرست كمركزين للميد فيقول مشيرًا إلى مسافة المدن:

"ثم البوارج، لصوص ومواضعهم كج وسومنات وسمّوا بهذا الاسم لأنهم يتلصصون في الزوارق واسمها بيرة".[5]

[1] المسالك والممالك، ص 62
[2] المصدر نفسه، ص 167
[3] كتاب التنبيه والإشراف، ص 55
[4] مروج الذهب، 20/6
[5] كتاب الهند، ص 82

ولقد مضى قول البلاذري بأنّ سرست كان مغزى أهل البصرة وأهلها ميد وهم قطاع في البحر.

وبما أنّ كش وسرست كانا مركزين مهمين لهؤلاء الميد فقد أغارت إمارة البحر على سرست فالغزوات في سرست في 174هـ و230هـ هي من نوع هذه الغارات.

طرق غارتهم وبعض الأحداث: لقد اشتدت غارة هؤلاء الميد في العصر العباسي حيث إنّ الفوضى قد عمّت الهند في نهاية العصر الأموي فقد أقام منصور بن جمهور الكلبي ومنظور بن جمهور الكلبي حكومتهما المستقلة في السند ومكران بأسرهما وكذا رفعت العصبية القبلية رأسها في عرب ملتان وقندابيل في بداية العصر العباسي نخاضوا في النزاع الداخلي وكان الأمراء العباسيون يواجهون هذه الأوضاع فاغتنم الزط والميد الفرصة وعمّموا الفوضى والدمار والنهب، ففي جانب أقام الزط تحت قيادة رؤسائهم مركزهم في العراق، فأغاروا منه على البصرة وبغداد والكوفة وواسط، وفي جانب آخر أثاروا الفتن في داخل الهند نفسها وعقدوا أواصر الود بينهم وبين زط العراق، فساهموهم في أشغال الدمار والقتال والنهب. وهكذا فقد أفسد الميد والزط بسواحل الهند وجزائر بحر البصرة ومناطق البحر وبسببهم أصبح الطريق البحري من الهند إلى الصين إلى العرب ذا خطورة وخوف وكان هؤلاء يقطعون على سفن ومراكب المسلمين التجارية وغير التجارية.

ولقد أزعجت جماعة الميد هذه تجار الهند وأغنياءها كثيرًا وكانوا يعملون عملهم بدون أيّ مخافة فكانوا يختطفون أشهر الأغنياء والتجار فيحصلون على أموال فادحة ولم يكونوا يميزون بين الهندوس والمسلمين، المحليين والأجانب بل كانوا يختطفون أيّ تاجر غني شاؤوا، وكانوا يطلبون منه كثيرًا من الأموال فقال أبو زيد السيرافي إنّ ميد الهند كانوا يدخلون

أسواق سرنديب فيغيرون على التجار بسكاكينهم الحادة أو كانوا يختطفونه ولا يقدر أحد على حمايته. وإن أحبّ أحدٌ أن يصون تاجرًا فيضحّي بنفسه. وهكذا فكان الميد يطلبون الأموال ولا يتركونه بدون الحصول عليها. بقيت هذه الحالة حتى زمن طويل إذ أمر ملك بالقبض على ميد يضرّ بالتجار ففي البداية كان الميد يقتل نفسه والتاجر حين القبض عليه ولكن هذه الخطوة الشديدة أعادت الأمن إلى البلاد:

"وتلفت فيه أنفس الهند وأنفس العرب فلما وقع الناس انقطع ذلك، وأمن التجار على أنفسهم".[1]

ونفس الطريقة اختاروها خارج سرنديب وفي داخل الهند فقال الملّاح بزرك بن شهريار: إنّ الميد في الهند يجولون في المدن ويقطعون على التجار الأغنياء ولا يفرّقون بين العربي والهندي ويقبضون على التاجر فيجردون السكين له طالبين منه المعلوم من الأموال ويهدّدونه بالقتل وإن جاء أحد من الشعب أو الحكومة لحمايته فقتلوه ولم يكونوا يكترثون بأنفسهم أو بالآخرين فلم يكن أحد يجترئ على منعهم. كانوا يختطفون التاجر فيجعلونه في مكان آمن ويأكلون ويشربون وأمامهم سكين مصلوت ويحرّرون التاجر إذا بلغهم المال.[2]

ونفس الحدث وقع في مدينة تهانه مدينة قريبة من مومبائ، كان تاجر مسلم يسمّى محمد بن مسلم السيرافي مقيمًا بتهانة لأكثر من عشرين سنة، وقد زار معظم مدن الهند وكان يقف على أخبارها. يقول إنّ اثني عشر قاطعًا حاصروا ابن تاجر هندوسي في الهند في داره وطلبوا منه عشرة آلاف دينار فجاء التاجر الملك وقصّ له القصة واستنصره فقال له الملك إني عاجز عنهم فادفع إليهم ما طلبوك ونجّ ولدك وإلا فقل لي إن تشعل النار إلى دارك

[1] رحلة أبي زيد السيرافي، ص 121
[2] عجائب الهند، ص 152

فيموتوا ويموت معهم ولدك فلم يدفع التاجر المبلغ فأشعلت النار في الدار وأحرق مَنْ كان فيها.

كتب الملّاح بزرك بن شهريار أنّ بحر سرنديب يمتد لثلاثمئة فرسخ، إنه أحد البحور المليئة بالأخطار والأهوال التي لا يمكن لأحد أن يمرّ فيه بسلام، يوجد به تماسيح كما توجد نمور بسواحله والآفة الثالثة هي الميد فإنهم يقطعون على الراكبين ثم يأكلونهم. إنهم أخسأ خلق فلا يوجد نظيرهم في البحر، وإن غرق مركب فلا تمر دقيقة إلا ويأكل المسافرين التماسيح وإن نجا مسافر ولجأ إلى الساحل فلا يتركه النمور.[1]

كتب المسعودي في أخبار الزمان أنّ بين سرنديب وفلنتن في الهند عديدًا من الخلجان يسكنها قوم أسود عريان فإن وصل بهم عربي التفوا به آخذين ملابسه ويقومون بتجزئته إلى قطع ولا ملك في ديارهم. إنهم يأكلون السمك والموز والنارجيل وقصب السكر. يزرع بغاباتها الخيزران.[2]

يبدو من هذه الأقوال أنّ هؤلاء الميد كانوا يثيرون الفوضى ويقومون بالغارات وكان الملوك والشعب قلقين ومنزعجين منهم.

قتال الراكبين والملّاحين ضد الميد: كان حرس المراكب والمسافرون يمتلكون الأسلحة لمواجهتهم فكانوا يسقطون الزيت والزفت الحارّ عليهم ولذا أخذموا منهم البياسرة والسيابجة فالحديد يقطع بالحديد. جاء في لسان العرب: "والبياسرة قوم بالسند وقيل جيل من السند يواجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب عدوّهم".[3]

ويقول الجاحظ: "البيسري جيل من الهند والسند تستأجرهم النواخدة لمحاربة العدوّ".

---

[1] المصدر نفسه، ص 27

[2] أخبار الزمان، ص 38

[3] لسان العرب، 58/4

وكذا جاء في لسان العرب عن السيابجة: "والسيابجة قوم من الهند يستأجرون ليقاتلوا فيكونون كالمبدزقة".

وكذا جاء فيه: "السيابجة قوم ذوو جلد من السند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبدزقونها".[1]

كتب المسعودي في أخبار الزمان أنّ في بحر الهند جزيرة اسمها مدر أهلها سود قراصنة في البحر ويقتلون المسافرين فيمتلك أرباب السفن التجارية من الصين والمسافرين النفط والزيت الحارّ لمحاربتهم ففي بعض الأحيان يركبها أربعمئة تاجر وخمسمئة حارس فلا يهاجمها القراصنة بل يغيرون على سفن ومراكب أخرى.[2]

إسماعيل بن إبراهيم (إسماعيلويه) أشهر النواخد الذين جاؤوا بلاد الذهب (غوجرات وسرست). يقول: ذات مرة ركبت الباخرة من كلة ميناء الهند الجنوبي إلى عمان فلقيت الميد على سبعين سفينة حربية لم نزل نقاتلهم لمدة ثلاثة أيام متتالية فأحرقنا سفنهم وقتلنا جماعة منهم ونجونا بعد جهد جهيد. استغرقنا 41 يومًا من كلة إلى شط العرب (الشحر).[3]

ذات مرة أراد هؤلاء الميد أن ينهبوا باخرة تجارية بعد أن سيطروا عليها فخرج الملك المحلي وشعبه لمواجهتهم كما قاتلهم بعض التجار بعون من حرسهم، وكان يركبها مسافر ظريف من العراق فلما رأى أنّ الحرب بين الميد والمسافرين قد حميت أخرج ورقة طويلة من صندوقه قد كتب عليها الحساب فنشرها في الفضاء ورفع يديه إلى السماء وجعل يتلفظ كلمات بصوت عال فلما رآه الميد امتنعوا عن الحرب ودنت منه جماعة منهم ومنعته عن هذا الفعل، إننا

[1] المصدر نفسه، 294/2

[2] أخبار الزمان، ص 39

[3] عجائب الهند، ص 130

راجعون ولا نأخذ شيئًا منكم ثم جعلوا يقولون: لا تقاتلوهم فإنهم قدّموا قضيتهم إلى إله السماء فسيغلبون علينا ويقتلوننا ثم جعل الميد يتضرعون إليه حتى لفّ ورقته ووضعها في صندوقه فرجعوا عنهم.[1]

الملوك والحكّام والميد: كانت جماعة الميد المنظمة تخلق الفساد والدمار في داخل الهند وخارجها فكان التجار من العرب إلى الصين عرضة لهم فكانوا يدخرون الأسلحة في بواخرهم وكانوا ينفقون الكثير على حمايتهم وبعد ذلك ربما كانوا يعانون من المصائب وعلى هذا فقد اشتهر ملوكها كما اشتهر ميدها لأنّ الملوك كانوا عاجزين لتوفير السلام العالمي وعندما قدّمت الشكوى إليهم أبدوا عن عجزهم. نفس الإجابة وجّهها الملك داهر إلى الحجاج بن يوسف في العصر الأموي فاضطر محمد بن القاسم إلى أن يغير عليها وكذا شكا تاجر هؤلاء الميد إلى الملك المحلي في العصر العباسي واستعانه ضدّهم فأظهر عجزه. ولا ندري لم لم يجترئ ملوكها سوى ملك من سرنديب على مواجهتهم مع أنهم كانوا يمتلكون جيوشًا قوية وكانوا يغيرون على بلاد أخرى ويرغبون في السيطرة على الملوك الضعفاء وكذا حينما أغار المسلمون على هؤلاء الميد يقعد هؤلاء الملوك شاهدين لا معينين لهؤلاء المسلمين ولا مائلين إلى هؤلاء الميد، ومن أسباب هذا مخافتهم من هؤلاء الميد فلم يكونوا يودّون أن يستيقظوا أسدًا نائمًا. والسبب الآخر أنهم كانوا يعتبرونهم جيشًا بحريًا لهم غير منظم فكانوا يحتاجون إليهم حين غارة عدوّهم عن طريق البحر كما كان يعتني بالقرطاجنة ملكها وكان يعينهم سرًا.

ولقد واجه المسلمون هؤلاء الميد على عكس تصرف ملوكها وحكّامها المحليين وقاتلوهم بشدة ودمّروا مستعمراتهم ولم يألوا أيّ جهد في القضاء عليهم. وبجانب مواجهتهم فقد أعانهم الجيش من بغداد والبصرة وحاربوهم مرارًا وتكرارًا في قندهار وباربد وفتحوا في سرست، وقد أعدّ محمد بن الفضل بن

[1] المصدر نفسه، ص 10

ماهان ثاني أمراء الدولة الماهانية سندان الأسطول البحري المشتمل على 70 سفينة وقاتلهم فقتل جماعة منهم كما فتح بالي تهانه في سرست.

ولكن على الرغم من هذه المحاولات كلها لم تضعف قوة الميد ولم يزالوا يغيرون على المناطق من سواحل بحر البصرة والجزائر إلى الهند ولذا اضطر الخلفاء العباسيون بجعل إمارة لبحر البصرة وأضافوا إليها قسمًا خاصًا بها.

قيام إمارة بحر البصرة في 141هـ وأول حرب ضد الميد: في 141هـ أسر عبد الجبار بن عبد الرحمن أمير خراسان من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور ورافقه ولده وجماعة من أعوانه فقتل أبو جعفر عبد الجبار وأرسل ولده ومَنْ معه إلى جزيرة في حدود اليمن فأسرهم الميد فافتدي البعض فيما بعد.[1] وفي هذه السنة أقام أبو جعفر المنصور قسمًا لإمارة بحر البصرة ذكر خليفة بن خياط أمراءها وأنشطتهم في تاريخ مرتب حسب السنوات فننقل منه أمراءها وخدماتها: كتب ابن خياط أنّ أبا جعفر المنصور ولّى محمد بن أبي عيينة على البحر في 141هـ فجاء مدينة قيس بجيشه البحري وهي جزيرة في البحر فواجهه مراكب الميد فتصدّى لهم ابن محمد بن عيينة مع جماعة من المسلمين. كان الميد بكثرة كما كانت سفنهم ومراكبهم فانهزم المسلمون في الحرب وأخلى محمد بن أبي عيينة مدينة قيس ثم دمّرها العدوّ وهي خراب حتى اليوم (232هـ).[2]

ذكر الذهبي هذا الحدث في 103هـ في تاريخ الإسلام ثم قال إنّ محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة ولّي على البحر ونزل بجزيرة قيس فجاءها مراكب وسفن الميد الحربية فلم يتقدّم لمواجهتهم بل خرج ولده فقتل هو وجماعة منه فهرب منها محمد بن أبي عيينة ودخل العدو المدينة ودمّرها. ذكر خليفة أنّ هذه المدينة خراب حتى الآن ولكنها عامرة هذه الأيام (القرن الثامن)

---

[1] البداية والنهاية، 77/1

[2] تاريخ خليفة، 643/3

ويأتيها التجار، إنها تسمّى اليوم بـ"جزيرة كيش".[1] في 148هـ خرج الميد وقطّاع البحر من الهند عن طريق البحر ودخلوا نهر دجلة قريبًا من البصرة[2] وفي 149هـ دخلوا مهلبان قريبًا من البصرة عن طريق نهر دجلة.[3] مهلبان منطقة قريبة من البصرة أعطاها المهلب بن أبي صفرة لزوجته خيرة بنت ضمرة قشيرة كعقار زمن إمارته في العصر الأموي. إنها كانت أمّ أبي عيينة بن المهلب.[4]

الحرب الثانية: في هذه السنة (149هـ) جمع الميد قوتهم بجزيرة خارك وقاتلوا أبا جيفر فقتل هو وكافة جنوده وخارك الجزيرة الأولى جهة الهند على بعد خمسين فرسخًا شرق بحر البصرة. ومساحتها فرسخ واحد، وكان يزرع بها كما كانت بها حدائق للعنب والنخيل.

الحرب الثالثة: في 151هـ دخل الميد دجلة في البصرة فواجههم أبو عبيدة السعدي وهزمهم.[5]

الحرب الرابعة: في 153هـ دخل الميد نهر الأمير عن طريق دجلة البصرة وقاتلوا فقتلوا وأسروا فيقول خليفة بن خياط إنّ تفلة ذكر لي أنه كان حاضر معركة نهر الأمير وقاتل مع جماعة ضد الميد وسلبهم ما كانوا يمتلكونه بالغين سفنهم الحربية[6] وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام أنّ الميد أغاروا على البصرة في 153هـ عن طريق دجلة وحاربوا فأسروا الناس ثم أرسل المسلمون الجيش لمحاربتهم فهزموهم وسلبوا أمتعتهم وحرّروا الأسرى.[7]

كان نهر الأمير من أشهر أنهار البصرة والذي حفره أبو جعفر المنصور ثم

---

[1] تاريخ الإسلام، 5/6

[2] تاريخ خليفة، 655/3

[3] المصدر نفسه، ص 560

[4] فتوح البلدان، ص 354

[5] تاريخ خليفة، 659/2

[6] المصدر نفسه، 666/2

[7] تاريخ الإسلام، 160/2

أهداه الخليفة إلى ولده جعفر وكان يدعى بنهر أمير المؤمنين في تلك الفترة ثم سمّي بنهر الأمير واشتراه الخليفة هارون الرشيد في زمن خلافته ووقف بعضه للعقار كما باع بعضه. كان هذا النهر عريضًا وعميقًا بحيث كانت السفن تجري فيه فجاء في فتوح البلدان (ص356) أنّ شهاب الدين بن عبد الملك ولّي بحر بلاد البصرة في 155هـ ولعله كان من قبيلة عبد الملك بن شهاب المسمعي الذي فتح باربد مدينة غوجرات في 160هـ زمن خلافة المهدي.

الحرب الخامسة: في 170هـ استخلف هارون الرشيد، وأقرّ محمد بن سليمان بن علي الهاشمي على ولاية البصرة فأرسل محمد بن سليمان يحيى بن سعد السعدي إلى بحر الصرة بثلاث عشرة سفينة حربية والجيوش لمقاتلة الميد. بلغ الجيش من البصرة إلى عمان ولكن العدو لم يخرجوا للمواجهة فرجع الأسطول البحري الإسلامي.[1] ولعل هذا هو الفقيه يحيى بن سعد بن قيس بن عمرو بن سهيل الذي كان قاضياً على بغداد زمن أبي جعفر المنصور.[2]

الحرب السادسة: في 174هـ جاهد حماد بن نمير في بلاد سرست[3] وقاتل ميدها وهزمهم وتفصيله موجود في مكانه.

في 176هـ جاء هارون الرشيد البصرة وعزل مسلم بن زياد الأصم عن ولاية بحر البصرة وآنذاك كانت سفن مسلم بن زياد الأصم الحربية قائمة بسليمانان.[4]

سليمانان عقار بالبصرة ينسب إلى سليمان بن علي الهاشمي ولعل هذا هو السد الشهير للبصرة الذي وضعه سليمان بن علي الهاشمي بخليج قندل في دجلة وبها كان عقار المنذر بن الزبير بن عوام ونهر النعمان بن المنذر ملك

[1] تاريخ خليفة، 664/6

[2] جمهرة أنساب العرب، ص 349

[3] تاريخ خليفة، 714/2

[4] المصدر نفسه، ص 716

حيرة الذي منحه كسرى كعقار وبها كان قصر النعمان بن المنذر.[1]

الحرب السابعة: في 177هـ قاتل عمرو العربي في المدن الواقعة في بحر البصرة وغلب على سفن العدو الحربية في منطقة رأس الجمجمة.[2] ورأس الجمجمة منطقة برية في البحر بين عدن وعمان ومتصلة بعمان ويسمّيها البحّارون "رأس الجمجمة" فقاتل عمرو العربي الميد بالمدن والجزر البحرية على قرب من البصرة إلى عمان وقام بافتتاحها.

الحرب الثامنة: في 178هـ تم تولية مسلم بن زياد الأصم على بحر البصرة مرة أخرى ففي هذه المرة قاتل في بحر البصرة وغلب على إحدى عشرة سفينة بحرية للعدوّ.[3]

الحرب التاسعة: وفي 179هـ قاتل مسلم بن زياد الأصم الميد مرة أخرى وفي هذه المرة قبض على أربع سفن بحرية للعدوّ.[4]

الحرب العاشرة: في 181هـ واصل مسلم بن زياد الأصم القتال في بحر البصرة ورجع سالمًا وغانمًا وظفر في العديد من المعارك وسلب العدوّ الكثير من الأسباب والأمتعة.

كان محمد بن عباد بن عباد واليًا على بحر البصرة في زمن الخليفة المأمون فعزله المأمون في 213هـ وفوّضه إلى غسان بن عباد فولّى محمد بن عباد بن عباد بحر البصرة.[5]

جاء غسان بن عباد السند لعقاب بشر بن داود المهلبي زمن خلافة المأمون وكان يرافقه محمد بن عباد المهلبي وهذان أصبحا مسؤولين عن بحر البصرة وفي

---

[1] فتوح البلدان، ص 357

[2] تاريخ خليفة، 717/2

[3] المصدر نفسه، ص 718

[4] المصدر نفسه، ص 719

[5] المصدر نفسه، ص 776

215هـ ولّي إبراهيم بن محمد التيمي على بحر البصرة.[1] ثم فوّض هذا المنصب إلى أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري وفي 225هـ تم عزله[2] كان أحمد أخا قاضي البصرة الحسن بن عبيد الله بن الحسن العنبري (ت223هـ).

الحرب الحادية عشرة: في 266هـ ولّي أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري على بحر البصرة مرة أخرى فقاتل الميد في بحر البصرة وافتتح.[3]

الحرب الثانية عشرة: في 223هـ جعل أحمد بن رياع قاضي البصرة فولّي إبراهيم بن هاشم على بحر البصرة فقاتل إبراهيم العدو في بحر البصرة وافتتح في 228هـ.[4]

الحرب الثالثة عشرة: في 229هـ قاتل إبراهيم بن هاشم بحر البصرة عن جهة أحمد بن رياح قاضي البصرة فقاتل العدو وهزمهم.[5]

الحرب الرابعة عشرة: في 230هـ حارب إبراهيم بن هاشم العدو في بحر البصرة وفي هذه المرة بلغ إبراهيم بجيشه حتى مدن سرست وأحرق بعض الأرياف التي كانت فيها مستعمرات الميد فأسرهم[6] ومضى تفصيل هذه الحرب ولقد حارب إبراهيم بن هاشم الميد لمدة ثلاث سنوات متواصلة وفي المرة الثالثة دخل سرست مركزهم فنشر جمعهم. وفي هذه الفترة كان الميد قد أصبحوا منظّمين.

الحرب الخامسة عشرة: في 231هـ وقعت الحرب في بحر البصرة مرة أخرى وفي هذه المرة تحطّمت سفن حربية للفدائيين والمتطوعين المسلمين بين جنابه وسينين، الأمر الذي مات فيه البعض.[7] وجنابه (جنابا) مدينة القرامطة في بحر البصرة التي يقابلها جزيرة خارك في البحر وبعد جنابه مدينة ساحلية باسم

[1] المصدر نفسه، 778/2
[2] المصدر نفسه، ص 797
[3] المصدر نفسه، ص 793
[4] المصدر نفسه، ص 793
[5] المصدر نفسه، ص 794
[6] المصدر نفسه، ص 795
[7] المصدر نفسه، 797/2

سينين في الشرق، وقعت هذه الحادثة بين هاتين المدينتين الساحليتين.

منذ 141هـ حتى 231هـ ذكر خليفة بن خياط حوالي 15 حربًا بحرية حسب الترتيب الزمني وأنهى كتابه على 232هـ بينما توفي في 240هـ أي بعدها بثماني سنوات وقد وقعت الحرب بين المسلمين والميد في بحر البصرة بعد وفاته أيضًا ولكننا لم نقف على تفصيلها.

محاربة الزط: قد سيطر الزط على منطقة في العراق وكانوا يسلبون وينهبون كعادة الميد وكانت الخلافة تعاقبهم ففي 205هـ أرسل المأمون عيسى بن يزيد الجلودي لمحاربة الزط، وفي 206هـ ولّى المأمون داود بن ماسجور على البصرة ومنطقة دجلة واليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة الزط. وفي 415هـ أرسل المعتصم عجيف بن عقبة بجيش عظيم لمواجهتهم، وبعد قتال دام لأشهر أسر 27 ألفًا من الزط، وجيء بهم إلى بغداد. فأرسلهم المعتصم إلى عين زربة وبعدها بعشر سنوات أو إحدى عشرة سنة أغار الروم على عين زربة في 241هـ ونهب زطها ببهائمهم ونسائهم حتى لم يفلت منهم أحد ثم نجا المسلمون من آفة الزط.[1]

[1] البداية والنهاية، 255/10، و259، و282، و314

الإمارة ونظم الدولة

بويع أول خليفة عباسي أبو العباس السفاح في 13/ ربيع الآخر 132هـ وكان آنذاك يسيطر على السند ومكران منصور بن جمهور الكلبي وتوفي الخليفة العباسي العاشر المتوكل في 3/ شوال 247هـ وقد أعلن آنذاك أمير المتوكل على السند عمر بن عبد العزيز الهباري باستقلاله بالحكم وهكذا فقد حكم على الهند الخلفاء العباسيون مباشرة نحو 115 سنة وستة أشهر. وقد قضي على سيطرة منصور بن جمهور الكلبي عليها في 20/ رمضان 136هـ، وهذا يعني أنه لم تحكم عليها الخلافة العباسية فعلًا في أربع سنوات وخمسة أشهر وسبعة أيام الأولى. وهكذا فقد حكمها الخلفاء العباسيون نحو 110 سنة فقط. وقد استخلف 10 خلفاء خلال هذه المدة وهم ولّوا 42 أميرًا حاكمًا عليها ويشملها أمراء ضمنيون ونوّابهم. كان العراق، خلال حكم بني أمية، آمرًا على تبت إلى الصين (غربي تركستان) ويشملها الهند والسند والري وخراسان وسجستان وطبرستان والديلم والجبال، وكأنّ أصفهان كانت سنة العراق فالأمير على العراق كان يحكم في تلك الفترة على بلاد الشرق كلها وكانت هذه المناطق تعتبر جزءًا من حكومة العراق طبقًا لنظام الحكم ولكن زالت هذه الحالة في العصر العباسي فالآن أصبح العراق عاصمة وأصبحت بلاد الشرق كلها دولة مستقلة كان الخلفاء العباسيون يولّون عليها أمراء وحكامًا من لدنهم، وكانت هي متعلقة بالخلافة العباسية بدلًا من حكومة العراق إلا أنّ بعضًا منها كان يأتي تحت حكم العراق في حالات طارئة، ولكن هذا الأمر لم يكن يصدر بدون الخلافة ولقد بقيت هذه الحالة في الهند كذلك أنّ الخلفاء العباسيين كانوا يعيّنون نوّابهم مباشرة ولم يكن هؤلاء النوّاب يسألون

إلا من قبل الخلفاء ولم يكن لحكام البصرة والكوفة أيّ علاقة بذلك.

وفيما يلي نذكر فهرسًا لأمراء الخلافة العباسية على الهند أخذناه من تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ اليعقوبي وفتوح البلدان للبلاذري.

في عهد أبي العباس السفاح: بويع أول خليفة عباسي أبو العباس السفاح بالكوفة في 13/ ربيع الآخر 132هـ ليلة الجمعة، وتوفي يوم الأحد الثاني عشر لشهر ذي الحجة 136هـ فحكم أبو العباس لأربع سنوات وثمانية أشهر ويوم واحد، وقد ولّي على السند أميران خلال هذه المدة:

1. المفلس بن سري العبدي، كان من بني تميم، جاء بالجيش من سجستان لمواجهة منصور بن جمهور فقتل هو وأعوانه في القتال.
2. وبعدما قتل المفلس ولّي موسى بن كعب التميمي في 134هـ. الذي هزم منصور بن جمهور في 136هـ وضمّ السند إلى البلاد التابعة للخلافة العباسية.

في عهد أبي جعفر المنصور: استخلف أبو جعفر المنصور في 12/ ذي الحجة 136هـ وتوفي يوم السبت السادس من شهر ذي الحجة 158هـ. فحكم لإحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا. ولّي على الهند سبعة أمراء في عهده وهم كما يلي:

3. جعل موسى بن كعب ولده عيينة بن موسى بن كعب نائبه في بداية حكم أبي جعفر المنصور وتوجّه نحو العراق الذي توفي به في 141هـ فأعلن عيينة عن استقلاله بالحكم في 142هـ.
4. في 143هـ أرسل عمر بن حفص هزار مرد المهلبي لعقاب عيينة وكان يرافقه عقبة بن مسلم فحرّر السند من قبضة عيينة عمر بن حفص هزار مرد المهلبي.
5. استدعى أبو جعفر المنصور عمر بن حفص إلى بغداد فجعل جميل بن

صخر نائبه وأقبل إلى الخليفة.

6. ثم ولّى أبو جعفر المنصور هشام بن عمرو التغلبي عليها، الذي نال فتوحًا جليلة وأرسل عمر بن جمل بالأساطيل البحرية للغارة على مناطق البحر.
7. ثم جعل هشام بن عمرو التغلبي أخاه بسطام بن عمرو التغلبي نائبه وذهب للقاء أبي جعفر المنصور.
8. كان يساهم هشامًا أخوه الآخر سفيح بن عمرو في إدارة البلاد والخوض في الحروب.
9. ولّى أبو جعفر المنصور معبد بن خليل التميمي بعد بسطام بن عمر التغلبي وقد جاء اسمه في بعض الكتب "سعيد" مكان "معبد". إنه قام بحكومة ناجحة.
10. توفي معبد بن خليل بالمنصورة دار إمارة السند فولّى مكانه ولده محمد بن خليل التميمي الذي بقي على هذا المنصب حتى وفاة أبي جعفر المنصور.

في عهد المهدي: يمتد حكم الخليفة المهدي منذ ذي الحجة 158هـ حتى محرم 169هـ فمدة خلافته عشر سنوات وشهر ونصف شهر، ولّي على السند سبعة أمراء خلال حكمه:

11. في 159هـ عزل المهدي محمد بن معيد بن خليل وولّى مكانه روح بن حاتم المهلبي فأقام بها لأيام.
12. وقد ولّي في هذه الفترة يزيد بن حاتم المهلبي.
13. وسليمان بن قبيصة المهلبي.
14. ثم أرسل نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي فقد ثار الزط في عهدي روح ونصر فأعطى المهدي السند تحت إمارة محمد بن سليمان بن علي الهاشمي أمير البصرة.
15. ثم ولّي عليها عبد الملك بن شهاب المسمعي فأقام بها أقلّ من عشرين يومًا.

16. ولّى المهدي نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي مرة أخرى.
17. ثم ولّي عليها الزبير بن عباس الهاشمي كما يقول ابن حزم ولكن اليعقوبي كتب أنه لم يأتها بعدما ولّي عليها.
18. ثم جاءها سفيح بن عمرو التغلبي أميرًا مستقلًا وقد حكم عليها أخواه هشام وبسطام خلال حكم أبي جعفر المنصور. وقد برزت أول مرة عصبية العرب القبلية في عصره فتسبّبت في فتنة كبرى.
19. ثم ولّى المهدي مولاه الليث بن طريف الخزاعي عليها.

في عهد الهادي: فترة خلافة الهادي من محرم 169هـ حتى ربيع الأول 170هـ فهي سنة واحدة وشهر واحد وخمسة وعشرون يومًا، لم يكن على السند سوى أمير واحد في عهده.

20. جعل الليث بن طريف ولده محمد بن الليث بن طريف الخزاعي نائبًا له على السند ورجع إلى بغداد بدعوة من الهادي، ولكن الهادي توفي قبل أن يبلغها الليث.

في عهد هارون الرشيد: تمتد خلافة هارون الرشيد من ربيع الأول 170هـ حتى 4/ جمادى الأخرى 193هـ فمدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهران وستة عشر يومًا وقد مضى 11 أميرًا عليها خلال هذه الفترة.

21. عزل هارون الرشيد محمد بن الليث الخزاعي وولّى سالمًا اليونسي.
22. توفي سالم بالسند ففي أواخر أيامه أقام مقامه ولده إبراهيم بن سالم الذي عزل بعد سنة.
23. ثم ولّى هارون الرشيد إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي على السند والذي حكم عليها حكمًا ناجحًا.
24. وبعدما عزل إسحاق ولّي عليها طيفور بن عبد الله بن منصور الحميري.

سمّاه خليفة بن خياط محمد بن طيفور.

25. خلال فترة إمارته وقعت بها ثورة النزارية واليمانية فعيّن جابر بن الأشعث الطائي على غربي السند ومكران.

26. ثم ولّي على السند سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي الذي أرسل إليها أخاه كثير بن مسلم بن قتيبة ولقد عمّتها الفوضى في هذه الفترة ففوّضها هارون الرشيد إلى أمير البصرة عيسى بن جعفر بن منصور.

27. أرسل عيسى بن جعفر محمد بن عدي الثعلبي إلى هنا، وكان ابن أخت الأمير الأسبق على السند هشام بن عمرو التغلبي، اشتدت العصبية القبلية في عصره ولم ينجح محمد بن عدي في إخمادها.

28. فولّى هارون الرشيد عبد الرحمن بن سليمان بن علي الهاشمي مكانه.

29. فجعل عبد الرحمن بن سليمان الهاشمي عبد الله بن علاء الحلبي نائبًا له ورجع منها.

30. ثم ولّى هارون الرشيد أيوب بن جعفر بن سليمان بن علي عليها والذي أرسل سليمان بن سعيد بن زيد كرائد له وتوفي قبل أن يبلغها.

31. في 184هـ ولّى هارون الرشيد داود بن يزيد بن حاتم المهلبي.

32. فأرسل أخاه المغيرة بن يزيد بن حاتم المهلبي وفي فترة إمارته ازدادت قوة النزارية بها فخططوا على أنْ يقسموا السند فيما بينهم ويخرجوا اليمانية منها ففشل المغيرة بن يزيد في إخماد هذه الثورة فجاءها داود بن يزيد بنفسه وأخمد الثورة بالقوة.

في عهد الأمين: تبتدئ خلافة الأمين بن هارون الرشيد من جمادى الأول سنة 193هـ وتنتهي على 15/ محرم سنة 198هـ فمدة خلافته أربع سنوات وسبعة أشهر وعشرة أيام فقد مضت فترته كلها في النزاع بينه وبين أخيه

المأمون ولم يمض في السند سوى أمير واحد.

33. كان داود بن يزيد المهلبي أميرًا على السند زمن خلافة الأمين، وقد توفي بالسند في 195هـ وجعل ولده بشر بن داود المهلبي نائبًا له كما كتب اليعقوبي ولكن صرّح ابن كثير وابن الأثير أنّ داود بن يزيد المهلبي توفي في 205هـ في عهد المأمون فقام مقامه ولده بشر بن داود المهلبي.

في عهد المأمون: تبتدئ خلافة المأمون من محرم 198هـ وتنتهي على محرم 218هـ فمدة خلافته 20 سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، وقد مضى في الهند خمسة أمراء في هذا العهد.

34. قد أبقى المأمون بشر بن داود المهلبي شريطة أنْ يرسل مليون درهم سنويًا إلى بغداد ولكنه منع إرسال هذا المبلغ بعد سنوات وأعلن عن استقلاله بالحكم فلما بلغ المأمون هذا الخبر أرسل حاجب بن صالح لعقابه وبما أنّ المعركة كانت حاسمة فأخبر الحاجب المأمون بالوضع.

35. وفي زمنه كان إبراهيم بن عبد الله المهلبي أميرًا على السند ومكران.

36. أرسل المأمون غسان بن عباد لعقاب بشر بن داود.

37. وفي نفس الفترة جعل موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أمير البلد.

38. وكذا أرسل أميرًا آخر إلى السند وهو محمد بن عباد المهلبي، توفي موسى بن يحيى البرمكي بالسند.

39. فقام مقامه عمران بن موسى بن يحيى البرمكي.

في عهد المعتصم: تبتدئ خلافة المعتصم من رجب 218هـ وتنتهي على ربيع الأول 227هـ ومدة خلافته ثماني سنوات وثمانية أشهر وكان آنذاك يؤدي عمران بن موسى البرمكي خدماته بالسند جيدًا فأبقاه المعتصم على منصبه وقتل عمر بن عبد العزيز بن المنذر الهباري عمران بن موسى لأجل

النزاع بين العرب سنة 220هـ.

في عهد الواثق بالله: استخلف الواثق بالله في 18/ ربيع الأول 227هـ وتوفي في ذي الحجة 232هـ فمدة خلافته خمس سنوات وتسعة أشهر وثلاثة عشر يومًا.

40. في هذا العصر كانت السند تعاني من مشاكل لأجل العصبية القبلية المنتشرة فيها وفي هذه الفترة جعل الواثق بالله أيتاخ التركي واليًا على السند وضواحي دجلة فجعل أيتاخ عنبسة بن إسحاق الضبي أميرًا على السند فأقام بها عنبسة تسع سنوات التي أخمد فيها الثورة. هذا ما ذكره اليعقوبي وأما البلاذري فهو يقول: إنّ عنبسة بن إسحاق الضبي جعل أميرًا على السند زمن المعتصم فيمكن أن يكون عمران بن موسى أمير الحرب وعنبسة بن إسحاق أمير البلد في تلك الفترة.

في عهد المتوكل: تبتدئ فترة خلافة المتوكل من ذي الحجة 232هـ وتنتهي في 3/ شوال 240هـ فخلافته امتدت لأربعة عشر عامًا وتسعة أشهر وتسعة أيام. قتل أيتاخ التركي في جمادى الأولى 235هـ فلما بلغ الخبر عنبسة بن إسحاق الضبي بالسند رجع إلى العراق.

41. ولّى المتوكل هارون بن خالد المروزي على السند وتوفي في 240هـ بعد خمس سنوات.

42. وبعد وفاته راسل عمر بن عبد العزيز بن المنذر الهباري الخليفة المتوكل وحصل على توليته على السند فبقي أمير الدولة العباسية على السند حتى 347هـ فلما قتل المتوكل أعلن عن استقلاله بالحكم إلا أنه بقي يذكر الخلفاء العباسيين في خطب الجمعة وأما المناطق التي لم تكن تحت إمرته كان يحكمها الأمراء العباسيون الذين كانوا لا يتبعون الخلافة العباسية إلا اسميًا فلو كان الخلفاء يعتبرونها محتلًا عليها لهم بينما لم تكن هي تحت سيطرتهم.

في عهد المنتصر بالله: لما قتل المتوكل استخلف ولد المنتصر بالله في 247هـ

وبقي حتى 248هـ لمدة ستة أشهر فقط.

في عهد المستعين بالله: حكم الخليفة المستعين بالله منذ 248هـ حتى 251هـ ثم نقل حكمه إلى أخيه المعتز بالله وتوفي في 252هـ. فمدة خلافته ثلاث سنوات وثمانية أو تسعة أشهر.

في عهد المعتز بالله: استخلف المعتز بالله في 251هـ وقام بتجديد البعثة 252هـ وخلع ثم قتل في 255هـ ومدة خلافته 4 سنوات وستة أشهر.

في عهد المهتدي بالله: استخلف المهتدي بالله في 255هـ وقتل في رجب 256هـ فخلافته دامت لأحد عشر شهراً.

خلال فترة حكم هؤلاء الخلفاء الأربعة الممتد لبضع سنوات لا نجد أميرًا على السند سوى عمر بن عبد العزيز وأولاده ولعل بقية الهند قد سيطر عليها ملوك الطوائف المختلفة.

في عهد المعتمد: استخلف أحمد المعتمد على الله في 256هـ وتوفي في رجب 279هـ فخلافته دامت لاثنتين وثلاثين سنة.

لما استخلف المعتمد على الله في 256هـ ولّى يعقوب بن الليث الصفار على بلخ وطخارستان وما يجاروها من كرمان وسجستان والسند أي شمال غربي السند التي لم يحكمها الهباريون، جعلت تحت إمارة يعقوب بن الليث الصفار ثم لقّب المعتمد ولده جعفر بالمفوَّض إلى الله وجعله ولي عهد وولّاه على إفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وخراسان كما لقّب أخاه أبا أحمد بالموفَّق بالله وولّاه على بغداد وسواد العراق والكوفة واليمن والأهواز وفارس وأصفهان ودينور والري والسند، وفي 265هـ ولّى أبا أحمد الموفق عمرو بن الليث الصفار على خراسان وفارس وأصفهان وسجستان وكرمان والسند وأعطاه الخلعة والجوائز.

في عهد المعتضد بالله: تبتدئ خلافة المعتضد بالله من رجب 279هـ وتنتهي

في ربيع الآخر 285هـ لخلافته دامت لتسع سنوات وتسعة أشهر ويومين. وخلال هذه الفترة الخلافية حكم على السند الهباريون والصفاريون وكذا استقل رئيس من بني سامة عمان محمد بن القاسم بن المنبه السامي في ملتان في بداية فترة خلافة المعتضد بالله (بين 275هـ و286هـ) واتبعوا الهباريين في قراءة الخطبة باسم الخليفة العباسي وعلاقتهم بمركز الخلافة.

أمراء السند من مختلف القبائل: يظهر انتماء أمراء السند المرسلين من قبل الخلافة العباسية بألقابهم وانتسابهم إلى القبائل المختلفة، فقد ولّى الخلفاء العباسيون أفراد مختلف القبائل على مكران والسند كما فعلوا ببلاد أخرى ورفعوا كل فرد من القبيلة وجدوه صالحاً وموهلًا إلى منصب الولاية حتى لم يحرم الموالي والعبيد هذه المناصب. هذا ما كان يقتضيه نظم الدولة العباسية كما ودّوا أن لا تغتنم قبيلة فرصة العصبية القبلية فتغلب على غيرها للأبد، وكان كل أمير يعتبر نائبًا للخليفة وكان يعمل تحت إرشاده فمن بين 42 أميرًا المستقل والضمني ستة منهم كانوا هاشميين وعباسيين وثلاثة منهم كانوا موالي وعبيدًا والباقية كانوا من مختلف القبائل.

الأمراء الهاشميون والعباسيون: ولو أنّ الخلافة كانت عباسية إلا أنّ نظمها لم تكن عائلية فقد تعيّن ستة منهم أمراء على السند:

1. عيسى بن الخليفة أبي جعفر المنصور: كان عيسى حاكمًا على البصرة وفارس والأهواز واليمامة والسند.
2. الزبير بن العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب.
3. إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: كان حاكمًا على السند ومصر.
4. عبد الرحمن بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.
5. أيوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.
6. محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

الأمراء الموالي: لقد ولّي على الهند ثلاثة موالٍ وعبيد للخلافة العباسية وهم كما يلي:

1. طيفور بن عبد الله الحميري كان مولًى للخليفة المهدي.
2. الليث بن طريف كان مولًى للمهدي وكان واليًا على حلوان وماه علاوة على السند.
3. سالم بن أبي سالم اليونسي كان مولًى لإسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس.

الأمراء المهلبيّون: لقد تقدّمت آل المهلب في العصر العباسي فساهموا كثيرًا في الإمارات والفتوحات فيعتبر بعض هؤلاء المهالبة من رجال الدولة العباسية فتعيّن الأمراء على الهند من أسرتهم كما ولّوا على غيرها من البلاد وكانوا في كثرة في الهند ومن الأمراء المهلبيين على الهند من يلي:

1. عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة المعروف بهزار مرد.
2. جميل بن صخر.
3. روح بن حاتم بن قبيصة.
4. يزيد بن حاتم بن قبيصة.
5. داود بن يزيد بن حاتم.
6. المغيرة بن يزيد بن حاتم.
7. بشر بن داود بن يزيد بن حاتم.
8. محمد بن عباد المهلبي.
9. إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم.
10. سليمان بن قبيصة بن يزيد بن المهلب.

كان المهالبة مشهورين في الحكم والإمارة فقال ابن عساكر عن روح بن حاتم:

"كان من وجوه دولة المنصور والأمراء عنده".[1]

كان روح أميرًا على الكوفة والسند وإفريقية كما كان عمر بن حفص ويزيد بن حاتم أميرين على السند وإفريقية، وداود وولده المغيرة كانا أميرين على السند وإفريقية وأما محمد بن عباد المهلبي فقد جاء فيه: "كان سيد أهل البصرة في زمانه".[2]

وقد حكم إبراهيم بن عبد الله بن يزيد على السند ومكران وكرمان لحوالي عشرين سنة.

الأمراء البرامكة: إنّ ما ناله البرامكة من المكانة العالية في العهد العباسي ثم نكبتهم لمعروف، وقد حكموا الهند خلال الحكم المأموني وأدّوا خدمات جليلة فأول مَنْ نقل علوم الهند وفنونها إلى العربية هو يحيى بن خالد البرمكي ثم تبعه أفراد أسرته وقد حكم ولده موسى بن يحيى بن خالد البرمكي وحفيده عمران بن موسى البرمكي على السند بنجاح باهر فلما أحسّ المأمون بشجاعة وبسالة موسى بن يحيى ولّاه على السند ولم يكن له كفؤ في البرامكة كلها.

القبائل الأخرى: وبما أنّ اليمانية والنزارية قد ثاروا في غير موضع في العصر العباسي فكان الخلفاء يولّون أفراد كل قبيلة ولم يغفلوا عن هذا الأصل في خيار الأمراء على الهند والسند فولّوا عليها الأمراء العبديين والتميميين والمزنيين والخزاعيين والضبيين والطائيين والباهليين والتغلبيين والثعلبيين المسمعيين والهباريين.

بنو تميم: المفلس بن سري العبدي التميمي، وموسى بن كعب التميمي المروزي، وعيينة بن موسى بن كعب التميمي، ومعبد بن خليل التميمي المزني، ومحمد بن معبد بن خليل التميمي المزني.

---

[1] مختصر تاريخ ابن عساكر، 336/5

[2] تاريخ اليعقوبي، 557/2

بنو تغلب: هشام بن مسلم بن عمرو التغلبي، وبسطام بن عمرو التغلبي، وسفيح بن عمرو التغلبي.

بنو باهلة: سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي، وكثير بن مسلم بن قتيبة الباهلي.

بنو ضبة: عبد الله بن علاء الضبي، وعنبسة بن إسحاق الضبي.

بنو طي: جابر بن الأشعث الطائي

بنو ثعلبة: محمد بن عدي الثعلبي.

بنو خزاعة: نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، والليث بن طريف الخزاعي، ومحمد بن الليث بن طريف الخزاعي.

بنو مسمع: عبد الملك بن شهاب المسمعي

بنو هبّار: عمر بن عبد العزيز بن المنذر الهباري

وكانت تسكن مع هؤلاء الأمراء والحكام جيوش وجماعات من قبائل أخرى وكانت تعين القواد في الغزوات منها، وفي بعض الأحيان كان الأمراء يجعلونهم نوابًا لهم أو رؤساء لقسم من أقسام الإدارة.

الأمراء الصفاريون: من الأمراء والحكّام العباسيين في الهند أمراء خراسان الصفاريون الذين حكموا في نهاية عهد العباسيين على المناطق التي كانت مجاورة لسجستان وخراسان وهما يعقوب بن الليث الصفار وأخوه عمرو بن الليث الصفاري.

المتغلبة من الأمراء: وعلاوة على أولئك سيطر العديد من الأمراء على السند ومكران وبنجاب وكانت حكومتهم قائمة لمدة وجيزة حتى استقلوا بالحكم فيها فبرزت الدولة الماهانية في سندان، والدولة الهبارية في المنصورة، والدولة السامية في ملتان، والدولة المعدانية في مكران، والدولة المتغلبة في طوران. ولم تبق حكومة العباسيين في الهند بعد ذلك.

منصور بن جمهور الكلبي ومنظور بن جمهور الكلبي: ومن متغلبة العصر العباسي منصور بن جمهور الكلبي ومنظور بن جمهور الكلبي فقد سيطر هذان الأخوان على السند ومكران في 130هـ نهاية الحكم الأموي فأقاموا حكمهما عليهما، وقد ساهمه أمير اسمه رفاعة بن ثابت الفلسطيني فقضى عليه موسى بن كعب التميمي في 28/ رمضان 136هـ، وهكذا فقد حكم عليهما هذان الأخوان في أربع سنوات الحكم العباسي الأولى.

المتغلبة في قندابيل: سيطرت جماعة من العرب على قندابيل في عصر أبي جعفر المنصور فكأن تلك المنطقة كانت تحت حكومتهم ففي غضون 151هـ حرّر هشام بن عمرو التغلبي قندابيل من أيديهم فيقول البلاذري: "وكان بقندابيل متغلبة من العرب فأجلاهم عنها".[1]

يبدو من هذا أنّ العديد من قبائل العرب أقامت حكوماتهم المستقلة.

العرب المتغلبة في ملتان: في عهد هارون الرشيد سيطرت جماعة ضخمة من العرب على ملتان وجمعوا لها جمعهم القوي فذهب الأمير العباسي محمد بن عدي التغلبي إلى ملتان لعقابهم فهزموه وأجبروه على الفرار. يقول اليعقوبي:

"وخرج من المنصورة يريد الملتان، فلقيه أهلها فقاتلوه فهزموه ونهبوا ما معه من السلاح وفرّ منهزمًا لا يلوي على شيء حتى صار إلى المنصورة".[2]

يظهر من قول اليعقوبي أنّ هؤلاء العرب سيطروا على ملتان منطقة مركزية لبنجاب وجمعوا قوتهم الكبرى ولعلهم كانوا نزارية من الحجاز.

العرب المتغلبة من المنصورة: في نفس الفترة ثارت النزارية هنا وقسموا السند كلها في أربعة أجزاء واقترحوا على أن يحكم كلًا منها إما قريش أو قيس أو ربيعة وقد سيطروا على المنصورة تمامًا حتى أنهم لم يأذنوا للأمير العباسي

---

[1] فتوح البلدان، ص 431
[2] تاريخ اليعقوبي، 454/2

المغيرة بن داود المهلبي أن يدخلها فقتلوه بعد معركة حاسمة، يذكر اليعقوبي: "ولما قدم المغيرة أغلق أهل المنصورة الأبواب ومنعوه الدخول ألخ"[1]

ثم أنهى داود بن يزيد المهلبي غلبتهم بعد قتالهم عام 184هـ.

محمد بن خليل حاكم قندابيل: ولقد سيطرت جماعة من العرب على قندابيل مرة أخرى في خلافة المعتصم تحت قيادة رئيسهم محمد بن خليل والتي قضى عليها عمران بن موسى البرمكي في 221هـ، يقول البلاذري:

"ثم أتى المنصورة وصار منها إلى قندابيل، وهي مدينة على جبل، وفيها متغلب يقال له محمد بن الخليل فقاتله وفتحها وحمل رؤساءها إلى قصدار".[2]

يمكن تقدير قوة محمد بن الخليل من هذا القول وأنّ جماعة من رؤساء العرب كانوا معه.

أبو الصمة مولى كندة: رافق داود بن يزيد المهلبي مولى لكندة يقال له أبو الصمة في عصر هارون الرشيد، والذي كان شجاعًا وذا عزيمة فسيطر على منطقة في غضون 255هـ وأقام حكومته فيها، يقول البلاذري: "وكان معه أبو الصمة المتغلب اليوم، وهو مولًى لكندة".[3]

ثم أغار أبو الصمة على الدولة الهبارية ولكن لم يغلب عليها.

عثمان وغيره من المتغلبة: في عصر الواثق بالله سيطر على الهند العديد من رؤساء وشيوخ العرب وكان فيهم عثمان ولم يذكر التاريخ أسماء الآخرين وعندما جاء عنبسة بن إسحاق الضبي حضروه طائعين سوى عثمان، يقول اليعقوبي: "فقدم البلد، وقد تغلب عليه عدة ملوك فلما قدم عنبسة سمعوا وأطاعوا وخرجوا إليه جميعًا خلا عثمان فسار إليه عنبسة".[4]

---

[1] المصدر نفسه، 494/2

[2] فتوح البلدان، ص 432

[3] المصدر نفسه، ص 5

[4] تاريخ اليعقوبي، 312/3

كانت هذه الملوك العرب متغلبين على العديد من مناطقها فكانوا أمراء متغلبين عليها في العصر العباسي وكانوا يحكمون في مناطقهم التي تغلبوا عليها.

أمراء سندان: ومن بين متغلبة الهند العرب ثلاثة أمراء من الدولة الماهانية في سندان، والذين سيطروا على غوجرات البعيدة عن الحكم الإسلامي وأقاموا حكومتهم فيها وعقدوا الروابط مع المأمون والمعتصم وقرأوا أسماءهم في خطب الجمعة، وهؤلاء الأمراء ثلاثة: الفضل بن ماهان مولى بني سامة، ومحمد بن الفضل بن ماهان، وماهان بن الفضل بن ماهان.

من الأمراء العباسيين من مات بها أو قتل: قد مات العديد من أمرائها موتهم الطبيعي كما قتل البعض منهم ودفنوا بها فمن المتوفين معبد بن خليل التميمي، ونصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، وداود بن يزيد المهلبي (كما يروي ابن كثير وابن الأثير)، وموسى بن يحيى البرمكي، وهارون بن أبي خالد المروزي. وممن قتل من الأمراء مفلس بن سير العبدي، وعنبسة بن موسى بن كعب التميمي، والمغيرة بن يزيد المهلبي، وعمران بن موسى البرمكي. وأما أيوب بن جعفر بن سليمان الهاشمي فقد ولّي على السند ولكنه مات قبل أن يأتيها.

مشاهير الحكومة والسياسة: كان أمراء وحكام الهند هؤلاء فاتحين بارزين في عصرهم وحكامًا ناجحين ورجالًا مجرّبين للسياسة. كانوا يحكمون في مختلف البلاد والمناطق وكانوا يعتبرون نخبة من الخلافة العباسية فكان مفلس بن سري العبدي مسؤولًا عن شؤون الإدارة في طخارستان قبل توليته على السند كما كان موسى بن كعب التميمي داعيًا للخلافة العباسية وكبير مسؤولي حرس الخليفة أبي العباس ولقد كان حاكمًا على مصر في 132هـ قبل توليته على السند، وكذا كان عمر بن حفص هزارمرد يسمّى بهذا الاسم لشجاعته وبسالته وكان من حواشي أبي جعفر المنصور وكان أميرًا على البصرة والكوفة قبل إمارته للسند ثم ولّي على إفريقية حيث قتل على أيدي الخوارج في 153هـ. وقد ذهب أخوه من الأم

جميل بن صخر إلى إفريقية بعد إمارته على السند وتولّى الأمور بعد قتله وقاتل الخوارج، وكان معبد بن الخليل أميرًا على خراسان قبل إمارته على السند، وكذا كان عيسى بن أبي جعفر المنصور حاكمًا ناجحًا في البصرة وفارس والأهواز واليمامة والسند وقد مرّت على روح بن حاتم عهود خمسة خلفاء عباسيين: أبي العباس وأبي جعفر المنصور والمهدي والهادي وهارون الرشيد وكان أميرًا على الكوفة والبصرة والسند وإفريقية في عهد كلّ منهم، وكان أخوه يزيد بن حاتم أميرًا على السند وإفريقية، وكان سعيد بن مسلم الباهلي أميرًا على خراسان ومرو قبل توليته على السند. وكان أخوه كثير بن مسلم الباهلي واليًا على السند وسجستان، وقد حكم إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي على السند ومصر، وقد ولّي داود بن يزيد بن حاتم على إفريقية بعد توليته على السند وكان غسان بن عباد أميرًا على جزيرة قنسرين والعواصم وخراسان والسند. هؤلاء هم الرجال الذين كانوا يضرب بهم المثل في بصيرتهم والخدمة الحكمية والسياسة المدبرة وكانت تذكر قصص خدماتهم ومآثرهم الجليلة.

تقدير العلماء والأدباء: كان أمراء السند مكرّمين ومقدّرين للعلماء والأدباء كأربابهم الخلفاء العباسيين فكانوا يدعون العلماء والشعراء والأدباء والأطباء والأشراف وكانوا يكرّمونهم بالجوائز كما كانوا يرسلون الهدايا والتحف إليهم وكانوا يدعّمونهم ماديًا برحابة صدورهم، والمعلوم أنّ السخاء طبيعة العرب وكان العديد من هؤلاء الأمراء علماء وأدباء وشعراء فأشرفوا واعتنوا بعلوم الهند وفنونها.

كان سعيد بن مسلم الباهلي من أعظم العلماء والمحدّثين إلا أنه زان الحكومة والسياسة بدلًا من دنيا العلم والفن، يقول العلّامة السمعاني عنه:

"وكان عالمًا بالحديث والعربية إلا أنه كان لا يبذل نفسه للناس ليقرؤوا عليه. روى عن محمد بن زياد بن الأعرابي وعلي بن خشرم".[1]

[1] كتاب الأنساب، 728/1، و771

ونقل ابن قتيبة أحد أقواله كما يلي: "إذا لم تكن المحدِّث والمحدَّث فانهض ----".[1]

يمكن بهذا القول تقدير عمارة جلسات سعيد بن مسلم بالعلماء والصالحين وكان جوّ بلاطه علمياً. كان سليمان بن قبيصة المهلبي مكرّمًا للعلماء والأدباء فدعا إمام النحو والعروض الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ أو 175هـ) إلى مجيء السند فلما لم يستجب له أرسل من هنا هدايا وتحفًا إليه ولكن الخليل رفضها وقرض بعض الأبيات في الرد عليه، التي هجا فيها سليمان بن قبيصة وأبدى عن بعده عن المال والجاه، والحال أنهما كانا من الأزد وكانا متحدين في النسب.[2]

كان هشام بن عمرو التغلبي مكرّمًا للشعراء والأدباء وكان ينعم عليهم ولقد طار صيت سخائه فحضر بلاطه من بغداد شاعر مشهور مطيع بن إياس الكناني وحصل على الجوائز فلما أراد الرجوع جعل هشام يبكي على فراقه فقال أبياتًا ملؤها حزن وهمّ، وعبّر عن وروده إلى الهند مرة أخرى.[3] وقال ابن خلكان في روح بن حاتم: "كان من الكرماء والأجواد".

وكان الشعراء مرتبطين ببلاط يزيد بن حاتم المهلبي وكانوا يقرضون الأبيات في مدحه على جوده وسخائه فذات مرة ذكر ربيعة بن ثابت الرقي في أبياته ولكنه هجا يزيد بن أسيد السلمي معًا فردّ عليه أبو العزاف السلمي السندي ودافع عن قبيلته بني سليم.[4]

كان عمر بن حفص هزار مرد المهلبي معتقدًا شديدًا لمحمد بن عبد الله بن الحسن العلوي الهاشمي وأخيه إبراهيم فلما وردا السند خوفًا من أبي جعفر المنصور فأكرمهما عمر بن حفص ولما جاء عبد الله الأشتر بن محمد بن عبد الله بن الحسن

---

[1] عيون الأخبار، 307/1

[2] طبقات الشعراء، ص 99

[3] الأغاني، 275/13

[4] معجم الشعراء للمرزباني، ص 30

الهاشمي إلى السند بايعه عمر بن حفص وبلّغهما إلى مكان منيع. كان هذان الرجلان الكريمان من آل بيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كانا عالمين كبيرين.

ولما وصل أمير برمكي سندي من السند إلى العراق وبلغه أنّ إمام الأدب الجاحظ (ت275هـ) أصيب بالفالج فلقيه واستمع إلى بعض أبياته لميله الأدبي والشعري ووهبه مئة أهليلج من الذهب وزن كل منها ثلاثة مثاقيل لكي يعالج ذاته.[1] وكان غسان بن عباد مثمّنًا للعلم والأدب والفن فكان أشهر أطباء بغداد إبراهيم بن فزارون طبيب بلاطه، والذي جاء السند مع غسان فتناول لحم الطاؤوس وسمكًا عجيبًا وكان يذكرهما بطريقة ممتعة.[2]

أرسل عمران موسى البرمكي الهدايا والتحف الثمينة من الهند إلى الخليفة الواثق بالله حينما كان أميرًا عليها كما أرسل الهدايا إلى حواشي الخلافة وأعيانها وأشرافها وقوّادها وأمرائها أمثال إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن عبد الملك والقاضي أحمد بن أبي داود.[3] كان القاضي أحمد بن أبي داود عالمًا كبيرًا وهو الذي أثار قضية خلق القرآن. وقد غلب البرامكة على شؤون الدولة العباسية وخدموا العلم والفن كثيرًا وكان منهم يحيى بن خالد البرمكي الذي كان يرغب في علوم الهند وفنونها شديدًا ولعل السبب الرئيسي وراء هذه الرغبة ولاية ولده موسى بن يحيى وحفيده عمران بن موسى وخدماتهما الجليلة وهكذا فقد كلفت البرامكة بهذه البلاد.

ذكر ابن النديم أنّ يحيى بن خالد وجماعة من البرامكة اعتنوا بعلوم الهند وفنونها ودعوا علماءها وأطباءها إلى بغداد كما أرسل يحيى بن خالد البرمكي رجلًا خاصًا إلى الهند وأمره بأن يأتي بعقاقيرها وأدويتها إلى بغداد وأمره بتأليف كتاب على أديان الهند.[4] وقد أعانه في هذه الأعمال العلمية والبحثية

[1] وفيات الأعيان، 424/1

[2] طبقات الأطباء، 70/1 وتاريخ الحكماء، ص 75

[3] كتاب الذخائر والتحف، ص 186

[4] الفهرست، ص 484، و341

ابن يحي بن خالد وحفيده.

وكذا ساهم أمراؤها في توجيه الدعوة إلى أطباء وحكماء ومترجمي الهند في بيت الحكمة لورودهم إلى بغداد.

حياة الأمراء الشخصية والعائلية: كان أمراء الهند العباسيون يقضون حياة ملؤها ترف ورغد فكان معاشهم جامعًا بين جلال العرب وجمال العجم، عادة كانوا يعيشون مع أهلهم وأولادهم. ويمكن تقدير ثروتهم الشخصية من أنّ عيينة بن موسى منح عبدًا لزواج أمته مالًا كثيرًا حتى أخذ أبو جعفر المنصور من ذلك العبد عشرة آلاف درهم قائلًا إنّ عيينة بن موسى حصل على هذا المال من بيت المال خلال فترة إمارته.[1] ولقد عاهد الخليفة المأمون بشر بن داود على مليون درهم سنويًا من دخل السند فكان بشر مالكًا لما بقي من المال وكذا كان يدفع عمران بن موسى المركز مليون درهم وكان يقني ما بقي من الأموال[2] وعلى هذا فقد اجتمع لديه أموال هائلة فأمر الواثق بالله بعد وفاته بإجراء التفتيش عن أمواله في بغداد والبصرة وسيراف فوجدوا بها خمسمئة ألف درهم بجانب الكثير من العقارات والأسباب، وزدْ عليها ما أرسله عمران بن موسى من الهدايا والتحف الثمينة إلى الخليفة وحواشيه وقوّاده وأركانه[3] وكان لدى أمير برمكي بالسند ثلاثون ألف دينار ولما أراد الرجوع سكّها في عشرة آلاف أهليلج من الذهب وزنُ كلّ منها ثلاثة مثاقيل والتي أعطى منها مئة أهليلج للجاحظ.[4] وبهذه الأمثلة يمكن تقدير ما امتلكه واقتناه الأمراء السنديون من الأموال الهائلة وما كانوا يقضونه من عيش رغد.

وعادة كانت عوائل هؤلاء الأمراء وأولادهم تعيش معهم فكانت عائلة

[1] تاريخ الطبري، 78/8

[2] المسالك والممالك، ص 57

[3] كتاب الذخائر والتحف، ص 182

[4] وفيات الأعيان، ص 124

منصور بن جمهور كلها تسكن معه فلما بلغ خبر هزيمته إلى نائبه في السند ذهب مع أولاده وأسبابه إلى بلاد الخزر (قزوين)[1] وكان أهل عمر بن حفص وأولاده يعيشون معه، ولما بلغ عبد الله الأشتر المنصورة بايعه كما أمر أهله وأولاده بمبايعته[2] وكذا كانت زوجة هشام بن عمرو التغلبي وأولاده يسكنون معه، فلما أراد مطيع بن إياس الكناني أنْ يودّعهم إلى بغداد جعلت ابنته تبكي على فراقه فقال أبياتًا بهذه المناسبة.[3] ولما جيء ببشر بن داود أسيرًا من السند إلى بغداد كان يرافقه أفراد قبيلته آل المهلب فعفا المأمون عن الكل. هذا ولم تكن بعض العوائل تعيش مع الأمراء أو كانوا يعيشون في كل من الهند والبلاد العربية ولذا فلما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن والد عبد الله الأشتر بالمدينة المنورة كانت زوجة عمر بن حفص هزارمرد ببغداد فأرسل قاصدها بسفينة صغيرة مخبرة زوجها بما حدث، وكانت أخت عمران بن موسى تسكن ببغداد تحت رعاية أهله وأولاده وقد قبض الواثق بالله على ولده محمد وأخته حين مصادرة إرث عمران.[4]

يبدو من هذا أنّ الأمراء الذين أقاموا بالسند لمدة طويلة كان يعيش أهلهم وأولادهم معهم. وأما من قصرت مدة إمارته فعاشوا مع أعوانهم وأنصارهم.

القصور والبيوت: عادة كان الأمراء يسكنون في قصور الحكومة ومبانيها فقد كانت دور وبيوت الأمراء في قندابيل وملتان والديبل ومكران والمدن الرئيسة غير المنصورة. كانت هذه الدور توفّر كافة التسهيلات للأمراء وزوجاتهم وأولادهم وندمائهم ووفودهم وحرسهم، وكانت بها كافة أقسام الحكومة وكان يسكنها موظّفوه، وكانت هذه المباني واسعة ومرفهة أمامها

---

[1] الكامل لابن الأثير، 184/5
[2] المصدر نفسه، 231/8
[3] الأغاني، 291/13
[4] كتاب الذخائر والتحف، ص 185

أفنية واسعة وعريضة وكان الأمراء ينامون في الطابق العلوي وكانوا يتبادلون الأفكار العلمية والأدبية والسياسية مع الندماء في جنح من الليل كما كان السّمار يقص القصص ويتضح ذلك من رواية محمد بن حبيب البغدادي وهي أنه بلغ رفاعة بن ثابت بن نعيم أنّ مفلس بن سري العبدي يرد السند أميرًا عليها ذهب إلى دار إمارة منظور بن جمهور الكلبي حسب العادة واشترك مع منظور وخادمه ورفاعة يأكلون ويشربون فلما نام منظور وخادمه رجع رفاعة إلى بيته وأخذ السيف وبلغ دار الإمارة مع عبده ونقب في جدار السوار الذي يدنو من السلم وهكذا بلغ السقف فوجداهما نائمين فقتل رفاعة منظورًا ثم حاول قتل خادمه إذ استيقظ الخادم وظنّ أنّ منظورًا يقتله فقال: تسمع مني في أول الليل وتقتلني في آخره فامتنع رفاعة عن قتله وقال أومّنك لو سمعت كلامي فقال: ناد بصوت منظور حارسه فنادى فأسرع الحارس فقتله رفاعة ثم قتل مَنْ بقي من أشراف وأعيان الإمارة وهم كانوا ثمانية.[1]

الأطعمة والمأدبة: لم تكن حياة الخلافة الراشد الزهدية ولا حياة الخلافة الأموية العربية في العصر العباسي بل كان سلوك الخلفاء العباسيين أشبه بسلوك الملوك وكانوا يتمتعون من رغد العيش وتنعم البال بدلًا من الخشونة والسهولة فكان مستوى طعامهم وشرابهم عاليًا للغاية وكانت مأدبتهم مليئة بأنواع من الأغذية اللذيذة الممتعة وكذا أكل الطعام وحيدًا مضادًّا لطبيعة العرب فكانت مائدتهم واسعة وشاملة.

وما بلغنا عن مشروبات ومأكولات الأمراء من أخبار وقصص تسلّط الضوء على ما كتبنا ولا ننس هنا أنّ الطبّاخين السنديين كانوا مشهورين في طبخ الأطعمة اللذيذة فقد كتب الجاحظ عن براعة العبيد السنديين: "أنه لا

[1] أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، 158/4

يوجد في العبيد أطبخ من السندي، وهو أطبع على طيب الطبخ كله".[1]

وكان هؤلاء الطبّاخون السنديون يطبخون الطعام لدى الأمراء والحكّام مما كان لذيذًا لهم.

وبجانب الطبّاخين السنديين نجد متعة التوابل الهندية التي تزيد الطعام لذة وكانت هذه التوابل تجذب العرب منذ القدم فالزنجبيل والقرنفل والزنجبيل الأخضر والفلفل كانت تلذّ للطعام وتلطّفه وتمنحه الطعم واللذة وفوق ذلك توافق وذوق وطبيعة العرب والجو العربي.

يقول إبراهيم بن فزارون الطبيب الخاص لغسان بن عباد إنه لم يجد لحمًا ألذّ من لحم الطاؤوس حين إقامته بالسند وهو الذي ذكر أنّ غسان بن عباد بنى حوضًا في فناء داره ثم ربّى سمكًا غريبًا يحيى بعدما يترك عظمه فيه، وقد فصّلنا عن هذا السمك في موضع سابق.

وهو الذي ذكر أنّ غسان بن عباد لم يسعه أن يأكل ولو قطعة لحم بعد مجيئه إلى السند منذ النوروز إلى المهرجان لمدة ثلاثة أشهر ونصف فكانوا يتركون اللحم بعد طبخه وبعد قليل كان اللحم يفسد ويضطرون إلى رميه. ووجدوا أنّ لحم الطاؤوس ألذّ من لحم أيّ طير آخر.[2]

المشورة لدى اختيار الأمراء: كان الخلفاء العباسيون يختارون أمراءهم بأنفسهم وكان هؤلاء الأمراء بدرجة نوّابهم فكان الخلفاء يستشيرون أعيان الدولة ورجال السياسة وكانوا يختارون أجود أفراد كل قبيلة وأروعهم.

كان منصور بن جمهور مسيطراً على السند ومكران حين خلافة أبي العباس السفاح وقد انهزم أمير في مواجهته فولّى أبو العباس أقرب رجاله موسى بن كعب التميمي الذي كان كبير حرسه وأكبر دعاة الخلافة العباسية وكان

---

[1] رسائل الجاحظ (نخر السودان على البيضان)، 241/2

[2] تاريخ الحكماء، ص 75، وطبقات الأطباء، ص 170/1

أحد اثني عشر نقيبًا له.[1]

كان أمير السند عمر بن حفص يؤيد العلويين زمن خلافة أبي جعفر المنصور وكان يحاول إثبات سيطرتهم ففكّر المنصور مليًا وأرسل مكانه هشام بن عمرو التغلبي. وحينما كان يفكّر في تغيير في إمارة السند قدّم هشام بن عمرو أخته لينكحها المنصور ولكن المنصور رفض قائلًا: إن كنت في حاجة إلى النكاح طلبت منك، وقد ولّيتك على السند فأعدّ نفسك للذهاب إليها.[2]

وفي زمن خلافة المهدي ولّي نصر بن محمد بن الليث الخزاعي على السند مرة أخرى، وكان من دعاة الخلافة العباسية كذلك وكانت أسرته كلها من مؤيدي الخلافة العباسية والموفين بها. فقال ابن حزم إنّ والد نصر محمد بن الأشعث وأولاده قاموا بدور جليل فعّال للدعوة العباسية.[3]

ولقد ولّي على السند ثلاثة موالي الخلفاء العباسيين وهم كانوا ممن يوثق بهم وهم: طيفور بن عبد الله الحميري، والليث بن طريف مولى الخليفة المهدي ويعرف بمولى أمير المؤمنين، ومولى إسماعيل بن علي الهاشمي.

ونظرًا لشجاعة وبسالة موسى بن عيسى البرمكي ولّاه المأمون على السند ويقول القاضي يحيى بن أكثم: "سمعت المأمون يقول: لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحدٌ في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة، ولقد صدق القائل حيث يقول:

أولاد يحيى أربع كأربع الطبائع   فهم إذا اختبرتهم طبائع الصنائع

قال القاضي: فقلت له يا أمير المؤمنين، أما الكفاية والبلاغة والسماحة فنعرفها فيهم، ففي مَنْ الشجاعة فقال: في موسى بن يحيى، وقد رأيت أن

[1] العبر، 1/181-182 وجمهرة أنساب العرب، ص 314

[2] تاريخ الكامل، 1230/5

[3] جمهرة أنساب العرب، ص 241

أولّيه ثغر السند".[1]

والطريف بالنسبة لتعيين أمراء السند أنّ المأمون لما بلغه خروج بشر بن داود استشار رجال السياسة وأركان الدولة وسأل ندماءه عن غسان بن عباد لأنه أراد أن يستخدمه لأمر جليل فأثنى عليه الكل ولكن أحمد بن يوسف قال: يا أمير المؤمنين! محاسنه أكثر من مساوئه فهو سينصف حيث أرسل ولا يفعل ما يتسبب في الندامة والاعتذار فقال المأمون: إنك مدحته إذ تحسن الظن فيه ثم ولّاه المأمون على السند.

وبهذا الشأن دعا المأمون محمد بن عباد المهلبي وسأله وكان رئيس أهل البصرة وأميرهم فاستعاذ بالله بعدما سمع عن خروج بشر بن داود ثم جعل المأمون غسان بن عباد أمير الحرب بمرافقة بعض القوّاد كما جعل موسى بن يحيى أمير البلد وهكذا فقد كان الخلفاء العباسيون يفكّرون ويستشيرون في تعيين الأمراء الآخرين على السند.

شركاء الإمارة أو الأمراء الفرعيون والأعوان والأنصار: كان يرافق كل أمير أفراد قبيلته وأعوانه الذين كانوا يعتبرون أركان مجلس الشورى له وكانوا يشركون في الإمارة ويحكمون على منطقة من مناطقها أو قسم من أقسامها وكانت هذه الإمارة الفرعية عادة على خبرة الأمير العام وتجربته وفي بعض الأحيان كان الخليفة يرسل حكّامًا مدنيين وعسكريين على البلاد.

أرسل الخليفة أبو العباس موسى بن كعب لمواجهة منصور بن جمهور الكلبي بعشرين ألف جندي وكان يساعده ولده بشر بن موسى الذي جعله موسى بن كعب نائبًا له حين الذهاب إلى العراق وكان يرافق عمر بن حفص هزارمرد أخوه من الأم جميل بن صخر الذي جعله عمر بن حفص نائبًا حين الذهاب إلى العراق، وكان يرافق هشام بن عمرو التغلبي أخواه بسطام بن عمرو التغلبي

[1] وفيات الأعيان، 387/2

وسفيح بن عمرو التغلبي كما كان يرافقه أمير الجيش عمرو بن جمل فجعل هشام عمرو بن جمل أمير الجيش وأمر بالغارة على باربد كما أبقى بسطام بالمنصورة بمناسبة، ولما أراد الذهاب إلى بغداد جعله نائبًا له وأرسل سفيحًا على غارة عسكرية قتل فيها عبد الله الأشتر ثم استقل الأخوان بالإمارة عليها. وكان يرافق سعيد بن خليل التميمي ولده محمد بن سعيد الذي جعله سعيد نائبًا له حين وفاته بالمنصورة وكذا كان يرافق الليث مولى المهدي ولده محمد بن الليث فجعله الليث نائبًا له حين الذهاب إلى العراق وهكذا رافق سالمًا مولى هارون ولده إبراهيم بن سالم فجعله سالم نائبًا له بالسند حين وفاته. وكان يرافق طيفور بن عبد الله الحميري جابر بن الأشعث الطائي الذي أرسله طيفور للقضاء على ثورة النزارية واليمانية في غربي نهر السند، وكذا أرسل داود بن يزيد المهلبي أخاه المغيرة بن يزيد المهلبي إلى السند قبل أن يردها ولكن انهزم المغيرة مقابل أهل المنصورة فجاءها داود بن يزيد بنفسه وكان يرافقه ولده بشر بن داود ومولى كندة أبو الصمة ولقد أبدى كل منهما فيما بعد عن الغلبة والسيطرة. لما توفي داود بن يزيد بالسند جعل بشرًا نائبًا له فاستعان المهالبة وخرج على الخلافة، وفي هذا العصر كان ابن عمه إبراهيم بن عبد الله المهلبي أميرًا على مكران فغلب أبو الصمة على منطقة في غضون 255هـ. جعل عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد الهاشمي عبد الله بن علاء الضبي نائبًا له وقد أرسل أيوب بن جعفر سليمان بن سعيد إلى السند قبل أن يردها. وأرسل أميران ومعهما قوّاد ومسؤولون عن العسكر في عصر المأمون، وفي زمن المهدي أرسل جيش عظيم تحت قيادة عبد الملك بن شهاب المسمعي وكان يقود الجيش ولداه غسان وعبد الواحد ويزيد بن حباب المذحجي والمنذر بن محمد بن محمد بن جارود العبدي. وفي زمن إمارة روح بن حاتم المهلبي كان أخوه يزيد بن حاتم المهلبي أميرًا على منطقة كما كان سليمان بن قبيصة المهلبي أميرًا على السند في تلك الفترة.

الكتّاب: كان يرافق كلَّ أمير كاتبٌ له يكون مسؤولًا عن التوقيعات والرسائل الرسمية وإرسالها وبما أنها كانت رائجة عادة فلم تذكر إلا قليلًا فلا نجدها إلا ضمنًا فمثلًا قال الرشيد بن الزبير حين إرسال الهدايا إلى أمراء بغداد من قبل عمران بن موسى البرمكي: "وكان الموجّه إليهم بذلك مع كاتب له".[1]

كان هذا الكاتب يراسل بغداد مركز الخلافة كما كان مسؤولًا عن المراسلة إلى الأمراء الآخرين.

المراسلة بين الخلفاء والأمراء: كان الخلفاء العباسيون يراسلون أمراءهم ونوّابهم مباشرة ولم يكن بينهم أمراء العراق فكانوا يعلمون كل أمر ويصدرون أوامرهم وإرشاداتهم فكانوا مرتبطين بالهند ارتباطهم بالبلاد الإسلامية الأخرى، وأيضًا كان أمراؤها يراسلون إلى الخلفاء في كبير أمورهم أو صغيرها ففي زمن المنصور ثار الجيش ضد الأمير وكسر أقفال بيت المال ونهبوا ما كان فيه فأخبر به الأمير المنصور فقال: "لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا".[2]

في زمن عمر بن حفص التجأ عبد الله الأشتر إلى السند فأرسله إلى ملك هندوسي جمع لديه كثير من العلويين فلما بلغ الأمر المنصور شدّد في رسالته إلى عمر. "وكتب المنصور إلى عمر بن حفص يخبره ما بلغه فقرأ الكتّاب على أهله".[3]

فلما بلغت الرسالة عمر خاف فاتهم شخصًا بهذا وسجنه وأخبر به المنصور: "وكتب إلى المنصور يأمره فكتب إليه المنصور يأمره بحمله".[4]

ثم أصدر المنصور الأمر بعزل عمر بن حفص عن السند: "وكتب إلى عمر بن حفص يعزله عن السند".[5]

---

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 186

[2] العقد الفريد، 212/4

[3] تاريخ الكامل، 230/5

[4] المصدر نفسه

[5] البداية والنهاية، 108/10

ثم كتب إليه يأمره بالولاية على إفريقية: "وكتب إلى عمر بن حفص بولاية إفريقية".[1]

ثم ولّى عليها المنصور هشام بن عمرو التغلبي فأغار على الملك وقتل عبد الله الأشتر في سبيله إلى الملك وبهذه المناسبة تبادلا الرسائل: "فكتب هشام بذلك إلى المنصور فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك".[2]

ثم ولّى المنصور سعيد (معبد) بن الخليل على السند، الذي كان آنذاك أمير خراسان: "إنه كان بخراسان فكتب إليه المنصور فسار إلى الهند".[3]

كتب موسى الهادي إلى أمير السند الليث مولى أمير المؤمنين ودعاه إلى بغداد: "فكتب إليه موسى أن ينحدر فانحدر".[4]

أسقط عبد سندي لأمير كبير على السند، زمن خلافة الهادي، ولديه من السطح فماتا فلما بلغ الخبر الهادي كتب إلى أمير السند:

"فأمر الهادي بالكتاب إلى صاحب السند بقتل الغلام وتعذيبه بأفظع ما يمكن من العذاب وأمر بإخراج كل سندي في مملكته".[5]

لقد تحوّلت العصبية القبلية إلى النزاع والقتال في عهد هارون الرشيد فأرسل إلى أمير السند ما يلي من التوقيع: "وقّع إلى صاحب السند إذ ظهرت العصبية كل من دعا إلى الجاهلية فعجّل إلى المنية".[6]

جعل موسى بن يحيى البرمكي ولده عمران نائبًا له على السند حين وفاته بالسند فأرسل المعتصم رسالة لإمارته المستقلة: "فكتب إليه أمير المؤمنين المعتصم بالله بولاية الثغر".[7]

---

[1] تاريخ الكامل، 220/5

[2] المصدر نفسه، ص 221

[3] المصدر نفسه، ص 221

[4] تاريخ خليفة، 707/2

[5] مروج الذهب، 235/3

[6] العقد الفريد، 214/4

[7] فتوح البلدان، 432

وكان أمراء سندان يراسلون إلى الخلفاء زمن الخلافة العباسية وكانوا يرسلون الهدايا والتحف إليهم وكذا راسل الخلفاء إلى العديد من الملوك والحكّام الهندوس وعقدوا أواصر الود بينهم.

السفارة والوفادة: ولقد كان السفراء والوفود يختلفون من الجانبين حين الضرورة وكان أمراؤها يرسلون خواصهم إلى الخلفاء مختارين المحنّكين من العلماء والأدباء كما قال أبو عطاء السندي:

إذا أرسلت في أمر رسولًا   فأفهمه وأرسله أديبا

ولا تترك وصيته بشيء   وإن هو كان ذا عقل لبيبا

فإن ضيّعت ذاك فلا تلمه   على أن لم يكن حفظ العيوبا[1]

فلما عصا الخليفة عيينة بن موسى في السند قبض عليه عمر بن حفص وحمله إلى المنصور بأخصّ سفرائه ولكنه هرب في الطريق وقتل على أيدي اليمانية على قرب من رنج[2] وكذا أرسل عمر بن حفص وفدًا رسميًا مهمًا إلى المنصور من السند كان يرأسه عقبة بن مسلم بن نافع الأزدي الهنائي الرجل العاقل الخبير فلما شهد المنصور بفراسته وتجربته دعاه للغد وفوّض إليه خدمة جليلة وسرية أدّاها بأحسن طريق.[3]

قتل عبد الله الأشتر بالسند زمن هشام بن عمرو التغلبي فحمل هشام ولده محمد بن عبد الله وإماءه إلى المنصور بمن كان يثق بهم فأرسلهم المنصور إلى المدينة المنورة.[4]

وهكذا كانت السفارة والوفادة تختلف بين أمرائها وملوكها والخلفاء العباسيين.

السند تحت حكم أمراء العراق: كانت السند تحت حكم أمراء العراق في الخلافة

[1] كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، ص 49

[2] تاريخ اليعقوبي، 449/2

[3] تاريخ الطبري، 530/7

[4] تاريخ الكامل، 431/5

الأموية وهم الذين كانوا ينصبون أو يعزلون أمراءها ولكنه لما جاءت الخلافة العباسية زالت الحالة بل كان الخلفاء ذواتهم يحكمون عنها إلا في بعض الأحايين حينما كان الفساد يعمّها فتأتي هي تحت إمارة العراق ففي خلافة المهدي وهارون والمعتصم والواثق جعل محمد بن سليمان وعيسى بن جعفر وأفشين وأيتاخ التركي كبير حكّام السند لفترة قليلة فكان أمراؤها يعملون تحت إشرافهم.

في 159هـ ولّى المهدي روح بن حاتم المهلبي على السند ولكنه عزله بعد قليل وعيّن مكانه نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي وفي تلك الفترة كان الزط والعرب قد أثاروا الفتنة ففوّض المهدي السند إلى أمير البصرة محمد بن سليمان بن علي الهاشمي فجعل عبد الملك بن شهاب المسمعي أميرًا عليها ولكنه أقام بها أقلّ من عشرين يومًا وجعل نصر بن محمد بن الأشعث أميرًا عليها مرة أخرى.[1]

وفي عصر هارون الرشيد انتشرت العصبية القبلية فيما بين عربها، وجعلوا يتقاتلون فأرسل هارون العديد من الأمراء ولكنهم لم يقدروا على إعادة الوضع إلى نصابه، فجعلت السند تحت إمرة عيسى بن جعفر بن المنصور الذي محمد بن عدي الثعلبي أميرًا عليها فواجه متغلبة ملتان.[2]

في 223هـ أعطى المعتصم أفشين قاتل بابك الخرمي جوائز على عمله الجليل كما ولّاه على السند ولكنه لم يؤمّر أحدًا عليها.[3]

جعل الواثق بالله أيتاخ التركي حاكمًا على السند بجانب توليته أمر خراسان ومنطقة دجلة ولما قتل عمر بن عبد العزيز أمير السند عمران بن موسى فولّى أيتاخ عقبة بن إسحاق الضبي على السند.[4]

خروج بعض الأمراء: كان الأمراء والعرب يخرجون في غير منطقة في

[1] تاريخ خليفة، 697/2

[2] تاريخ اليعقوبي، 494/2

[3] البداية والنهاية، 285/10 و293

[4] تاريخ اليعقوبي، 212/3

العصر العباسي فجعل الأمراء والعمّال يقيمون حكومتهم المستقلة فقد قضى عيينة بن موسى التميمي على سيطرة منصور بن جمهور الكلبي على السند بمعونة من والده ولكنه لما أصبح أميرها سار نفس طريق منصور وخرج على الخلافة فقام عمر بن حفص بالقضاء عليه ولكن عمر ذاته حاول أن يمهّد الطريق إلى سيطرة العلويين في السند بإعانتهم لعبد الله الأشتر وغيره من دعاة العلويين فتم عزله، وقد ولّى المأمون بشر بن داود المهلبي على السند شريطة أن يدفع إلى الخلافة مليون درهم سنويًا ولكنه عصى فجاء غسان بن عباد وأقام عوجه. في 240هـ توفي هارون بن أبي خالد المروزي فراسله رئيسها عمر بن عبد العزيز الهباري المتوكل ونال الإمارة. ولما قتل المتوكل في 247هـ فاستقل بالحكم الذى قضى عليه السلطان محمود الغزنوي. وستجد تفاصيل هذه الأحداث كلها في غير هذا الموضع.

المنصورة دار الإمارة المركزية ودار الإمارة المحلية: عمّر عمرو بن محمد بن القاسم مدينة المنصورة بأمر من الحكم بن عوانة الكلبي في العصر الأموي ومنذ ذاك الوقت جُعِلَتْ هي دار الإمارة التي كان يقيم بها الأمراء والحكّام حتى في العصر العباسي بل قد جعلت هذه المدينة ثابتة منيعة جميلة من كل جانب في العصر العباسي، ولأجل النزاع بين منصور بن جمهور الكلبي والأمراء العباسيين أمثال مفلس بن سري وموسى بن كعب قد انتشر الخراب فيها. ولما قضي على سيطرة منصور بن جمهور في 136هـ قام موسى بن كعب بمرمة المنصورة ووسّع مسجدها الجامع.[1]

ثم بنى السوار حول المدينة ووضع أربعة أبواب وجعل المدينة كلها مثل قلعة منيعة. وقد غلبت النزارية على المنصورة في عصر هارون الرشيد وجعلوها ملجأ لهم. ولما أغار المغيرة بن يزيد المهلبي عليها في 184هـ أغلقوا الأبواب

[1] فتوح البلدان، ص 431

وراءهم ولم يدعوا المغيرة أن يدخل المدينة.[1]

وعلاوة على المنصورة كانت مراكز محلية للإمارة في ملتان وقندابيل والديبل ومكران، وكانت تدار فيها الأمور طبقًا للحاجيات المحلية، وكان يقيم بها الأمراء المركزيون بجانب الأمراء والحكّام المحليين، وكان بها مكاتب الحكومة ومبانيها والشرطة والجيش والسجون والمحاكم والمتطلبات الأخرى، وكان الأمراء ينزلون بها أو كانوا ينزلون بها لخطب أو حاجة شديدة. كان منصور بن جمهور يقيم بالمنصورة زمن حكمه، وأقام أخاه في قندابيل والديبل ولما جاء موسى بن كعب أقام بقندابيل لأيام وجاء عمر بن حفص لمواجهة عيينة بن موسى ولما لم يسمح له الدخول في المنصورة أقام بالديبل. وحينما ولّي هشام بن عمرو عليها بلغ المنصورة مباشرة من العراق وكذا أقام طيفور بن عبد الله الحميري بالمنصورة، وأرسل جابر بن الأشعث الطائي إلى مكران والساحل الغربي لنهر السند. وفي بعض الأحيان كان المتغلبة يسيطرون على هذه المراكز المحلية، وكانوا يعلنون عن استقلالهم بالحكم كما كان الأمراء العباسيون ربما يسيطرون على المنصورة خارجين على الحكومة.

حاجيات الحكومة وأقسامها: كانت التنسيقات اللازمة متوفرة في دار الإمارة المركزية وهذه المراكز المحلية، وكانت لها مبانٍ على حدة فمباني الأمراء ومباني الحرس ومحطات الشرطة ومباني الجنود ودور الضرب وبيت المال والسجون والمحاكم ودور البريد وغيرها من الأقسام المستقلة. وبما أنّ هذه كلها كانت مما تتطلبها الحكومة، وكانت توجد في كل دار للإمارة فلا نجد ذكرها على حدة.

الدخل السنوي للخلافة العباسية من بلاد الهند: كم كانت الخلافة العباسية تجني من الهند بعد التكاليف الأخرى اللازمة لا نجد تفاصيلها، ولكن بعض الأخبار تشير إلى أنها كانت عادية جدًا، وقد قصرت فيما بعد في معدود الهدايا والتحف.

---

[1] تاريخ اليعقوبي، 454/2

فكان الأمراء يرسلون من الهند إلى دار الخلافة في عهد هارون الرشيد أحد عشر مليون درهم والغلة والأحذية والعود والقماش والفيل والقرنفل والجوزبوا.[1] ولكن هذا المبلغ قد تقلّص في عهد المأمون (198-218هـ) إلى مئتي ألف درهم، ولم يرسل شيء من الأمتعة والأسباب. وقد اتفق بشر بن داود على مئتي ألف درهم فقط ثم رفضها فيما بعد ثم عمل عليها عمران بن موسى البرمكي وأرسل مئتي ألف درهم بعد التكاليف المحلية. دامت هذه السلسلة حتى نهاية عصر المأمون في 218هـ وبعد تلك لا نجد شيئًا. ولقد تقلّص المبلغ حتى رضي الخلفاء الراغبون في رغد العيش بالهدايا والتحف والعجائب.

بيت المال: لا بد لكل دار للإمارة من بيت للمال فنعثر على بيت مال المنصورة من أنه قد نهبه الجيش العاصي مرة في زمن المنصور فجاء في العقد الفريد:

"أبو جعفر وقّع في كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أنّ الجند شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا".[2]

قد حدث هذا في غضون 140هـ. وذكر بيت المال.

بيت الصرف: ويتضح من بعض الأحداث أنّ السند كان بها بيت الصرف الذي كان يبدّل فيه النقود للبلاد الأجنبية فيقول أمير برمكي إنه اكتسب ثلاثين ألف دينار حين إقامته بالسند ولما أراد الرجوع أمر الصارف أن يسكّها في عشرة آلاف أهليلج ذهبية وزن كل منها ثلاثة مثاقيل ثم ركب السفينة مختفيًا على الصارف:

"فخشيت أن يفاجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصغته عشرة آلاف إهليلجة، ثلاث مثاقيل، ولم يمكث الصارف أن أتى وركبت البحر

[1] الوزراء والكتّاب للجهشياري، 283/1

[2] العقد الفريد، 212/4

وانحدرت البصرة".[1]

كان هذا قسمًا لمبادلة النقود تبدل فيه الدنانير السندية بدنانير البلاد الأخرى وكان يسمّى المسؤول عنها بالصارف الذي كان على المسافرين إلى البلاد العربية أن يمرّوا به.

السجن: كان سجن بكل مركز إداري وقد صرّح البلاذري عن سجن الديبل بأنّ عنبسة بن إسحاق قد هدم منارة معبدها الشهير وحوّلها إلى سجن: "هدم أعلى تلك المنارة وجعل فيها سجنًا".[2]

يبدو من بعض القرائن أنّ غرف السجن كانت توضع من الساج وكان يوضع فيها المسجونون بالليل فيذكر شاعر هذه الفترة نهارَ السجن وليلَه:

أما النهار ففي قيد وسلسلة   والليل في جوف منحوت من الساج[3]

كان نظام سجون السند مثل نظام سجون العصر العباسي.

البريد: لقد قام المسلمون بإجادة نظام البريد منذ البداية فكان البريد يصل إلى محمد بن القاسم بعد كل ثلاثة أيام في العصر الأموي. ولما جاء العصر العباسي حسن هذا النظام أكثر من ذي قبل، فقد جاءت تفاصيل طرق البريد من السند ومكران وغيرهما من بلاد الهند ومسافاتها في المسالك والممالك لابن خرداذبة ومسالك الممالك للأصطخري وأحسن التقاسيم للمقدسي فيبدو من دراستها أنّ نظام البريد فيها كان جيدًا جدًا، وكان هذا القسم يؤدي مسؤوليته بكل أمانة ونشاط، فكانت طرق البريد ومحطاته وسعاته مستعدين وبانتظام.

ولقد ذكر بريد السند من أنّ أحمد بن عيسى بن زيد اختفى زمن هارون الرشيد وكان يرى بالبصرة والأهواز أحيانًا فرغب هارون الرشيد في البحث عنه

---

[1] وفيات الأعيان، 424/1

[2] فتوح البلدان، ص 425

[3] المحتسب لابن جني، 184/2

وكتب إلى أبي الساج حاكم البحرين، وخالد بن أزهر حاكم الأهواز، وخالد طرشت أن يبحثوا عن أحمد بن عيسى بالتعاون مع مسؤول بريد أصفهان وكان خالد طرشت مسؤولًا عن البريد إلى السند فجاء في "مقاتل الطالبين" ما يلي:

"وإلى خالد طرشت، وكان على بريد طريق السند".[1]

أي البريد كان يبلغ من السند إلى العراق تحت رقابتهم كما كان الناس والأمتعة يأتون عن طريق ساعي البريد فلما أسلم ملك كابل في زمن المأمون ابتدأت سلسلة البريد من العراق إلى كابل وأرسل عن طريقه ملك كابل الأهليلج الغض إلى المأمون فقال البلاذري: "واتصل إليها البريد، فبعث إليه بأهليلج غض".[2]

وقال الأزرقي في تاريخ مكة عن إسلام ملك كابل وحمل عرشه إلى بيت الله: "ثم أقام البريد من القندهار إلى الباميان".[3]

وعادة كان يستخدم للبريد رجل ساعٍ أو فرس مسرع كما كان ينتظم بالبريد الخاص عند الحاجة.

الجيش والمعسكر: كان نظام الجيش بالسند قويًا جدًا ومنظمًا في العصر العباسي فكانت الجنود تقيم في عدد كبير بدار الإمارة المنصورة وبما أنّ الزط كانوا يثيرون والعرب المتغلبة كانوا يفسدون في البلاد فقد جعلت مقرات عديدة في البلاد الأخرى إضافة إلى المنصورة، وكان يقيم بها الجنود وتزوّد بالأسلحة والمؤن الكافية، فذات مرة جاء موسى بن كعب التميمي من بغداد بجيش عدده عشرون ألف جندي وكذا عصى جيش المنصورة أميرها مرة، ونهبوا بيت المال، وهكذا لما أغار محمد بن عدي الثعلبي على متغلبة

[1] مقاتل الطالبين، ص 225
[2] فتوح البلدان، ص 393
[3] أخبار مكة للأزرقي، 150/1

ملتان فهزموه ونهبوا أمتعته وأسلحته، وكذلك بنى عمران بن موسى البرمكي المدينة البيضاء للقضاء على زط قيقان وقنابيل وجمع بها قوته العسكرية.

نظم الدولة وقوانينها: ماذا كانت نظم الدولة في العهد العباسي في الهند وكم قسمًا كان لها وماذا كانت طريقة عمل الحكومة للشؤون والقضايا؟ لا نجد عن هذه كلها سوى القليل من المعلومات لأنّ مؤرخي هذا العصر لم يذكروا سوى الأحداث والوقائع فإن فصّلوها فوجدنا عنها شيئًا ما.

ولكن، مما يعترف به أنّ نظم الدولة التي كانت رائجة في العصر الفاروقي في العالم الإسلامي كله قد عملوا عليها خلال العهدين الأموي والعباسي ولم يقع أيّ تغيير إلا في بعض الشؤون ولكن هذا التغيير لم يؤثر في روح النظام الحقيقية فكانت تجري في العهد العباسي من قوانين الدولة ما كانت تنفذ في العهد الفاروقي، وكذا ألّف القاضي أبو يوسف "كتاب الخراج" على طلب من الخليفة هارون الرشيد والذي جعله الخليفة معمولًا به في الخراج والجزية والعشر وغيرها من المعاملات، قد رتّب هذا الكتاب في ضوء نظام الأموال للعهد الفاروقي وقوانينه الأخرى وعلى هذا فقد صرف النظر عن نظم الدولة مؤرخو العهد العباسي مع أنهم أجهدوا أنفسهم في ضبط الغزوات والفتوحات وتدوين الأحداث والوقائع، وكذا نجد لمحة عن تلك النظم في أحداث بعض الأمراء المفصّلة بجانب إيجاز ذكر أحداث العصر العباسي ووقائعه.

مكانة الغزوات والفتوحات: دامت الخلافة الأموية منذ 40هـ حتى 132هـ وخلال هذه المدة ولّي على الهند نحو 28 أميرًا وحاكمًا حكموا عليها بإحسان وأبهة ونشر الإسلام وإعلاء كلمة المسلمين في البلاد وكانت فترة حكمهم ناجحة سوى بعض الأحداث وبالعكس من ذلك فقد حكم العباسيون على الهند منذ 132هـ حتى 247هـ أي لنحو 115 سنة وولّي على الهند نحو 40 أميرًا وحاكمًا خلال هذه الفترة، ولكنهم لم يتقدّموا وراء ما فتحها الأمويون،

بل قضوا معظم أوقاتهم في القضاء على النزاع الداخلي، ومحاولة السيطرة والغلبة، والخروج والعصيان، والحرب القبلية، الأمر الذي استفاد منه الزط والميد نخرجوا على الحكومة. ولأجل ذلك وضعت إمارة أخرى باسم إمارة بحر البصرة هدفها الخوض في الحروب في هذه المناطق، وهذه كلها قد حوّلت قوة الإقدام إلى قوة الدفاع ثم ضعفت هذه القوة أيضًا، الأمر الذي قضى على الخلافة العباسية فأقام الأمراء العرب حكومات عديدة مستقلة.

والعجب أنّ المسلمين لم يجدوا الفرصة من هذه الحروب الداخلية ولو في عهد خليفة عظيم الشأن كهارون الرشيد وعهد خليفة عازم كالمعتصم بالله. وهذا كله عرقل الفتوح الجديدة في هذه المناطق.

وقد وازن الجاحظ في رسالته "فضل هاشم على عبد شمس" بين فتوحات بني أمية وبني هاشم (بني العباس) ونقل دعاويهما فتدعي بنو أمية أنّ فتوحها تشمل فتوح عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بجانب فتح فارس وخراسان وآرمينية وسجستان وإفريقية وأنّ فتوح بني مروان أكثر من أن تحصى فقد وصل المسلمون في عهدنا إلى أقصى بلاد العالم التي لم يصل إليها أحد ولم تمنعهم البحور والخلج والغابات فمن فاتحينا العظام قتيبة بن مسلم في خراسان وموسى بن نصير في إفريقية ومحمد بن القاسم الثقفي في السند والهند. هؤلاء أمراؤنا ومآثرهم مآثرنا.

وبالعكس من تلك تدعي بنو هاشم أنّ فتوح الخليفة المعتصم سارت بها الركبان فيعجز الدهر عن تقديم كفئه وكذلك فتوح هارون الرشيد الذي من مفاخره قتل بابك الخرمي الذي أخلّت فتنته بالعالم الإسلامي لنحو ثلاثين سنة.[1]

وصرفًا عن هذه الموازنة المتخيلة للجاحظ فإن رأينا الواقع وجدنا فتوح بني العباس أقلّ قليل من فتوح بني أمية. فهل يمكن الافتخار بقتل بابك الخرمي

[1] رسائل الجاحظ (كتاب فضل هاشم على عبد شمس)، ص 93-94 و106

ولو بأيدي هارون الرشيد؟ ونصرف النظر عن ضعفهم أنهم لم يكبحوا جماح فتنة دامت لثلاثين سنة.

كتب المسعودي عن المعتصم في كتابه "كتاب التنبيه والإشراف" أنّ له ثمانية فتوح عظيمة منها القضاء على الميد الهنود على سواحل فارس وعمان وضواحي البصرة وإخلاء الزط من المناطق بين البصرة والواسط، وهم كانوا يقاتلون الخلافة جامعين قوتهم وكانوا يغيرون على الناس فيقتلون وينهبون.[1]

وهذا أيضًا نوع من العجز أنّ جماعات صغيرة قد أصبحت قوية ضد مركز الخلافة بغداد فكيف نعتبرها مأثرة كبرى؟ وهكذا اعتبر القضاء على متغلبة الهند، وكبح الجماح منها مأثرة ولم يفكروا في توسيع نطاق هذه الفتوحات.

لا شك أنّ بعض أمرائها قاموا بمآثر جليلة في هذا العهد فقد جاؤوا بجيوش من بغداد وظفروا بما أرادوا كما قاتلوا بعض الملوك الهندية ولكن هذا كله كان نتيجة العصيان والخروج في المناطق التي فتحها الأمويون ولم يكن هذا سوى استعادة ما قد جلبوه من قبل. فلم يكن هذا الإقدام من نوع الفتوح الجديدة بل كان من نوع الدفاع عما ظفروا به من قبل.

العشر والخراج والجزية: قد نفذت في العصر العباسي بالهند قوانين العشر والخراج والجزية وقوانين الأراضي والأملاك التي كانت نافذة في عهد بني أمية وكانوا يعملون بها منذ قرن أو أكثر أي كان المسلمون يؤدون العشر لأراضيهم كما كان غير المسلمين يؤدون الخراج أو الجزية أو كانوا يؤدون الأموال حسب الشرائط التي اتفقوا عليها كما فصّلناها في كتابنا "خلافة أموية اور هندوستان" (الهند والعرب في العهد الأموي).

أهل الذمة وغير أهل الذمة في الشعب غير المسلم: كما نرى أنّ بعض الهنود كانوا أهل الذمة يؤدون الخراج أو الجزية في العصر العباسي كما كانت

---

[1] كتاب التنبيه والإشراف، ص 355

الأغلبية قد عقدت الصلح فكانت أحرارًا ولقد كتبنا من قبل أنّ غير المسلمين الهنود قد بدأوا يعصون ويخرجون على الخلافة في هذه الفترة لاسيما الزط والميد الذين قد أثاروا الفتن في كل مكان فقد أجبر الأمراء العباسيون على أن يستخدموا القوة لكبح جماحهم فمن لم يكن يرجع بعد الخروج كان يواجه الموت أو كان يكبح جماحهم بالقوة وكان يعتبر من أهل الذمة كما فعل عمران بن موسى بزط السند العاصين فأسرهم وحقّرهم وختم على أيديهم وأخذ الجزية منهم وأمر بأن لا يخرج زط إلا بالكلب فقال البلاذري:

"وعسكر عمران على نهر الرور، ثم نادى الزط الذين بحضرته فأتوه فختم أيديهم، وأخذ الجزية منهم، وأمرهم بأن يكون مع كل رجل منهم إذا اعترض عليه كلب".[1]

وهكذا فكل عاصٍ غلب عليه بالقوة سمّي من أهل الذمة وأخذ منهم الخراج أو الجزية فقال المقدسي البشاري عنهم: "غير أنّ ذمته مشركون".[2]

ومن العصاة من رجع عن فعله قبل التأديب والعقاب، وصالح وعمل على الشرائط التي عقدت بين الطرفين، لا أخذ منه الخراج ولا أخذت الجزية ولا زيدت على ما عقد عليها. وقد عدّ المقدسي البشاري الشعب الهندي العام من هذا النوع من غير المسلمين: "وأما عبدة الأصنام بالسند فليسوا بذمة، ألا ترى أنهم لا يؤدون الجزية".[3]

هؤلاء هم غير المسلمين الذين حلّوا قضاياهم بالأمن والصلح ولم يخرفوا عما اتفقوا عليه.

أهل الذمة في الجيش الإسلامي: الشعب غير المسلم الذي كان يؤدي الخراج والجزية، ويعيش في الدولة الإسلامية بالأمن والطاعة، كان أفراده يتمتعون

[1] فتوح البلدان، ص 432

[2] أحسن التقاسيم، ص 474

[3] المصدر نفسه (هامش)، ص 42

بكل نوع من الحقوق الوطنية والمدينة، كانت أنفسهم وأعراضهم وأموالهم مصونة، وكانوا يوثق بهم حتى وظّفوا في الجيش الإسلامي، ونعلم جيدًا أنّ توظيف أحد في الجيش يدلّ على الثقة التامة به فقد وظّف المسلمون شعبهم غير المسلم ووثقوا بهم فالزط الذين قاتلوا الجيش الإسلامي قد وظّفوا فيه وساهموا في العسكرة على الميد العصاة، ولنا مثال ذلك لدى الأمير عمران بن موسى فيقول عنه البلاذري: "ثم غزا الميد ومعه وجوه الزط".[1]

وكذا وظّف الأمراء الآخرون شعبهم غير المسلم في الجيش وأخدموهم حين الضرورة.

الجنود الهندوس في جيوش عباسية وكرمينية: لم يوظّف الهندوس في جيش السند فحسب بل تم توظيفهم في الجيش الخاص للخلافة العباسية حيث أثبتوا رجولتهم وفصلوا عن الجسود الجماجم.

لقد قام الفضل بن يحيى بمآثر كبرى في خراسان في 179هـ خلافة هارون الرشيد فبنى الأنزال والمساجد، وجاهد في ما وراء النهر. وخلال هذه الفترة أعدّ جيشًا من العجم وسمّاه "عباسية" وكان فيه خمسمئة ألف جندي فأرسل عشرين ألف جندي إلى بغداد حيث سمّوا بكرمينية فكتب مروان بن أبي حفصة قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها:

ما الفضل إلا شهاب لا أفول له | عند الحروب إذاما تأفل الشهب
يعطى اللهى حين يعطى الجواد ولا | ينبو إذا سُلّتِ الهنديةُ القضب[2]

ولقد أفسد الزنج في ضواحي بغداد في العصر العباسي وغلبوا على العديد من المناطق، كان قائد جيشهم نصر السندي الذي كان يعين أعداء الخلافة.

حرية العبادة: كان الخلفاء والأمراء العباسيون سبقوا غيرهم في انطلاق

---

[1] فتوح البلدان، ص 432

[2] البداية والنهاية، 172/10

فكرهم وتحملهم الديني فكان الناس أحرارًا في نشر أديانهم ومذاهبهم فكأنّ دار الخلافة بغداد أصبحت مركزًا وساحة للأديان والمذاهب كان يحضرها فرسان الأديان والمذاهب الأخرى بجانب علماء الدين الإسلامي حتى كانت جلسات هذه المباحثة والمناظرة الدينية تعقد ببلاط الخليفة فكان حكماء الهند وفلاسفتها وأطباؤها ينشرون دينهم وفكرتهم لاسيما أفكار بوذا (الفرقة السمنية) كانت تسمع صداها حتى في بغداد والبصرة ففي هذه الفترة تأثر بصري بالسمنية.[1] وكذا سأل أتباعها التجّار جهم بن صفوان مؤسس الفرقة الجهمية عن الله على نهر زابل حين الانتقال إلى بلخ وسمرقند من الهند وقد عجز جهم عن الرد عليها وكان جهم يجني الضرائب بنهر زابل.[2]

وكانت المعابد القديمة والمشهورة لباميان وملتان وغيرهما من المناطق معمورة بزوّارها، ولم تكن تقع أيّ عرقلة في السبيل لأداء تقاليدها، فلا نجد مثالًا في هند العهد العباسي أكره فيه الشعب غير المسلم نظرًا للدين أو كلّفوا أكثر مما استطاعوا فكان أهل الذمة يستفيدون من حقوقهم كما كان المعاهدون أحرارًا ومسرورين بما عوهد معهم.

فلو دعي الهندوس إلى الإسلام بالمحبة والإخلاص نظرًا لما احتوت صدورهم من عواطف المحبة والإكرام للإسلام وأتباعه، ولما احتوت عقولهم من أفكار طاهرة لهم لقبلوا الإسلام بكل شرح لصدورهم وبكل سرور من داخلهم، ولتنوّر داخلهم من نور الإسلام. ولكن الأسف أنّ الخلفاء والأمراء لم يلتفتوا إليه سوى الخليفة المهدي الذي أرسل وفوده إلى ملوك بلاد العجم (بما فيها السند والهند) ودعاهم إلى الصلح والطاعة فلبّى دعوته العديد منهم إلا أنّ هذه الإجابة كانت سياسية أكثر من كونها دينية.

دخول الملوك الهندوس في الإسلام عن رضى: وبصرف النظر عن غفلة

---

[1] الأغاني، 24/3

[2] رجال السند والهند، ص 185

الخلفاء والأمراء عن الدعوة إلى الإسلام فقد دخل العديد من أشهر ملوكها وحكّامها في الإسلام. وهذا يعني أنهم لو قاموا بمهمة الدعوة إلى الإسلام لوجدوا الهند أرضًا خصبة له ولأتباعه.

ففي عهد أبي جعفر المنصور أسلم ملك هندوسي من باميان يدعى "شير باميان" على يدي مزاحم بن بسطام فزوّج مزاحم ابنه محمدًا من ابنته.[1]

والملوك الهندوس الذين آمنوا على دعوة من الخليفة المهدي هم الراجه رتبيل وشير باميان وروي السند ومهراج بورس من الهند.[2]

وفي عهد المأمون أسلم رتبيل باميان وأرسل الهدايا إلى حضرة الخليفة وابتدأ البريد من منطقته إلى بغداد.[3]

وفي نفس العهد أسلم ملك التبت وأرسل هدية ثمينة إلى الكعبة عرضت للناس بمكة لعدة أيام.[4]

وفي عهد المعتصم تأثر ملك عسيفان بين كشمير وملتان بحدث ودعا التجّار المسلمين في بلاطه فقدّموا له التوحيد فآمن بالله ورسوله راضيًا.[5]

وأما الملوك الذين لم يؤمنوا فقد عقدوا أواصر الود والإخلاص للخلفاء العباسيين، وأرسلوا إليهم هدايا وتحفًا ثمينة، وفعاملوهم معاملة الصلح والطاعة. ففي هذا العصر لم يقاتل الخلفاء العباسيون سوى ملكين أحدهما ألجأ عبد الله الأشتر الخارج على الحكومة وأصحابه وأعوانه. وأما الثاني فقد حقّر الأمير العباسي قائلًا أن يحضر بلاطه كعادة الملوك الآخرين.

إسلام حكماء الهند وأطبائها وفلاسفتها: ولقد آمن العديد من حكمائها وفلاسفتها

---

[1] كتاب البلدان، ص 289

[2] تاريخ اليعقوبي، 479/3

[3] فتوح البلدان، ص 393

[4] أخبار مكة للأزرقي، 48/1

[5] فتوح البلدان، ص 433

وأطبائها بعد البحث والتحقيق راضين عن الإسلام وأتباعه ولاسيما من ارتحل إلى بغداد وتعلقوا ببيت الحكمة أو ببيمارستاناتها ولعل الكل منهم آمن فكان منكة الهندي من أشهر أطبائها وكان يترجم الكتب الهندية إلى العربية تحت إشراف إسحاق بن سليمان الهاشمي فقال عنه الجاحظ في "كتاب الحيوان": "وكان منكة الطبيب الهندي صحيح الإسلام بعد المناظرة والاستقصاء والتثبث".

ثم كتب أنّ أحدًا قرأ الآية التالية بحضرة منكة الهندي: "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧" فقال جاهل بعدما سمعها "فكيف لو رأى الفيل" فلعنه الناس على قوله هذا فمنعهم منكة عن فضحه لأنّ الفيل عجيب خلقه حقًا فسأله الناس لو كان كذلك فلم لم يذكر الله مثال الفيل فردّ عليه منكة: إن الله خاطب العرب أولًا ولغتهم حجة على اللغات كلها فالأقوام الأخرى تأتي بعدهم فذكر الإبل حق مناسب. وانظروا كيف فرّ العرب حين هجوم أهل الحبشة ولم يثبت سوى عبد المطلب ورجال غيره.[1]

ويمكن بهذا الحدث تقدير صحة إسلام منكة وثباته فيه.

كان بهلة الهندي طبيباً شهيرًا للهند وقد دعاه يحيى بن خالد البرمكي إلى بغداد ووظّفه في بيت الحكمة، وكان ولده صالح بن بهلة من حواشي هارون الرشيد. وحفيده حسن بن صالح بن بهلة كان من أطباء بغداد، وكان كلّ منهم قد آمن بالله.

وملبّين دعوة يحيى بن خالد البرمكي ورد أطباء الهند بغداد أمثال باريكر وقلبرقل وأبِندُهن وخاطف الهندي والرومي وجعلوا مسؤولين عن بيت الحكمة وبيمارستانات بغداد، وأغلب الظن أنّ أمثال هؤلاء العلماء والأطباء قد آمنوا بعد البحث والنقاش.

الأعمال الخيرية والخدمات الوطنية: قضى أمراؤها العباسيون معظم أوقاتهم في

[1] كتاب الحيوان، 658/7

مواجهة أوضاعها السيئة، ورغّبوا أنفسهم فيها. ولكنهم لم يغفلوا عن الأعمال الخيرية وخدمات الوطن ونموها فقاموا بخدمات كثيرة للوطن كعادتهم مع البلاد الأخرى فكان المعصتم من بين الخلفاء العباسيين راغباً في البناء فقد تم بناء المباني والقصور في عصره أكثر من عصور الآخرين. ونرى آثارها في الهند كذلك فبجانب إعادة الأمن إلى البلاد قام أمراء السند ومكران ببناء المدن وترميم المدن القديمة وبناء الطرق والسبل والمعابر والسدود ودور الضيوف كما وفّروا أسباب كثرة الزروع وقاموا بما أمدّ في تمنية بلادهم.

الأمن والسلام: الحكومة التي يتوفر فيها الأمن والعدل والتغذية لشعبها تعتبر أسعد وأحسن حكومة فقد كانت هند العهد العباسي تتمتع من مثل هذه التسهيلات بصورة تامة فقد أنفق أمراؤها وحكّامها معظم أوقاتهم لإعادة الأمن والسلام إليها فقاتلوا الميد مرارًا وتكرارًا، وجعلوا طريق التجارة العامة آمنة، وحموا البر والبحر عن غارتهم ونهبهم. كانت البلاد كلها تمرّ بحالة حرجة لغارة الزط فكبحوا جماحهم ولم يأل أيّ جهد في القضاء على عصبية العرب القبلية ورغبتهم في السيطرة والغلبة فلا نجد مثالًا في العصر العباسي كله حيث ظلم أمير من أمرائه على شعبه فإن وقع ظلم في حالة الحرب فلم يكن سوى نتيجة عن السياسة الحربية ولن يمكن اعتبارها من نوع سياسة الدولة.

العدل والإنصاف: كان العدل فطرة ثانية للمسلمين وقد سبقوا كافة أمم العالم في هذا الشأن فلم يتخلف أمراء الدولة العباسية في العدل، ولم يظلموا أحدًا فكان العرب والعجم سواء في هذا الشأن وعلى هذا فقد كان الشعب غير المسلم يقبل حكمهم بدون اعتراض ولا إنكار وقد كان الخلفاء أكّدوا على الأمراء أن يعدلوا ولا يظلموا بصورة أو أخرى كما سبق أنه ذات مرة عصى جنود أمير السند عيينة بن موسى التميمي فكتب إليه المنصور قائلًا: "لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينهبوا".[1]

[1] العقد الفريد، 212/4

لا نجد أيّ أمر في الدولة العباسية كلها صدر فيه أيّ ظلم وضيم من قبل الأمراء والحكّام. وما قاموا به من أنواع العقاب حين تعذيب العصاة والخوارج والمتغلبة ليست إلا جزءًا من السياسة. وكانت هي مما لا بد منها لإعادة الأمن إلى نصابه.

المباني والقصور: لقد تم بناء مبانٍ عديدة في الهند خلال الحكومة العباسية بما فيها بناء المدن الجديدة وترميم المدن القديمة وبناء المساجد وحفر الأنهار ووضع السدود.

ترميم المنصورة وتوسيع مسجدها الجامع: فأول ما قام به أمراء الخلافة العباسية من أعمال البناء هو ترميم المنصورة في خلافة أبي العباس السفاح على يدي أميره موسى بن كعب التميمي كما قام بتوسيع مسجدها الجامع فيقول البلاذري: "وولّي موسى السند فرمّم المنصورة وزاد في مسجدها".[1]

خلال حرب أمراء الدولة العباسية ضد منصور بن جمهور دمّرت المنصورة ولذا فقد ابتدئت مرمتها بعد سيطرة الدولة العباسية عليها.

وبالنسبة لترميم المنصورة وتوسيع مسجدها الجامع يمتعنا بيان قسم الآثار لحكومة باكستان أنه لما حفرت المنصورة عثر على آثار مسجد شامخ كما عثر على آثار معبد هندوسي على قرب منه فكان المسجد واسعًا إلى غاية يسع خمسة آلاف مصلٍّ، كانت عمدها من الساج، وكانت له قبتان عاليتان ومنارات عديدة وكذا عثر على نسختين من القرآن الكريم من أنقاض المسجد كانتا كتبتا بخط النسخ كما وجدت آيات قرآنية محفورة على الحجارة كتبت بالخط الكوفي وهكذا وجدت كسور للقناديل وأوتاد من الحديد وألواح ذات ألوان مختلفة وغيرها من الأسباب.

وقد عثر على طريق واسع في المنصورة كان عرضه مئتي قدم وعلى جانبيه مبانٍ ولكنه الآن خراب وقد بنيت فيها مبانٍ على حدة للصنعة والتجارة

[1] فتوح البلدان، ص 431

وغيرهما من الحرف والأقسام وقد بنيت تحت مشروع خاص ولنعلم أنّ المنصورة أصبحت عاصمة الدولة الهبارية فيما بعد والتي كانت دولة دينية نامية فقد تم في عهدها بناء المباني العديدة.

بناء المسجد في قندهار: أثناء خلافة أبي جعفر المنصور قام هشام بن عمرو التغلبي بخدمات جليلة بقندهار بما فيها خدماته البنائية فقد كسر قوة الميد بقندهار (غوجرات) وبدّل ملجأهم الذي كان في صورة معبد إلى مسجد فيقول اليعقوبي: "ففتحها، وسبى وهدم البد وبنى موضعه مسجدًا".[1]

بناء مدينة البيضاء: بعدما قضى عمران بن موسى البرمكي على ثورة الزط بقيقان وقندابيل بنى بها مدينة باسم "البيضاء" وأسكنها جيشًا فيقول البلاذري: "وبنى مدينة سمّاها البيضاء وأسكنها الجند".[2]

بناء سد الميد: وخلال هذه الفترة قضى عمران بن موسى على الميد بالقوة ووضع سدًا باسمهم على نهر السند فيقول البلاذري: "وسكر سكرًا يعرف بسكر الميد".[3] ولعل الهدف وراءه كان تخصيب أرض الجانب المقابل. ولعل مدينة السند المشهورة "سكهر" صورة مشوّهة لسكر الميد.

حفر النهر: ولتصغير الميد قام عمران بحفر النهر الطويل من البحر إلى منطقتهم والذي كان يرسل الماء المالح إلى ديارهم وهكذا فقد ملّحت مياههم العذبة ثم صغروا للمسلمين: "فحفر من البحر نهرًا أجراه في بطيحهم حتى ملح ماؤهم وشنّ الغارات عليهم".[4]

ترميم الديبل وبناء السجن: ولأجل غلبة العرب وعقاب الأمراء لهم أصبحت مدينة الديبل خرابًا فقام عنبسة بن إسحاق الضبي بترميمها في عصر

---

[1] تاريخ اليعقوبي، 431/2

[2] المصدر نفسه، ص 441

[3] فتوح البلدان، ص 432

[4] المصدر نفسه، ص 434

المعتصم وكسر أعلى منارة معبدها وحوّله إلى السجن:

"وإنّ عنبسة بن إسحاق الضبي العامل كان على السند في خلافة المعتصم بالله رحمه الله، هدم أعلى تلك المنارة وجعل فيها سجناً وابتدأ في مرمة المدينة بما نقض من حجارة تلك المنارة فعزل قبل استتمام ذلك".[1]

وكذا قام الأمراء العباسيون بأعمال عديدة للبناء والمرمة بما فيها الخانات والأربطة.

الخانات ودور الضيوف: لقد كانت للخانات ودور الضيوف أهمية كبرى في حياة المسلمين وكان يقيم بها التجار والضيوف والمسافرون والمجاهدون، وكانت توفّر لهم كافة التسهيلات. وبجانب الخلافة، فقد كان الأغنياء والمخيّرون يبنون الخانات والأربطة، ووقفوا لها عقارات واسعة.

ذكر ابن حوقل أنّ هناك خانات وأربطة ومباني بكل مدينة كبرى في سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والري وأصفهان والجبال وطبرستان والجزيرة وآذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب، يقيم بها المسافرون والمجاهدون والمرابطون ويتم بها توفير كافة التسهيلات من قبل الأمراء والأغنياء والمخيّرين حسبة لله فيقفون عليها الناس العقار والغلة والحقول وكانت تحوي حجرات صغاراً وكباراً ودورات المياه وغيرها من الحاجيات.[2]

ويقول الأصطخري إنّ هناك مباني لأهل طرسوس بكل مدينة كبرى في سجستان وكرمان وفارس والجبال وخوزستان والعراق والحجاز واليمن والشام يقيم بها تجارها ومسافروها[3] ولقد بنى عمر بن عبد العزيز في العهد الأموي خانات وأربطة بطرق خراسان[4] وكان هناك موضع باسم "سرائ خلف" بين مكران والمنصورة[5] لعله كان في البداية خانة ثم عمّر ولقد كان العديد من

---

[1] المصدر نفسه، ص 425

[2] صور الأرض، ص 184

[3] مسالك الممالك، ص 64

[4] طبقات ابن سعد، 245/5

[5] المسالك والممالك، ص 55

الخانات والأربطة في السند ومكران في العهد العباسي، التي كان يقيم بها تجار العالم الإسلامي والمسافرون وكان بها كافة التسهيلات لهم وكانت هذه الخانات واسعة وثابتة إلى حد تبدو قلعة وكان المقيمون بها مصونين عن كل خطر.

بني العديد من الخانات ودور الضيوف بالهند في العصر العباسي ففي العصر العباسي أقام بها عبد الله الأشتر وأصحابه في البداية فيقول رفيقه عيسى بن عبد الله إننا خرجنا من البصرة وتوجّهنا نحو السند ونزلنا بخانة في الطريق: "فلما كان بيننا وبينها أيام نزلنا خانًا فكتب فيه".

بعدما بلغت هذه القافلة المنصورة توجّهت نحو قندهار وأقام بها في خانة تبدو قلعة وكانت مصونة من كل جانب فيقول عيسى بن عبد الله: "فأحللته قلعة لا يرومها رائم، ولا يطور بها طائر".

وهو الذي قال إني التجأت إلى هذه الخانة مع محمد بن عبد الله الأشتر حتى توفي أبو جعفر المنصور وجاء عصر الخليفة المهدي فذهبت به وبوالدته إلى المدينة المنورة.[1]

وفي نفس الفترة ورد علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن العلوي الهند خوفًا من أبي جعفر المنصور ونزل بخانة بها فيقول المرزباني:

"وكتب في خان بعض بلد أني انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن مشيت حتى انتعلت الدم وقد قلت: (هذه الأبيات)".[2]

وتبدو كثرة الخانات والأربطة في الهند من أنّ مسلميها كان لهم ذوق خاص ببنائها فبنوا خانات بالبلاد الأخرى فقد بنى العالم والأديب الشهير والتاجر المسلم الحسن بن حامد بن الحسن الديبلي خانة نخمة ببغداد تعرف باسمه فيقول الخطيب: "وإليه ينسب خان ابن حامد الذي في درب الزعفراني ببغداد".[3]

---

[1] مقاتل الطالبين، ص 311-312

[2] معجم الشعراء، ص 137

[3] تاريخ بغداد، 204/7

وبالمناسبة لنسمع عن خانة تاجر ديبلي ينتمي إلى المتأخرين فقال ياقوت إنّ هناك مدينة تسمّى "مؤنسة" على مرحلة من نصيبين على قرب من الموصل ثم قال:

"بها خان تبرع بعمله رجل من التجار يقال له سيابوقة الديبلي عمله في 615هـ".[1]

ولو أنّ نظم هذه الخانات والأربطة لم تكن بأيدي الأمراء والحكّام ولكنها كانت تابعة لقسم الأعمال الخيرية وهو الذي كان يعتني بمرمتها.

الحاصلات: كان الأمراء والحكام العباسيون يعتنون بالحصاد والزرع عناية تامة وكانوا يبذلون لها جهودًا جبارة فكان عهد إمارة هشام بن عمرو التغلبي عهدًا زاهرًا للهند من كل ناحية فلأجل حسن نظمه تباركت الحقول وحدثت في الدولة ثورة خضراء حتى غمر العامة السرور فاعتبروه مباركًا لهم فأشار إليه البلاذري بكلمتين تاليتين: "فأخصبت البلاد في ولايته فتبركوا به".[2]

ويمكن تقدير كثرة المحصولات من أنّ الغلة كان يبلغ مليون قفيز منها إلى بغداد سنويًا في عهد هارون الرشيد فقال الجهشياري وهو يذكر حاصلاتها في هذا العهد: "الطعام بالقفيز الكيرخ ألف ألف قفيز".[3]

لم يسعني تحديد "قفيز كيرخ" وإلا فقد سهل لنا معرفة القدر المحدّد وعلى كل حال فقد كانت بها كثرة المحصولات الزراعية كعادة غيرها من البلاد الإسلامية وقد ازدادت الحاصلات في هذا العصر.

---

[1] معجم البلدان، 204/8

[2] فتوح البلدان، ص 431

[3] كتاب الوزراء والكتّاب، 283/1

العلاقات بين العرب والهند

كان عهد الخلافة العباسية الممتد لـ145 سنة في الهند مدافعًا فكان الأمراء في تلك المدة يدافعون عما فتحه الخلفاء الأمويّون وركّزوا جلّ عنايتهم على إقرار ما سيطروا عليه وإعادة الأمن فيها فلم يعطهم الفرصة عقاب زطها العصاة وميدها المغيرة وأمرائها الخوارج وملوكها الأشرار لكي يلتفتوا إلى ما وراءها.

الإسلام وأتباعه كما يراهما الهنود: هذا ومن سكن الهند من المسلمين خارج حدود السند ومكران الإسلامية كانوا يقضون حياة آمنة وذات عزة وإكرام فكان أهاليها يكرّمونهم ويعزّونهم وبجانب الشعب العام فقد كان الملوك يكرّمونهم وهكذا فالتجّار والمسافرون العرب الذين كانوا يردون الهند يتمتعون من كرم وشرف وعزة من قبل الملوك وشعوبهم وكانوا آمنين من كل نوع من الخوف.

الهند التي كان يعدّها المؤرخون والجغرافيون العرب في تلك الفترة "بلاد الكفر" مقارنة بـ"بلاد الإسلام" كانت خير وطن لمسلمي تلك الفترة لاسيما كانت مستعمرات واسعة لهم بسواحل سرست وغوجرات والكوكن وسريلانكا وكان التجّار العرب يحبّون هذه المناطق وكانت سلعهم التجارية توجد هنا فكانوا يحملون منها العطور والبخور والعود والصندل والكافور والمافور والجوزبوا والقرنفل والقاقلة والكبابة والنارجيل والظفل والأقمشة والأرز والأحجار الكريمة والقسطة والقنا والخيزران والتوتيا والسنبل والساج والسيوف وكانوا يرتحلون إلى الصين بواسطة هذه الطرق.

كان الأمراء والحكّام مشتغلين بإخماد الفتن في مناطقهم المحتلة وبالخوض في الحرب والقتال بينما كان ملوكها وشعوبها يكرّمون الخلفاء ويعزّون المسلمين فلا كانوا معتنين بسياسة السند ومكران الداخلية ولا كانوا يشعرون بالمخافة

من سياستها الخارجية فكانت مناطق الهند هذه مستأنسة إلى الإسلام والمسلمين إلى حدّ لو اعتنوا بهذا الجانب بالقيم الإسلامية في العهد العباسي لتحوّلت دار الكفر هذه إلى دار الإسلام ولاختلفت أوضاعها عما نعانيها اليوم.

وقد قامت دولة إسلامية باسم "الدولة الماهانية سندان" بوسط جنوبي الهند في عهد المأمون ودامت حتى عهد الخليفة المعتصم فقد نالت هذه الحكومة ثباتًا وقرارًا في دولة الراجه بلهرا، ومضى فيها ثلاثة حكّام تشبثوا بذيل السياسة الحسنى فتعلقوا بمركز الخلافة بغداد كما تكرّموا لدى الراجه بلهرا وشعبه.

إنهم فتحوا حتى سرست وقضوا على الميد وبنوا المساجد ونالوا القبول لدى إخوانهم والأجانب لحسن سياستهم فلو لم يقض عليها لأجل قتل إخوانهم وقام الخلفاء العباسيون بالصلح بينهم لقوتهم المركزية لاستفاد بهم الإسلام وأتباعه في هذه المناطق ولانتشر الإسلام في حدود الراجه بلهرا لمحبتهم للإسلام والمسلمين.

وكذا تم تمهيد السبيل إلى الإسلام في مالابار في عهد الدولة الماهانية في غوجرات. لقد تغيّرت الأوضاع بعد القرن الثاني الهجري لأجل المحاولات الناجحة لشرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب وإسلام الملك المسامري ولتوقع أن تتحول هذه الأرض الجرداء إلى الحديقة الغناء لمجرد قطرة من سحاب الرحمة ولو دامت سلسلة الدعوة إلى هذه البلاد وحلقة ورود الصالحين فيها لتحوّلت المنطقة كلها إلى دار الإسلام من دار الكفر.

والمناطق الساحلية من سرست إلى مالابار وسرنديب ما وراء السند ومكران والتي يسمّيها العرب ببلاد الذهب وبلاد الساج وبلاد الأرز وبلاد الفلفل وبلاد المعبر كان يسكنها المسلمون بميزاتهم وخصوصياتهم لاسيما ضواحي الدولة الماهانية سندان فقد عمر المسلمون كنبايت وبروص وقندهار وتهانه وسوبارا وبلاد جيمور وكانت بها مساجدهم ومحاكمهم الإسلامية.

ولقد امتزج المسلمون وغيرهم من حيث لا نجد أيّ مثال لنزاعهم لا دينيًا ولا عرقيًا ومحليًا. والحال أنّ مثل هذه الأحداث يمكن وجودها في بعض الأحايين فقد قضي على الحكومة الإسلامية بسندان لأجل قتل إخوانهم وتلك في عهد الخليفة المعتصم وكان الهندوس المحليون يؤيدون أحد الأخوين فإن أرادوا فسهل لهم إخراج المسلمين وتخريب مساجدهم ولكن لم ينبذوا ولو كلمة ضد المسلمين وأبقوا مساجدهم لكي يعبدوا فيها ويدعوا لخليفتهم وهكذا فقد ثار الفساد في تهانه لأجل شرّ خادم للملاحة ولكن الحاكم المحلي تبصّر وقدّم قضيته لقاضي المحكمة وأما القاضي فقد عذّب الجاني نكالًا.

الأشياء الهندية اللافتة للأنظار: كانت العرب مرتبطين بالهنود منذ القدم وكان كل واحد منهما يعرف الآخر فكان بحر الهند حتى العهد الأموي مصدر الدرر واليواقيت، وميادينها مخرج العود والعطر كما كانت مياهها ردية، ونخلها غير صالحة، وأرضها صخرية، وميدها من الشجعان. وأما الهنود فكانوا يعتبرون المسلمين دعاة التوحيد وتقاة وبسطاء فكانوا أقرب إلى الأعمال الخيرية من الحكم فكانت العلاقة بينهما من نوع خاص. ولما جاء العصر العباسي تنوّعت هذه العلاقات وازدادت، ولما اختلط المسلمون بالأجانب وتوطّنوا معهم تحوّلت بساطتهم إلى رغد العيش، وأصبحت الهند مجذب أنظارهم لتوفيرها لهم كلَّ ما يغذّي ذوقهم الجميل. ففي هذا العصر عرفت الهند لأجل علومها وفنونها وحسابها ونجومها وفلسفتها وطبّها وموسيقاها وسحرها وشعبذتها وشطرنجها وتماثيلها ورسومها وعطورها وبخورها وأنواع من عودها ومسكها وزبادها وسنبلها وكافورها ومافورها وصندلها وأدويتها من الجوزبوا والقاقلة والتوتيا والقسط والبقم والقلقل والقرنفل والسم ساعة وغيرها من العقاقير.

ومن بهائمها ووحوشها الفيل والكركدن والبر والفهد والإبل والجاموس والريم والببغاء والطاؤوس والدجاجة الهندية ومن الأقمشة الأقمشة النباتية والأقمشة القطنية والأقمشة الحريرية وأقمشة تهانه والإزار والرداء وأحذية

كنباية، ومن الفواكه الأنبج والليمون والبرتقال والتمر الهندي، ومن الأغذية الأرز وقضيب السكر والموز والحلوى الفانيدية. ومن الأحجار الكريمة كل نوع من الياقوت والجوهرة والألماس والدر والبلور والسنباج، ومن الآلات والأسباب السيف والرصاص والقنا والخيزران والقضيب والساج والعاج والآبنوس، ومن الإماء الأمة الهندية والقندهارية والطافتية والمنصورية.

تعامل الهنود مع المسلمين: كان المسلمون مكرّمين في هذا العصر وكان ملوكها وشعوبها يحسنون الظن بهم وكانوا يكرّمونهم. ولقد لعب فيها إيمان المسلمين وخلقهم العظيم دورًا. وهاتان الميزتان اللتان جعلتاهم مكرّمين خارج العالم الإسلامي ووفّرتا لهم فرصة العمل بشريعتهم في جوّ غير إسلامي فكانت لهم حرية تامة للدين وكانت لهم محاكم إسلامية يحكمون فيها طبقًا لشريعتهم وكان الملوك ينفذون أحكامهم كأحكام دولتهم فلا نجد مؤرخًا إسلامياً في هذا العصر ينكر بسعة قلوب الشعوب الهندوسية وهذه العزة التي تمتع بها المسلمون كانت بفضل دينهم وليس غير، وحياتهم الدينية هي التي جعلتهم أعزة لدى الغير.

الاعتراف بعظمة خليفة المسلمين: التميز العرقي وفكرة الأعلى والأسفل كانت مما ورثتها الهند من الأزل فكانت ملوكها على درجة "الأوتار" (الرسل) وكانت العامة تضحّي بأنفسها تقديسًا لهم وتكريمًا، ولكنهم يعتبرون خليفة المسلمين أعلى الناس وأكرمهم فقد صرح التاجر العرب والرحال سليمان أنّ الهنود والصينيين اتفقوا على أنّ الملوك الذين يجدرون بالذكر هم أربعة أولهم خليفة المسلمين وهو أكبرهم وأعلاهم بالإطلاق وأمواله أكثر من غيره وجماله أفوق من الآخرين و"أنه مالك الدين الكبير الذي ليس فوقه شيء".

ثم يأتي ملك الصين ثم ملك الروم ثم ملك بلهرا الذي أذنه مثقوبة[1] لم يكن ملوك الهند والصين فقط بل شعوبهما أيضًا اتفقت على عظمة خليفة المسلمين وشرفه.

[1] رحلة سليمان التاجر، ص 26

محبة أهل سرنديب للمسلمين: كان أهل سرنديب عامتهم وخاصتهم يحبّون الإسلام وأتباعه منذ القدم فقد أرسلوا رجلَ دين إلى المدينة المنورة في عهد الرسالة فرجع خادمه إلى الوطن وذكر لهم أخبار عمر بن الخطاب الشخصية وقد كان يسكنها جماعة من التجّار العرب في العهد الأموي وأرسل ملكها الهدايا والتحف والنساء العربيات إلى الخليفة الأموي وحاول أنْ يرضيه وقد كان أهلها محبّين للمسلمين في العصر العباسي فقال بزرك بن شهريار: "وهم يحبّون المسلمين ويميلون إليهم ميلًا شديدًا".[1]

محبة الملوك وشعوبهم للعرب: كان ملوك بلهرا وشعوبهم كلفين بالعرب والمسلمين وكانوا يحسنون الظن بهم ويحبونهم، كان ملوك بلهرا أكبر ملوك الهند وكان كلّ ملك هندي يصغر لهم. كانوا يحكمون من غوجرات وسرست إلى الكوكن ومهاراشترا وبالعكس من ذلك فكانت الملوك وشعوبهم يحبّون المسلمين. يقول سليمان التاجر إنّ ملك بلهرا أشرف وأكرم ملوك الهند ويعترف الكل بعظمته ولديه أموال هائلة ثم قال:

"وملوكهم يعمرون، ربما ملك أحدهم لخمسين سنة، وتزعم أهل مملكة بلهرا أنما يطول مدة ملوكهم وأعمارهم في الملك لمحبتهم العرب وليس في الملوك أشد حبًا للعرب منه، وكذلك أهل مملكته".[2]

ولقد ذكر المؤرخ اليعقوبي محبة ملك بلهرا وشعبه للعرب بأنه ليس ملك سوى ملك بلهرا يكرم في دولته المسلمون فتعمر فيها المساجد وكل ملك من هذه الأسرة يحكم لأربعين إلى خمسين سنة. يزعم الناس أنّ عمرهم يطول لعدلهم وتكريمهم للمسلمين.[3]

ويقول الأصطخري إنّ حكومة ملك بلهرا من كهمباوت إلى جيمور ولو أنّ

---

[1] عجائب الهند، ص 150

[2] رحلة سليمان التاجر، ص 37

[3] مروج الذهب، 170/1

هذه المنطقة دار كفر إلا أنّ المسلمين يسكنون في مدنها وقراها، ولهم مساجد يعمرونها[1] ولقد شغف أهلها حبًّا للإسلام والمسلمين بأنه لما فتح أمير السند هشام بن عمرو التغلبي باربد وقندهار في غوجرات في عصر أبي جعفر المنصور فكما يقول المؤرخ اليعقوبي: "فأخصبت البلاد في ولايته فتبركوا به".[2]

ومن أهم مظاهر محبة ملوك غوجرات وشعبها للمسلمين أنه لما قضي على الدولة الماهانية بسندان لأجل تقاتلهم في عصر المعتصم أبقى أهلها مساجده لكي يعبدوا فيها ويدعوا لخليفتهم، فيقول البلاذري:

"ثم إنّ الهند بعدُ غلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه ويدعون للخليفة".[3]

هذا من محبة المسلمين من قبل الشعب غير المسلم أنهم أعطوا فرصة قراءة اسم خليفتهم في مساجدهم ودعائهم لخليفتهم فعاطفة تكريم الأقلية من قبل الأغلبية تجدر بأن نقدّرها ونعتبر بها.

كان حاكم برهمي باسم بانيا في كهمباوت عيّنه ملك بلهرا وكان راغبًا في المناظرة فكان يناظر المسلمين وأتباع الأديان الأخرى المارين به مناظرة دينية وعلمية[4] وبعد بلهرا كان ملك طافن (الدكن؟) وهو أيضًا كان يحبّ المسلمين حبًّا جمًّا فقال فيه سليمان التاجر: "وهو يحبّ العرب كحبّ بلهرا".[5]

ولقد صرّح المسعودي عن تكريم ملك طاخن للمسلمين: "وهو مكرّم للمسلمين".[6]

وفي هذه الديار كان ملك في جزر وكان متكبرًا وعدوًا لدودًا للمسلمين ولكنه

---

[1] مسالك الممالك، ص 173

[2] فتوح البلدان، ص 431

[3] المصدر نفسه، ص 433

[4] مروج الذهب، 117/1

[5] رحلة سليمان التاجر، ص 29

[6] مروج الذهب، 170/1

مع ذلك كان يعترف بعظمة وعزة خليفة المسلمين، يقول سليمان التاجر: "وهو عدوّ للعرب غير أنه مقرّ أنّ ملك العرب أعظم الملوك وليس أحد من الهند أعدى للإسلام منه".[1]

وقال المسعودي إنّ هذا الملك يزعم أنه لا ملك أعظم منه في العالم إلا أنّ ملك بابل أي ملك الإقليم الرابع أعظم منه ولكنه مع ذلك يبغض المسلمين".[2]

هذه قضية ملك من الجزر بينما الملوك الآخرون منها كانوا على عكس ذلك فهم كانوا يحسنون إلى التجّار العرب والمسلمين فقد قال ابن رستة عن ملك من ملوكها: إنّ مملكته يجري فيها نهر العدل فإنْ وضع الذهب في طريق من طرقه ما خيف أنْ يأخذه أحد، مملكته واسعة ثم قال: "والعرب يرحلون إليه في تجاراتهم فيبرّهم ويشتري منهم".

بعدما يفرغ التجّار العرب من تجارتهم يطلبون من الملك أن يصحبهم بعض رجاله لكي يرجعوا آمنين من المنطقة ويصونوا سلعنا فيردّ عليهم الملك أنّ مملكته خالية من القطّاع الطرق فلترجعوا بدون خوف فإن خسرتم شيئًا فلتأخذوه مني فإنكم بذمتنا".[3]

ويقول تاجر مسلم أبو عبد الله محمد بن إسحاق إنّ ملك قمار يعاقب على الزنا والخمر. إني مررت على بلده وأقمت به لمدة سنتين فلم أجد ملكًا أشدّ وأغير على أمر الخمر.

ويقول تاجر مسلم آخر إنّ ملك قمار يعاقب شديدًا ولكنه لا يضرّ بالعرب ولو فتيلًا فإن زاره أحد وأهدى إليه فيحسن إليه أضعافًا مضاعفة، ولقد زرت بلده واتجرت لدى العديد من الملوك ولكني لم أجد ملكًا أعلى من هذا الملك في الإحسان.

---

[1] رحلة سليمان التاجر، ص 37

[2] مروج الذهب، 170/1

[3] الأعلاق النفيسة، ص 135

ولقد صرّح أبو حامد الأندلسي (محمد بن عبد الرحيم) في تحفة الألباب عن محبة عامة الهند والصين للتجّار المسلمين:

"ويحترمون التجّار من المسلمين غاية الاحترام ولا يوخذ منهم أعشار في بيع وشراء ولا مكس".

ولقد عيّر أبو حامد الأندلسي الخلفاء المسلمين على صفة الهنود والصينيين هذه: "فيا ليت ملوك المسلمين اقتدوا بمثل هذه السياسة الحسنة فهم أحقّ بها".[1]

وبمناسبة أعرب أمير السند عمرو بن حفص هزارمرد عن انطباعه عن ملك عظيم للهند فقال:

"ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كثير المملكة وهو على شوكة أشد الناس تعظيمًا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو وفيّ".

ثم أرسل عمرو بن حفص هزارمرد عبد الله الأشتر وأنصاره إلى ذلك الملك فأكرمهم الملك معتبرًا أنهم من آل الرسول صلّى الله عليه وسلّم: "فأكرمه وأظهر برّه، وتسللت الزيدية حتى اجتمع معه أربعمئة إنسان من أهل البصائر".[2]

وبما أنّ هذه الخطوة التكريمية للملك كانت ضارة بحق الخلافة العباسية فقاتله أمير السند.

كانت مدينة بين كشمير وملتان وكابل تسمّى "عسيفان". كان ملكها عاقلًا فكان التجّار المسلمون يسكنون مملكته وكان الملك واقفًا على دينهم وعملهم فكان يحسن الظن إليهم. ذات مرة مرض ابن له فدعا كافة عبّاد معبده الهندوسي لكي يتضرعوا إلى الوثن فيشفيه فحاولوا جهدهم ولكن لم يشف الولد فكسر الملك المعبد وقتل العبّاد وقال: "ثم دعا قومًا من تجّار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد فوحّد وأسلم".[3]

---

[1] تحفة الألباب، ص 50

[2] كامل ابن الأثير، 220/5

[3] فتوح البلدان، ص 432

إعفاء المسلمين عن آداب البلاط وقوانين الدولة: عفي المسلمون عن العديد من آداب البلاط وقوانين الدولة لدى الملوك الهندوس، الأمر الذي يدلّ على تميزهم وتفردهم عن الآخرين فقد أمر الحضور أنْ يجلسوا مؤدبين في بلاط ملك سرست (بلاد الذهب) وغيره من الملوك ولم يسمح مواطن أو غير مواطن أنْ يخالفها فإنْ خالفها أحد أدّى غرامة عالية. سمّي هذا الجلوس "برسيلا" فذات مرة حضر ملّاح مسلم يسمّى "جهود الصغير" بلاط ملك يدعى "هرناتا" وكان المسلم شهيرًا في الملاحة فجلس مؤدبًا حسب الأدب وطال الحديث ولم يقم الملك من مكانه وقد أخذ الملّاح المسلم تعب لجلوسه في حالة واحدة وكان الحديث يدور حول سمك "كنعد" فقال جهود الصغير إنّ هذا السمك طويل للغاية في بلدنا عمان، وبسط رجله ووضع اليد على فخذه ثم بسط الرجل الأخرى ثم جذب كلتيهما فلما رآه الملك سأل وزيره عن سبب مخالفة الأدب فقال الوزير: إنّ هذا الرجل عجوز لا يقدر على أن يجلس على حالة واحدة طويلًا فاحتال لمخالفة الأدب فقال الملك: "الصواب أن نرفع هذا الرسم عن المسلمين الغرباء خاصة".

ومن ثم رفع هذا القيد عن المسلمين فكانوا يجلسون كما شاؤوا أمام الملوك بينما الآخرون كانوا يعملون على رسم "برسيلا" فإن خالفوه أدّوا الغرام.[1]

كانت قوانين الملوك تنفذ على المواطنين، وأما المسلمون فقد عفوا عنها وسمحوا للعمل حسب شريعتهم أي كان المسلمون أحرارًا في العمل على الشريعة الإسلامية كائنين في دولة غير إسلامية فقال بزرك بن شهريار: "وإن سرق مسلم ببلاد الهند ردّ الحكم في أمره إلى هنرمن المسلمين ليعمل فيه بما يوجبه حكم الإسلام".[2]

وكذا كان قاضي المسلمين يحكم في القضايا فيقول بزرك بن شهريار إنّ عباس

---

[1] عجائب الهند، ص 55

[2] المصدر نفسه، ص 161

بن ماهان جعل قاضي المسلمين لسيراف من قبل ملك جيمور. وكان يقضي بين مسلمي المدينة طبقًا للشريعة الإسلامية ففي زمانه ذهب خادم فاجر للمركب إلى جيمور فرأى بها صنمًا كان على شكل امرأة جميلة فاسترق أنظار الناس وأنزل بين نخذي الصنم فرآه مواطن فذهب إلى متوليه مضطربًا وقصّ القصة فأسرع المتولي إلى الرجل وقبض عليه وقدّمه إلى حاكم المدينة فأقرّ الجاني جريمته فسأل الحاكم أهل بلاطه عن جزائه فقال البعض: ينبغي أن يوطأه الفيل وقال الآخر: يقطع في كسور، ولكن الحاكم قال: هذا كله لا يجوز فإنه عربي، وبين العرب وبيننا شروط، فينبغي لأحدكم أن يذهب به إلى هنرمن المسلمين عباس بن ماهان وليسأله إذا وجد أحدكم يزني مع امرأة في المسجد فكيف تجزونه فلينظر ماذا يجيب ولنعمل على ما يقول. فذهب أحدهم إلى عباس بن ماهان وسأله:

"فأحبّ العباس بن ماهان أن يعظم أمر الإسلام عندهم فقال إذا وجدنا أحدًا على هذه الصفة قتلناه".

فرجع الرجل ونقل حكمه لدى الحاكم فقتل الهندوس الجاني فلما علم العباس بن ماهان عن هذا ترك المنطقة سرًا: "نخرج من صيمور سرًا من الملك خوفًا أن يمنعه من الخروج عن بلده لمحله وموضعه".[1]

يتضح من هذا أنّ المسلمين كانوا يحترمون دينهم أشد احترام، الأمر الذي جعلهم مكرمين لدى الأجانب.

قسم العدل: هذا من عجيب الأمر أنّ الشريعة الإسلامية كانت تطبق في جوّ غير إسلامي وحكومة غير مسلمة وقد عيّن الملوك قضاة للمسلمين كانوا يقضون عن قضايا المسلمين في ضوء الشريعة الإسلامية. كان هذا المنصب يسمّى "هنرمنة". ومن احتلّ هذا المنصب سمّي "هنرمنًا". كانت هذه مثل المحكمة

[1] المصدر نفسه، ص 143

الشرعية، وكان حكمها يعتبر حكم الملوك، وكان المسلمون ملتزمين بالشريعة الإسلامية لا في القضايا الشخصية بل في القضايا المدنية والدولية كذلك ولم تكن الحكومة غير المسلمة تسمح لهم هذا بل كانت تعيّن لهم قضاة من قبلها فكانت صيمور وتهانه وسوبارة وسندان وبروص وكنباية وباربد وقندهار وغيرها من المدن تقع في مملكة بلهرا وكان بها مستعمرات للمسلمين وبنوا فيها مساجدهم فقد عيّن فيها الملك قضاة للمسلمين وكان المسلمون يقضون حياة آمنة ومحترمة فقال الأصطخري في مسالك الممالك:

"ومن كنباية إلى صيمور من بلاد بلهرا بعض ملوك الهند، وهي بلاد كفر إلا أنّ هذه المدن فيها المسلمون ولا يلي عليهم من قبل بلهرا إلا مسلم، وبها مساجد يجمع فيها الجمعات".[1]

ولقد بقيت الشريعة الإسلامية نافذة في بلاد بلهرا الكافرة لمدة طويلة وعيّن بها العديد من القضاة فقد ذكر المسعودي أنّ صيمور كان يسكنها عشرة آلاف مسلم بمن فيهم عرب سيراف وبغداد والبصرة والكوفة والحرمين الشريفين فكان يحتل منصب "هنرمن" آنذاك أبو سعيد المعروف بن زكريا ثم ذكر معنى ذلك المنصب:

"وتفسير الهنرمنة يراد به رئاسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامه مصروفة إليه".[2]

ثم ذكر الملّاح الأمهرمزي بزرك بن شهريار عن الهنرمن العباس بن ماهان السيرافي وقال إنه كان هنرمناً للمسلمين هنا، إنه يعتبر من كبار المسلمين هنا وإليه ترجع كافة قضايا المسلمين.[3]

كانت تجارة العرب البحرية حتى الصين فكان التجّار العرب يسكنون مدينتها المركزية خانفوا وكان الملك قد عيّن قاضياً مسلماً وحاكماً عليهم، وكانت كافة

---

[1] مسالك الممالك، ص 173

[2] مروج الذهب، 210/1

[3] عجائب الهند، ص 142

قضايا المسلمين ترجع إليه. فقال سليمان التاجر في رحلته: إنّ ملك الصين عيّن مسلمًا حاكمًا على المسلمين في مدينة التجّار المركزية خانفوا وهو الذي يختاره والقاضي يصلّي العيدين ويدعو لخليفة المسلمين ويعمل على كتاب الله والشريعة الإسلامية والحق، ولذا فيقرّ تجّار العراق بكل ما يأمرهم به ويعتبرونه حاكمًا لهم.[1]

ولقد ذكر أبو حامد الأندلسي الغرناطي في تحفة الألباب أهل الهند والصين كما ذكر معاملتهم الحسنة مع المسلمين وإعطائهم الحرية الدينية فقال: "ويحرّمون على المسلمين ذبح البقر، ويبيحون لهم ما سوى ذلك".

ثم قال إنه كلما مرض أحد منهم أعطى الجزّار ما شاء، وطلب منه أن لا يذبح لمدة معينة. وإذا اتفقا على شيء فلا يذبح الجزّار لتلك المدة وهكذا فيوفي المريض بما نذر أو يشفى حسبما اعتقد. وإذا توفي تاجر أجنبي أو مسافر ببلادهم وترك أموالًا فلا يتعرض المواطنون لما ترك ولنسائه.[2]

توطّن المسلمون سرنديب منذ قديم الزمان ولقد منحتهم الحكومة الحرية للعمل على شريعتهم فكان الجوّ دينيًا وكان العلماء يعقدون جلساتهم وكانوا يدرسون الكتب الدينية وكانت كل فرقة تتمتع بالحرية الدينية فقال أبو زيد السيرافي: "وبهذه الجزيرة جمع من اليهود وكثير وسائر الملل وبها أيضًا ثنوية، والملك يبيح لكل فريق منهم ما يتشرع به".[3]

ولذا فقد أعطي المسلمون حرية للعمل على الإسلام إلا أنّ الحكومة لم تعيّن قاضيًا أو حاكمًا مستقلًا عليهم بل كان المسلمون بأنفسهم يعيّنون قاضيهم أو حاكمهم الذي كانوا يثقون به في شؤون دينهم.

هيبة المسلمين: كان مسلمو هذا العصر متحلّين بقوة الإيمان والخلق لحد كان غير المسلمين يخافونهم وتقشعر جلودهم منهم فكانت جزيرة في بحر الهند

---

[1] رحلة سليمان التاجر، ص 14

[2] تحفة الألباب، ص 50

[3] رحلة أبي زيد، ص 122-123

تسمّى "الزنج" وكان أهلها يخافون المسلمين إلى حد أنهم كانوا يسجدون لهم فور رؤيتهم. قال المسعودي: "وللعرب في قلوب الزنج هيبة عظيمة فإذا عاينوا رجلًا منهم سجدوا له".

وكانت التمور لها أهمية كبرى لديهم، وكانوا يرون أنّ التمور تنتج في بلاد العرب، وأنهم يسلّون بها أولادهم.[1]

ذات مرة أغار الميد على سفن العرب التجارية وجعل الفريقان يقاتلان وفي هذه الأثناء بسط مسافر عراقي كتاب حسابه العريض ورفع يديه إلى السماء وجعل يتلفظ شيئًا بصوت عالٍ فلما رآه الميد امتنعوا عن الحرب وتضرّعوا لذلك المسافر أن لا يفعل كذلك ووعدوا له أنهم يرجعون ولا يأخذون شيئًا منهم ثم جعلوا يقولون فيما بينهم: "وجعل بعضهم يقول لبعض، لا تحاربوا فإنّ القوم قد رفعوا أمرهم إلى ملك السماء والساعة يغلبونا ويقتلونا".[2]

ولم يزالوا يقولون فيما بينهم حتى قبض المسافر كتابه فرجعوا.

والسبب في الخوف من المسلمين أنه ربما ضيمهم وصبرهم كانا يسبّبان في عواقب شديدة فيقول ملّاح موثوق به إنه توجّه من سيراف إلى الهند وأركب رجلًا بسبب وساطة من أشخاص آخرين، وخلال الرحلة شاجر عربيًا واتهمه بأنواع من التهمة، ولكن العربي لم يقل شيئًا لأنه لم يكن له نصير ولا ظهير: "كان عربيًا لم ينصره أحدٌ ولم يعاونه".

لم تمض على هذا ثلاث ساعات إذ وثب سمك كنعدة من البحر على المركب ومزّق بطن المتهِم ثم رجع إلى البحر فألقى الركاب نعشه في البحر.[3]

أثر التقوى وحسن المعاملة: ولقد تقبل عامة الهند وخاصتها المسلمين بسبب

---

[1] أخبار الزمان، ص 41

[2] عجائب الهند، ص 10

[3] المصدر نفسه، ص 36

تقواهم ومعاملتهم الحسنة، وكان الهنود يعتبرون قولهم وفعلهم شهادتين فيقول ابن حوقل: لقد لقيت بجنوب الهند مسلمين اتصفوا بالتقوى والصلاح فيجعلهم غير المسلمين شهداء في قضاياهم أمام المحكمة ولا يعترض الخصم على حق شهادتهم، وصحة قولهم، وعلى شهادتهم يفصل عن الأمر.[1]

مشيرًا إلى كثرة الأفاعي بكولم ملي (في ميسور) قال بزرك بن شهريار إنّ ملّاحًا ذكر لي أنّ مسلمًا يشتهر هنا ببنجي (أو بانكي) وهو يصلّي بالناس، إنه يعرف رقية الأفعى وكذا يعرف الآخرون من هذه المنطقة رقية الأفعى ولكن رقية هذا الإمام تشفي الأسلم فيحمل الناس الأسلم إليه ويشفيه.[2]

فإن ارتكب مسلم أحيط بجوّ فاسد، عملًا سيئًا فيحقّره المجتمع ويقول له إنّ هذا السوء لا يليق بمسلم، يقول ابن رستة: "من رأوا من أهل الإسلام يشرب الشراب فهو عندهم خسيس لا يعبؤون به ويزدرونه ويقولون هذا رجل ليس له قدر في بلاده".[3]

حالة بعض مناطقها الخلقية سيئة للغاية وقد فسدت قلوبهم وساءت أخلاقهم فيمنع العرب شبابهم أن يدخلوها فقد ذكر أبو زيد السيرافي أحوال بعض مناطق جنوب الهند أنّ الفحشاء عمّت رجالهم ونساءهم حتى يدعو بعض تجّار البحر فتيات بعض الكبار وهن يلبّين دعوتهم على الرغم من علم آبائهن عن الأمر ثم قال: "وكان مشائخ سيراف يمنعون من الجهاز إلى هذه الناحية، وخاصة الأحداث".[4]

لم يزل تقليد "ديّوثي"[5] يعمّ في الهند منذ عصر أكبر فقد كتب الملّا عبد القادر

[1] ابن حوقل، ص 228 بالإحالة إلى "هندوستان هزار سال پهلے" (الهند قبل ألف سنة)
[2] عجائب الهند، ص 90
[3] الأعلاق النفيسة، ص 133
[4] رحلة أبي زيد، ص 125-126
[5] رحلة سليمان التاجر، ص 45

البدايوني في كتاب "نجات الرشيد" (تأليف 999هـ): "حتى اليوم يوجد هذا التقليد لدى بعض هندوس الهند في بعض المناطق".[1]

ولأجل شدة الحذر في هذا الشأن كان غير المسلمين يعترفون بعفة المسلمين وعصمتهم وكانوا يثقون بهم.

امتزاج حضارة العرب بحضارة الهندوس: ولأجل اختلاط المسلمين بالهندوس تأثر كل واحد منهما بحضارة الآخر وتشابهوا في العديد من الأمور فقد بلغ الإسلام وأتباعه سرنديب منذ الخلافة الراشدة كما كان بها أتباع الأديان الأخرى وكانوا يعقدون جلساتهم الدينية والعلمية التي كانت على طراز جلسات علماء الإسلام والمحدّثين العظام وكانت تذكر فيها الروايات الدينية وأخبار الأئمة كذكر الأحاديث والسير فيقول أبو زيد السيرافي:

"ولملك هذه الجزيرة شريعة ومشائخ لهم مجالس كمجالس محدّثينا، يجتمع إليهم الهند، فيكتبون عنه سير أنبيائهم وسنن شرائعهم".[2]

كان ملك بلهرا يهدي إلى الوفود إليه وحواشي بلاطه كما كان الخلفاء والأمراء العرب ينعمون على من يفد إليهم فقال سليمان التاجر: "وهو ملك يعطي العطاء كما تفعل العرب".[3]

بل كان ملك بلهرا يعطي الجنود من بيت المال الحكومي كعادة خلفاء الإسلام وأمرائه فيقول المسعودي: "وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم".[4]

كان المسلمون يسكنون جنبًا بجنب الهندوس في كنبايت وبروص وسندان وسوباره وتهانه وصيمور وكانت ملابسهم وأساليب شعرهم سواء فيذكر

[1] نجات الرشيد، ص 243

[2] رحلة أبي زيد، ص 122

[3] رحلة سليمان، ص 45

[4] مروج الذهب، 178/1

الأصطخري: أنّ هناك أريافًا وقرى من كنبايت إلى صيمور فتتشابه ملابس المسلمين والكفار في هذه الديار كما تتشابه طرق شعرهم فيلبسون الرداء والإزار لشدة الحرارة" وقال عن أهل ملتان: إنّ ملابسهم رداء وإزار وأما الحكّام ما وراءها فملابسها قميص إلا أنّ تجّار العرب ملابسهم رداء وقميص كعادة أهل فارس والعراق".[1]

الهند وأهلها كما يراهما المسلمون: حتى هنا سمعتم قصة معاملة الهنود الحسنة مع المسلمين من محبتهم لهم وإكرامهم والعدل بينهم وحريتهم الدينية والتحمل الديني والأمن والسلام والآن نقصّ لكم انطباع العرب والمسلمين عن الهند وأهلها وحسن معاملتهم لهما وهكذا نريكم مدى جودة وثبات العلاقة بين الطرفين وأنّ المسلمين كانوا مرتبطين بأهل الهند حضارة واجتماعًا وفكرة وخاطرًا.

فأولًا نقدّم انطباعات المؤرخين والرحالة والعلماء العرب عن الهنود وقد اعترفوا بعلومهم وفنونهم وأفكارهم ونظرياتهم وأخلاقهم وسياستهم وحسنهم وجمالهم ثم نذكر لكم الأمثة على تلك:

كتب اليعقوبي عن علوم الهند وفنونها وحكومتها فذكر أنّ الهنود أسبق الأمم في العلم والحكمة، وأقوالهم ونظرياتهم عن النجوم أصحّ وقد استخرج من كتابهم "السندهند" العلوم التي توجد في إيران ويونان، وكذا طبّهم أرقى ولهم كتاب في هذا الفن وهو كتاب سسرد الذي ذكر فيه أعراض الأدواء وأدويتها وكذا لهم "كتاب شرك" و"كتاب بذان" وهما ذكرا أعراض 404 داء. كتاب سندهشان أيضًا في الطب ولهم كتاب آخر ذكر فيه اختلافات الهنود والروم التي توجد لدى حكمائهما وأطبائهما عن حرارة الأدوية وبرودتها، وآثارها وفصول السنة كلها، ولهم كتاب آخر عن أسماء العقاقير ففيه عشرة أسماء لكل عقّار ولهم كتب أخرى غير هذه في الطب والعقاقير.

[1] مسالك الممالك، ص 177

مذهب الهنود البرهمنية ومنهم من يعبد الأصنام، الهند دولة واسعة الأطراف فلكل بلد ملك ففي زماننا (نحو 250هـ) الملك الذي كان يحكم على المنطقة المجاورة لدار الإسلام (الهند المحتلة من قبل الدولة العباسية) كان يسمّى "وانق".

هذه مملكة واسعة ويكثر فيها كلّ شيء ثم يأتي الملك رهمي الذي هو ملك عظيم ومملكته تمتد على المناطق الساحلية، يوجد بها الذهب والمعادن الأخرى الثمينة ثم يأتي الملك بلهرا ثم ملك كم كم (كوكن) التي تصدّر الساج، هذه منطقة واسعة للغاية، ثم تأتي مملكة الملك طافن، أهلها بيض ثم مملكة كنباية ومملكة طرسول ومملكة موشة ومملكة مايد. هذه الممالك كلها مجاورة للصين وهي تحارب الصين دائمًا.

وكذا هناك ممالك سرنديب وقمار والديبل وفارلط وبيلمان وتحكم بعض المناطق المرأة.[1]

لقد أحصى القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي الهنود من سبعة أقوام العالم القديمة في كتابه "طبقات الأمم" ووضعهم على درجة أولى للعلوم والفنون قائلًا: هؤلاء كثير عدّهم، لديهم كثرة كل نوع من الأسباب، الهند دولة كبرى للغاية، اعترف بفضلها العلمي كافة أقوام العالم القديمة، فيرى ملوك الصين أنّ في العالم خمسة ملوك وأما البقية فيطيعون لهم، ومنهم ملوك الصين والهند وتركيا وفارس والروم فسمّوا ملك الهند "ملك الحكمة" فكانت هذه الدولة تعتبر لدى كافة أقوام العالم مصدر الحكمة وينبوع العدل والسياسة فللهنود أحكام راجحة وآراء فاضلة وأمثال سائرة ونتائج غريبة ولطائف عجيبة، ولو أنّ لونهم على درجة أولى للسواد ولذا فهم يعدّون من الأمم السود ولكن الله صانهم من دناءة عادات السود وحماقة أفكارهم وفضّلهم على كثير من الأمم البيض ويرى بعض علماء النجوم أنّ زحل

[1] تاريخ اليعقوبي، 94/1

وعطارد الكوكبين الفطريين يتعلقان بالهند أصلًا فبالتأثر بزحل اسودّت جلود الهنود ولتأثير عطارد صقلت عقولهم وكذا سبّب زحل في صحة وعمق أفكارهم وآرائهم، فطبائع الهنود صفوة وعقولهم سليمة فهم مختلفون في هذا الشأن عن الأمم الأخرى السود أمثال الزنج والتوب والحبش ولذا فقد وجدوا نصيباً وافراً من الحساب والهندسة وحركات النجوم وأسرار الفلك وغيرها من علوم الرياضة وكذا هم أسبق الناس في الطب ولهم بصارة أكثر بآثار الأدوية وقواها ولهم مهارة وحذاقة في طبائع المولدات وخواص الموجدات وملوكهم لهم معاملة حسنة وعادة جميلة وسياسة تامة.[1]

وهناك مؤرخ وجغرافي أندلسي يسمّى أبو حامد الغرناطي (محمد بن عبد الرحيم) يقول في كتاب "تحفة الألباب" إنّ الهند والصين بلدان كبيران، يتوفر فيهما العدل والنعم والسياسة الجيدة والأرزاق المستقلة. أهلهما لا يخافون بسبب السلام. وأهل الهند لهم اليد الطولى في الطب والنجوم وعلوم وفنون الهندسة والصناعات العجيبة ولا يسبقهم أحد غيرهم.[2]

وقال الجاحظ في "رسالة فخر السودان على البيضان": "وأما الهند فوجدناهم يقدمون في النجوم والحساب، ولهم الخطّ الهندي خاصة، ويقدمون في الطبّ، ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء خاصة. ولهم خرط التماثيل ونحت الصور بالأصباغ تتخذ في المحاريب وأشباه ذلك. ولهم الشطرنج، وهي أشرف لعبة وأكثرها تدبيرًا وفطنة. ولهم السيوف القلعية، وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضربًا بها. ولهم الرُّقى النافذة في السموم وفي الأوجاع. ولهم غناءٌ معجب. ولهم الكنكلة، وهي وترٌ واحدٌ يمد على قرعةٍ فيقوم مقام أوتاد العود والصنج. ولهم ضروب الرقص والخفة، ولهم الثقافة عند الثقاف خاصة، ولهم مغرفة المناصفة، ولهم السحر والتدخين والدمازكية. ولهم خطٌّ جامعٌ لحروف اللغات، وخطوطٌ أيضًا كثيرة، ولهم شعرٌ كثير وخطب

---

[1] طبقات الأمم، ص 100-114

[2] تحفة الألباب، ص 49

طوال، وطبٌّ في الفلسفة والأدب. وعنهم أُخذ كتاب كليلة ودمنة. ولهم رأيٌ ونجدةٌ، وليس لأحد من أهل الصبر ما لهم. ولهم من الزِّيّ الحسن والأخلاق المحمودة مثل الأخلّة والقرن والسواك، والاحتباء، والفرق والخضاب. وفيهم جمال وملحٌ واعتدال وطيب عرق. وإلى نسائهم يضرب الأمثال. ومن عندهم جاءوا الملوك بالعود الهندي الذي لا يعدله عود. ومن عندهم خرج علم الفكر، وما إذا تكلم به على السم لم يضر. وأصل حساب النجوم من عندهم أخذه الناس خاصةً. وآدم عليه السلام إنما هبط من الجنة فصار ببلادهم".[1]

وكتب أبو منصور الثعالبي في "ثمار القلوب في المضاف المنسوب" أنّ سحرة الهند يضرب بهم المثل، سحرهم ورقيتهم وعلاجهم بالدخان وحسابهم ونجومهم ونحتهم مثل الخطابة والشعر والبناء لدى العرب والسياسة والعمارة لدى أهل فارس والعلوم الأخرى لدى أقوام العالم.[2]

ذات مرة أمر الخليفة أبو جعفر المنصور إسماعيل بن عبد الله بتوفير المعلومات عن أقوام العالم فقال لهم عن الهند: أهل الهند حكماء وفلاسفة، بلدهم يكفيهم فيستغنون عما يجاوزرهم.[3]

سئل عبد الله بن المقفع عن أهل الهند فقال: أهل الهند أصحاب فلسفة.[4]

هذه بعض الأمثلة لتأثر العرب والمسلمين بالهنود وهي تدلّ على أنّ المسلمين كانوا يكرمون الهنود وكانت لهم انطباعات جميلة عنهم.

والآن نذكر بعض صفات وتجارب الهند في ضوء ما أشار إليه المسلمون ثم نقدّم أمثلة لحسن معاملة المسلمين معهم:

حبّ الوطن لدى الهنود: محبة المرء وعلاقته بوطنه عاطفة فطرية له فيرى العرب

---

[1] رسائل الجاحظ، 224/1

[2] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص 237

[3] تاريخ الطبري، 71/8

[4] بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، 155/1

أنّ من لا يحبّ وطنه ولا يتصل به لا يرجى منه محبة الآخرين حتى قيل "حبّ الوطن من الإيمان". كان العرب يعرفون جيدًا عاطفة الهنود لحبّ الوطن وكانوا يراعون ذلك في كل خطوة، يقول أبو هلال العسكري: "وقالت الهند: حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لأنّ غذاءك منهما وغذاءهما منك".[1]

الاعتراف بالسلام والعدل في الهند: كان الزط والميد في الهند آفة دائمة للتجّار والمسافرين وكانوا يغيرون في البر والبحر وعلى هذا فقد عاقبهم الخلفاء والأمراء مرارًا وتكرارًا وبالرغم من ذلك فقد يضرب المثل بسلام وعدل بعض ملوكها ولقد اعترف العرب بهم وأثنوا عليهم في كتبهم وذكرياتهم فمثلًا أنّ ابن رستة يمدح الأمن والسلام في بلد ملك الجزر بالكلمات التالية: "العدل في مملكته مستفيض لو طرح الذهب في وسط الطريق ما خافوا عليه أحدًا يأخذه من عدلهم".

ثم قال إنّ مملكته واسعة فيلتقي التجّار العرب لحرفتهم فيحسن إليهم ويشتري منهم سلعهم ثم يقول العرب مودعين له: بفضلكم أرسلوا معنا أحدًا من رجالكم لكي نبلغ غايتنا آمنين فيردّ عليهم الملك: إنّ بلدنا خالٍ من القطاع فاذهبوا وإن أصبتم بشيء فأنا أكفل بكم.

وكذا صرّح ابن رستة عن عدل ملك قمار فقال: "ولملك قمار ثمانون قاضيًا لو ردّ عليهم ولد الملك لأنصفوا منه وأقعدوه مقعد الخصم".[2]

وكتب سليمان التاجر عن ملك الجزر في زمانه أنه بالرغم من اعترافه بأنّ ملك العرب (خليفة المسملين) هو أكبر ملك إلا أنه عدوّ لدود للإسلام، ولكنه مع ذلك أثنى على الأمن في بلده فقال: "وليس في بلاد الهند آمنُ من السرق منها".[3]

الحسن والجمال لدى أهل الهند: لم تكن الهند مجرد أرض السحر لدى

---

[1] ديوان المعاني، 188/2

[2] الأعلاق النفيسة، ص 133، والروض المعطار في خبر الأقطار، 472/1

[3] رحلة سليمان التاجر، ص 28

المسلمين بل كانت مدينة الحسن والجمال كذلك، فكانوا ينجذبون إلى أهلها، فاعتدال قامتهم وتوازن أعضائهم وصباحة وملاحة وجوههم وجذب ألوانهم كانت أوصافاً فطرية أمالت إليها قلوب العرب فكانوا يذكرونها مفتونين ومولعين وكانوا يستمتعون بذكرها.

فكانت عبيدهم وإماؤهم محبوبين لدى العرب وكانوا يكتبون مؤلفات في أوصافهم فقد ألّف الطبيب أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي كتّاباً في وصف العبيد والإماء يسمّى "رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد" فقد جاء فيه أنّ من يشتري العبيد لصيانة النفس والمال فليشتر من الهند أو النوبة، ثم ذكر أوصاف إمائها بعناوين مستقلة مثل "الإماء الهنديات" و"الإماء السنديات" و"الإماء القندهاريات" و"الإماء المنصوريات" فقال في الإماء الهنديات: إنّ أجساد أهل جنوب شرق الهند متوازنة وسمراء ووجوههم ضاربة إلى الصفرة ولهم نصيب وافر من الحسن، أجسادهم لطيفة ومكتنزة إلا أنها تسرع إلى سن العجوز، ولهم حظ وافر من المحبة والوفاء بالوعد والشعور بالصيانة والفراسة والغيرة، إنهم يحمون أنفسهم، لا يصبرون على الذل ولا يخافون الموت، فإن غضبوا فلا مانع لهم عن الإقدام، نساؤها يصلحن للتوالد ورجالها يحمون أنفسهم وأموالهم ولهم حنك في الصناعات الرقيقة إلا أنهم يصيبهم الزكام بسرعة.

وإماء المنطقة الوسطى بين جنوب الهند وشرقها يعرفن بالسنديات وبما أنّ هذه المنطقة مجاورة للهند فتتساوى السنديات والهنديات في الأوصاف: "غير أنّ نساءهم ينفردن بدقة الخصور وطول الشعر".

والقندهاريات يعادلن الهنديات "ولهن فضيلة على كل النساء، فإنّ الثّيب منهن مفقود كالبكر الصفراء، المولّدة تنسب إلى أبيها وأمها، وتمزج بينهما فأخلاقها مركبة منهما".

وكذا وصف ابن عبدون المنصوريات أي إماء المنصورة[1] ولقد ذكر الجاحظ جمال وملاحة الهنود في رسالته "فخر السودان على البيضان" كما يلي:

"ولهم من الزيّ الحسن والأخلاق المحمودة وفيهم جمال وملح، واعتدال وطيب عرق وإلى أنسابهم يضرب الأمثال".[2]

ولقد ذكر التجّار والرحالة الواردون إلى الهند حسنها وجمالها فقال سليمان التاجر وهو يذكر ملك طافن ودولته إنّ نساءها بيض وهن يعتبرن أحسن وأجمل نساء الهند.

ولقد اشتهر أهل كشمير لدى العرب في حسنهم وجمالهم بأنهم أجمل خلق الله وأنّ نساءهم يضرب بهن المثل في حسنهن فقامتهن تامة، وصورتهن مناسبة تمامًا وشعرهن طويل وكثيف فأمة كشميرية تباع لمئتي دينار أو أكثر.[3]

ولقد ذكر ابن رستة ثروة طافن وخصوبته وحسنه وجماله بأسلوب ممتع للغاية بأنّ أهله سمر كما فيهم رجال بيض ويحويهم الحسن والجمال، والعبيد من هذا البلد يبلغون من الحسن حيث يفقد نظيرهم في البلاد المجاورة.[4]

وكتب المسعودي عن نساء بلد الملك طافن أنّ نساءه أجمل النساء في الهند. وأنهن مشهورات لخلائهن، وهن مذكورات في كتب الباه ويشتريهن تجّار البحر ومسافروه برغبة وشوق، وهن معروفات باسم "طاقبيات".[5] وكتب سليمان التاجر عن أهل ملك كاشبيين أنهم بيض ويحويهم الحسن والجمال، والحال أنهم من سكّان الميدان والجبال.[6] وكتب المسعودي أنّ رجاله

[1] رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق والعبيد، 1/372-373 و376

[2] رسائل الجاحظ، 1/224

[3] معجم البلدان، 7/94

[4] الأعلاق النفيسة، ص 135

[5] مروج الذهب، 1/180

[6] رحلة سليمان التاجر، ص 132

ونساءه يتصفون بالحسن والجمال.[1]

وكتب ابن رسته عن أهل منطقة أرمن أنّ الحسن من سماتهم وأنهم يزوّجون أولادهم في الطفولة ظانين أنّ هذا يمنعهم عن الفحشاء.

كان حسن الهند وجمالها هذا فتنة كبرى ولم يكن الحجاب رائجًا فيهم مما زاد الطين بلة، ولا يعيب ملوكها الزنا سوى ملك قمار، فقد كان غيورًا وكان يحكم بالقتل على مَنْ زنا أو شرب الخمر، وكانت هناك خانات لمن يردها، بني فيها أحقاب، وكان بعض المعابد الهندوسية يمتلك فتيات جميلات كنذر، وكان دخلهن يصرف في المعابد كما ذكر ابن رستة وسليمان التاجر وأبو زيد السيرافي، وهذا كله لأجل تلك الفتنة كما قال أبو زيد السيرافي:

"وكان مشائخ أهل سيراف يمنعون من الجهاز إلى هذه الناحية وخاصة الأحداث".[2]

وكتب الجاحظ أنّ طلب الرجال في نساء الهند شديد، ولذا بني بها الأحقاب ثم فصّل السبب وراءه.[3]

وعلى الرغم من لفت حسن الهند وجمالها لقلوب المسلمين فلا خاضوا فيه ولا علق فؤادهم بإحداهن بل صانوا عرضهم عن كل نوع من العيوب، ولقد فصّل أبو زيد السيرافي أحقاب الهند ثم قال في نهايته: "والله جلّ وعزّ نحمده على ما اختار لنا وطهّرنا من ذنوب الكفرة".

خصائص النساء الهنديات: وعلاوة على الجذب الساحر من جمالهن كانت نساء الهند مشهورات في الموسيقى، والأمور المنزلية، وتربية الأطفال، والتوالد والتناسل، وكان المسلمون داخل الهند وخارجها يتزوّجون بهن، فقال الطبيب أحمد بن حمدون البغدادي في رقيق الهند وإمائها: "نساؤهم

---

[1] مروج الذهب، 172/1

[2] المسالك والممالك، ص 66 ورحلة أبي زيد، ص 32

[3] ثمار القلوب، ص 297 و303 و338

يصلحن للتوالد".[1]

وقال الجاحظ إنّ من مفاخر الإماء الهنديات حسن الخلق، وجمال اللحن، وجودة الصوت وكذا أنهن ماهرات في طبخ كل أنواع من المأكولات:

"ومن مفاخر الزنج حسن الخلق وجودة الصوت وأنك لتجد ذلك في القيان إذا كنّ من بنات السند، وخصلة أخرى أنه لا يوجد في العبيد أطبخ من السند، وهو أطبع على طيب الطبخ كله".[2]

ولأجل هذه الصفات كانت نساء الهند مقبولات ومحبوبات في العرب فقال المسعودي عن أحياء صيمور وضواحيها المجاورة لمومبائ إني رأيت بها نحو عشرة آلاف مسلم من البياسرة والسيارفة والعمانيين والبصريين والبغداديين وغيرهم من العرب فقد تزوّجوا في هذه المناطق وتأهلوا ومنهم تجّار كبار ثم قال: "ومعنى قولنا البياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند، يدعون بهذا الاسم واحدهم بيسر وجمعهم بياسرة".[3]

فالبياسرة جيل تولد من زوجة هندية وزوج عربي ويكونون أجمل نسل، فقد أشار الجاحظ في "كتاب الحيوان" إلى أنّ جمالهم نتيجة اختلاط اللون والنسل، والمسلمون الذين توطنوا بسواحل غوجرات والكوكن تزوّجوا من النساء الهنديات فتوالدوا ولذا نجد فيهم حسناً مختلطًا من العرب والهند.

كانت نساء الهند وإماؤهن مرغوبًا فيهن لدى العرب وكان أهل البصرة مفتونين بهن فقال الجاحظ:

"إنّ أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات".[4]

---

[1] رسالة نافعة لفنون جامعة، ص 373

[2] رسائل الجاحظ، 224/1

[3] مروج الذهب، 210/1

[4] رسائل الجاحظ، 215/1

الهنديات يراد بهن المرأة الهندية وبنات الهنديات يراد بهن النساء اللاتي آباؤهن عرب وأمهاتهن هنديات فحسنهن المختلط بالعرب والهند يأسر قلوب العرب.

رأي حكماء الهند عن المرأة وعشقها: لقد وجد العرب حسن نساء الهند وصفاتهن موافقة لذوقهم اللطيف وفتنوا بهن ولكن من العجب أنّ حكماء الهند وعلماءها قد عرضوا نظرية مضادة لهم واعتبروا المرأة أحقر مخلوق. فكتب أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيي الوشاء في "كتاب الموشى والظرف والظرفاء" إنه "قد بلغنا أنّ ببعض بلاد الهند قومًا لا يعشقون، ويرونه من السحر والجنون، وذلك لمن فيهم الفلسفة، ولهم الحكمة والتجربة، وزعموا أنّ سبب العشق سبب النوى وفيه المذلة والعناء، ومنه يكون السقم والضنى، وأكثر من في النساء وفاءً، أسرعهن خيانة وجفاءً، وأعطاهن حلفًا وإيمانًا، أسرعهن خبثًا وسلوانًا".[1]

حسن الهند وجمالها الطبيعي والفطري لدى الشعراء العرب: وعلاوة على حسن الهند الفطري كانت مناظرها البديعة الجذابة تمتاز بمكانة في نسيب شعراء العرب فعنصر "الهنديات" له لون جمالي فلنقرأ بعض الأمثلة: يقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

هبّت رياح من جانب السند ... فقلت لها يا بردها على كبد
جاء بريّا الحبيب يحملها ... من بلد نازح إلى بلد[2]

مندل وقمار منطقتان في الهند يشتهر عودهما (العود المندلي والعود القماري) لجودتهما ورائحتهما وحلاوتهما فقد رفع ابن هرمة هاتين المنطقتين من الهند إلى العرب لأخيلته الشعرية فقال:

أحبّ الليل، أنّ خيال سلمى ... إذا نمنا ألمّ بنا قرارا

[1] الموشى والظرف والظرفاء، ص 169-170
[2] ديوان الحماسة لابن الشجري، ص 168

كأن الركب إذ طرقتْك باتوا بمندل أو بقارعتي قمارا[1]

وذكر شاعرٌ العودَ الهندي بدلال حبيبه كما يلي:

إذاما مشت نادى بما في ثيابها ذكيّ الشذا، والمندلي المطيّر[2]

وكان عود الهند الكلاهي مشهورًا في جودته فذكره أبو العباس الصفري مع حبيبه كما يلي:

لها أرج يقصّر عن مداه فتيت المسك والعود الكلاهي[3]

ولقد طلب ابن مطران شهابًا مضلّعًا مستديرًا من العود الهندي ممن مدحه كما يلي:

يا أكرم الأكرمين سيرة نعم، وأزكاهم سريرة

ومن بهمّاته العوالي أضحت عيون العلا قريرة

لتر مني راحتاك شهبًا مضلّعات مستديرة

بلاد مجموعها ثلاث الهند، والترك، والجزيرة[4]

وذكر شعراء العرب سيوف الهند عامة بمناسبة الحرب والقتال ولكن بعض أصحاب الذوق استخدموا التشبيهات والكنايات وشبّهوا عيون الحبيب الفتّانة بهذه السيوف وحوّلوها من ساحة الحرب إلى ساحة الحبّ والعشق فيقول أبو محمد الخازن:

هند ترى بسيوف مقلتها ما لا ترى بسيوفها الهند

حتى قال الصاحب بن عباد:

أجفان هند كسيوف الهند[5]

---

[1] معجم البلدان، 158/7

[2] المصدر نفسه، 174/8

[3] المصدر نفسه، ص 273

[4] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص 533

[5] المصدر نفسه، ص 534

ورسم شاعر شهير من همدان محمد بن بشار الهمداني خصوبة أرض وطنه همدان وجبله أَرْوَنْدْ وخضرتهما الفتانة في الربيع ثم ذكر طيور الهند الجميلة وأصواتها الجميلة فليقرأ الأدباء وليتمتعوا بقوله:

تزيّنت الدنيا وطاب جنابها ... وناح على أغصانها ورشانها
وأمرعت القيعان واخضرّ نبتها ... وقام على الوزن السواء زمانها
وجاءت جنود من قرى الهند لم تكن ... لتأتي إلا حين يأتي أوانها
مسوّرة دُعُجُ العيون كأنما ... لغات بنات الهند تحكي لسانها
لعمرك ما في الأرض شيء نلذّه ... من العيش إلا فوقها همدانها[1]

ولو جمعنا أشعار العرب عن الهند وإنتاجاتها لأعددنا كتابًا ضخمًا عن الهند واكتفينا هنا بطرف منها كنموذج.

النكاح والتوالد: ولقد بدأت سلسلة النكاح ثم التوالد بين العرب والهنود منذ العصر الأموي ومن تولدّ نتيجة اختلاط النسلين سمّي "بيسرة" (جمعه "بياسرة") ولقد برز من هذا النسل المحدّث الشهير يزيد بن عبد الله البيسري ولما جاء العصر العباسي اتّسع نطاق هذا الزواج فتزوّج مسلمو الهند والعرب بفتيات الهند، وتولد من هذا الاختلاط نسل البياسرة الوسيم وكذا وصلت الإماء من الهند إلى قصور الخلفاء ودور الأمراء والأغنياء وأصبحن أمهات الأولاد.

ولقد تزوّج المسلمون من الهنديات في دار الكفر الهندية والتي كانت بعيدة عن دار الإسلام في السند ومكران لاسيما التجّار العرب الذين أكثروا الزواج من هؤلاء الهنديات فبدأت سلسلة جيلهم المختلط. زار المسعودي مومبائ بعدما مضى على العصر العباسي أكثر من خمسين سنة في 303هـ أو 304هـ فرأى بها نحو عشرة آلاف تاجر عربي توطنوها مهاجرين من مختلف مناطق

[1] معجم البلدان، 209/1

العالم العربي وكان عدد البياسرة منهم كثيرًا.[1]

نرى أنّ التجار العرب قد سهل لهم الزواج من نساء الهند أو هن أيضًا كنّ يسلمن فيتزوّجن من هؤلاء العرب فيقول أبو زيد السيرافي وهو قبل المسعودي إنّ تجار البحر يطلبون فتيات الأشراف من الهند إليهم وهن يستجبن لدعوتهم على علم من آبائهن عن هذا الفعل ولذا فكان مشائخ سيراف يمنعون أولادهم عن الدخول في تلك المناطق.[2]

فيبدو من ذلك أنّ المرأة التي أسلمت للزواج من عربي لم ينكر فعلها هذا.

والدولة التي توطنها المسلمون في تلك الفترة تزوّجوا فيها وتأهلوا، واعتبروا أنفسهم مواطنيها، ربّوا أولادهم فيها. وحالهم في الهند لم يكن مختلفًا. ولقد اختلط العرب بالعجم في تلك الفترة إلى حد رفع الصوت ضد فعلهم هذا فيعير شاعر، اسمه بجير، العربَ على فعلهم هذا ويقول:

زعمتم بأنّ الهند أولاد خندف ... وبينكم قربى وبين البرابر

وديلم من نسل ابن ضبة باسل ... وبرجان من أولاد عمرو بن عامر

فقد صار كل الناس أولاد واحد ... وصاروا سواء في أصول العناصر

بنو الأصفر الأملاك أكرم منكم ... وأولى بقربانا ملوك الأكاسر

أ تطمع في صهري دعيًّا مجاهرًا ... ولم تر سترًا من دعيّ مجاهر

وتشتم لومًا رهطه وقبيله ... وتمدح جهلًا طاهرًا وابن طاهر[3]

التعامل الحسن مع غير المسلمين: كما أحسن ملوك الهند وشعوبها إلى المسلمين المحليين والتجّار العرب وأحبّوهم وأكرموهم ردّ عليهم المسلمون بخلقهم الإسلامي وتقبلوهم في داخل الهند وخارجها ولم يأل أيّ جهد في إكرامهم والإحسان إليهم.

---

[1] مروج الذهب، 210/1

[2] رحلة أبي زيد، ص 125-126

[3] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 168/1

وقد سبق أنّ التجّار العرب قدّموا هدايا ثمينة إلى ملوك الهند فردّ عليهم الملوك بأحسن منها وحينما كان الهندوس يزورونهم لسبب أو آخر فكان هؤلاء العرب يضيّفونهم ويكرمونهم معتنين بأذواقهم وتقاليدهم فيقول أبو زيد السيرافي إنّ من الهندوس مَنْ لا يأكل مع غيره في إناء واحد، ولا يجلس في مأدبته. وحينما يزورون سيراف ويدعوهم تاجرها الغني على مأدبة فيضع أمام كلّ منهم إناء على حدة يأكلون فيه وربما يزهو عددهم على المئة فيوضع أمام كلّ منهم إناء خاص.[1]

[1] رحلة أبي زيد، ص 146

التجارة بين العرب والهند

كانت تجارة المسلمين تسيطر على العالم لحضارتهم وثقافتهم، وكانت الطرق البرية والبحرية موطأة بالقوافل التجارية ليل نهار فكان المسلمون يسافرون بسلعهم التجارية إلى أوربا في الغرب ويصلون إلى الأندلس، وفي الشرق يبلغون الصين، وفي الشمال ينتهون إلى القسطنطينية، وأما في الجنوب فوصلوا إلى إفريقيا. فكان تجّار هذا العصر يحملون السلع التجارية من الدول الغربية ويأخذون طريق البحر ويصلون إلى فرما على قرب من مصر ثم كانوا يقطعون طريق البر لخمسة وعشرين فرسخًا حيث يقع نهر السويس الآن ثم يدخلون بحر القلزم (البحر الأحمر) ويتوجهون نحو بلاد الشرق فيصلون إلى جار ميناء المدينة المنورة وجدة ميناء مكة المكرمة ثم يبلغون الصين عن طريق السند والهند ثم يرجعون من هذه الطرق فيبلغون بحر قلزم ويتوجهون نحو بلاد الغرب عن طريق فرما. وفي بعض الأحيان يبلغون القسطنطينية بدلًا من أوربا، وفي بعض الأسفار يصلون إلى بغداد عن طريق الفرات مارّين بالشام وأنطاكية ثم يأخذون طريق عمان ويبلغون السند والهند والصين. وأما تجّار ما وراء النهر فكانوا يبلغون الأندلس ومن ثم إلى إفريقيا ومصر ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والأهواز وفارس وكرمان والسند والهند والصين عن طريق طنجة.

التجارة البحرية وطرق الهند البحرية: يعتبر سليمان التاجر رحّالة وتاجرًا شهيرًا من ذلك العصر، وكان يسافر من العرب إلى الهند وقد فصّل طرق البحر هكذا: "والمسافة بين البصرة وسيراف في الماء مئة وعشرون فرسخًا، فإذا عُبِّيّ المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا إلى موضع يقال له مسقط وهو آخر عمل عمان والمسافة من سيراف إليه نحو مئتي فرسخ وفي شرقيّ هذا البحر فيما

بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق وجزيرة ابن كاوان. وفي هذا البحر جبال عمان وفيها الموضع الذي يقال له الدردور، وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية. وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير، وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير، فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان فنستعذب الماء من مسقط من بئر بها ... فتخطف المراكب منها إلى بلاد الهند وتقصد إلى كوكم ملّي، والمسافة من مسقط إلى كوكم ملّي شهر على اعتدال الريح. وفي كوكم ملّي مَسلحة لبلاد كوكم ملّي تجبي السفن الصينية وبها ماء عذب من آبار. فتأخذ من الصينية ألف درهم ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير إلى دينار. وبين مسقط وبين كوكم ملّي وبين هركند نحوٌ من شهر وبكوكم ملّي يستعذبون الماء. ثم تخطف المراكب إلى بحر هركند، فإذا جاوزوه صاروا إلى موضع يقال له لنج يالوس ... ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كلاه بار... ثم تسير المراكب إلى موضع يقال له بتومة ... والمسافة إليها عشرة ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كَدرَنج عشرة أيام وفيها ماء عذب لمن أراده ... ثم تسير المراكب إلى موضع يقال له صنف مسيرة عشرة أيام ... منها خطفوا إلى موضع يقال له صندوفولات (سنغافورة؟) ... ثم تخطف المراكب إلى بحر يقال له صنجي ثم إلى أبواب الصين".[1]

هذا تفصيل المرور خارج الهند وأما المرور في داخل الهند بحراً وبرًا فيفصّله ابن خرداذبة: تأتي ثارا بعد قطع مسافة سبعة أيام من جزيرة ابن كاوان. وثارا حدّ فاصل بين فارس والسند، تبعد منها الديبل أشهر مدن السند لثمانية أيام ثم يمرّ على نهر السند تأتي أوتكين لبعد أربعة أيام والتي هي أول منطقة للهند بعد السند. ومن هنا ميد على بعد فرسخين ثم كولي على بعد فرسخين ثم

[1] رحلة سليمان التاجر، ص 15-16

تأتي سندان (منطقة مومبائ) على بعد 18 فرسخًا ثم تأتي كلي على بعد خمسة أيام ومن هنا بلين على بعد يومين.

وينقسم طريق البحر من بلين إلى أقسام عديدة ويمر على مدن الشواطئ فبابتن تبعد من هنا ليومين، ومن هنا منجلي وكبتكان على بعد يوم واحد ومن هنا ملتقى نهر غوداوري على بعد ثلاثة فراسخ ثم تأتي كيلكان ولوا وكمنجة كلٌّ على بعد يومين ثم تأتي كامرون ونشين وأبينة.

وسرنديب تبعد من بلين ليوم واحد ثم تأتي جزيرة رامي والجزر الأخرى. ومن يرد الرحلة إلى الصين فليترك بلين وليمش على يسار سرنديب وفي هذا الطريق تأتي جزيرة لنكيالوس على بعد عشرة أيام حتى خمسة عشر يومًا فتقع كله بعد ستة أيام وكذا تقع جزيرة جابة وشلاهط (سلهٹ؟) وهرلج.[1]

كثرة السلع التجارية والتجار في السفن: يمكن تقدير تقدّم التجارة البحرية وكثرة السلع التجارية وازدحام التجّار من أنّ التجار كانوا ينتقلون دائمًا من مكان إلى آخر وكانت العلاقات قائمة بين العرب والهند فقد كتب أبو زيد السيرافي أنّ مناطق الهند معروفة لأنّ مدن كل منهما قريبة من بعض ودائمًا تنتقل الأخبار من بلد إلى آخر، وكان في هرموز تاجر كبير مشهور يدعى الحسن بن عباس وكان له العديد من السفن التي كانت ترد الهند والصين ذهابًا وإيابًا. وكانت الحكومة تنتفع كثيرًا من هذه التجارة، وكان عظيمًا مكرمًا بين الناس إلى حد أنّ رقيقه وخدمه كانوا يضربون الدفوف أمام مسجده خمس مرات، فقد أبلغ خبره بعض الناس ملك كرما محمد بن أرسلان فقال لو ضرب خدم الحسن الدفوف خمسين مرة فلا أمنعه عنه فأكتسب نحو مئة ألف دينار كلّ سنة من ضريبة سفنه التجارية، وأشجّعه على التجارة والانتفاع.[2]

[1] المسالك والممالك، ص 62-66

[2] طيور الأرض، ص 50

يروي تاجر أننا تركنا سيراف لصيمور فخرجت ثلاث سفن كبيرة واحدة بعد الأخرى وكانت تحمل 1200 تاجر وخادم. وأما السلع التجارية فلن يمكن تقديرها وبعدما قطعنا أحد عشر يومًا برز لنا سندان وصيمور فلم نجد مثلًا لهذه السرعة من قبل.[1]

بلغت باخرة من كلة بندر جنوب الهند إلى عمان في 41 يومًا فجنى ملكها ضريبة تلك الباخرة ستمئة ألف دينار وترك سلع العديد من التجّار ولم يأخذ عليها الضريبة والتي كانت تبلغ نحو مئتي ألف دينار، وأما السلع التي أخفوها فلا عدّ لها ولا حصر.[2]

والسفن الصينية التي كانت تنتقل من وإلى سيراف عن طريق الهند كان يركبها تجّار من مختلف البلاد وكان يحمل عليها النفط الحارّ والأسلحة لمواجهة الميد فكل سفينة كانت تحمل 400 تاجر و500 جندي.[3]

وكان يصدر من بندر كلة قدر كبير من العود والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعي والآبنوس والبقم وغيرها من السلع التجارية لدرجة أنّ السفن كانت تختلف من كلة إلى عمان والعكس دائمًا.[4]

وكذا كان قدر كبير من النارجيل يحمل إلى الدول العربية من بعض مناطق الهند فكتب أبو زيد السيرافي أنّ تجّار عمان يدخلون هذه الجزر بالمنشار والمنحت فيقطعون بها أشجار النارجيل ويجفّفونها ثم يجعلون منها الألواح وأخشاب السواري كما يجعلون من قشور النارجيل الحبال ثم يشدّونها بها ثم يصنعون منها السفن ويأخذون أوراق النارجيل المجداف والشراع فيحشونها بالنارجيل ويأتون بها إلى عمان، وتجارتهم هذه نافعة

---

[1] عجائب الهند، ص 165

[2] المصدر نفسه، ص 133

[3] أخبار الزمان، ص 39

[4] المصدر نفسه، ص 40

جدًا فإنها لا تطلب شيئًا من المادة.[1]

السفينة التي تصنع من ألواح القضيب أو الخشب تسمّى "أرماث" بالعربية و"شنان" بالفارسية وفي بعض الأحيان يسمّيها البحارة العرب بشنان والذي يصنعها يقال له "جلفاظ".[2]

قتال قراصنة البحر: كان القراصنة يغيرون على السفن وركابها والتي كانت تأتي من العرب إلى الهند والصين، فكانوا آفة كبرى في هذا الطريق ولذا كان ميد الهند وسيابجتها يوظّفون لحمايتها وهم كانوا يطردون المغيرين بالنفط والنار والنبال فيقول الملّاح إسماعيلويه بن إبراهيم إنه ذات مرة ركبنا الباخرة من كلة إلى عمان ولم نتقدم إلا قليلًا إذ أحاط بنا القراصنة في سبعين سفينة وجعلوا ينهبوننا فقاتلناهم ثلاثة أيام وأحرقنا جماعة منهم وقتلنا الأخرى ثم تقدّمنا.[3]

كان المسافرون والتجّار تحيط بهم ثلاث آفات في خلجان سرنديب: تماسيح البحر، وقراصنة البحر ونمور البر فإن غرقت الباخرة لغارة العدوّ فتبتلع التماسيح المسافرين في ثانية، وإن هربوا إلى الساحل فلا تتركهم النمور، وإن نجوا من هاتين فيأسرهم القطاع ويسلبون أموالهم.[4]

كان التجّار والمسافرون يعانون هؤلاء القراصنة في الهند أيضًا فتارة يختطفهم القطاع ويطلبون ما شاؤوا من الأموال وإلا فيقتلونهم وقد مرّت تفاصيل ذلك.

التجارة البرية وطرق البر: عادة كانت التجارة البحرية تحت سيطرة التجار العرب وأما التجارة البرية فكان العجم يسبقونهم فكان تجّار الصين وصفد والتبت وخراسان وبلخ وبخارا وفارس وسجستان وغيرها من بلاد العجم يحملون إنتاجات

---

[1] رحلة أبي زيد، ص 131

[2] كتاب المعرب للجواليقي، ورق: 44-45 (مخطوط)

[3] عجائب الهند، ص 130

[4] المصدر نفسه، ص 115

بلادهم ويبيعونها في الهند وكذا كانت قوافل التجارة من التبت وخراسان وما وراء النهر يدخلون الهند من فهرج شمال غربي السند وكانوا يمرون بهذه المنازل: فطاهران تبعد من فهرج لعشرة فراسخ، ومنها تقع بارسورجان على بعد 14 فرسخًا ومن هنا نجين على بعد عشرة فراسخ، وثم بلوص تبعد 20 فرسخًا ثم قتربور ثلاثة فراسخ ثم حيشة 10 فراسخ ثم قصدار 10 فراسخ ثم جور 40 فرسخًا ثم سروشان 40 فرسخًا ثم قرية سليمان بن سيمع 48 فرسخًا ومن هنا كان تجار خراسان يذهبون إلى السند والهند فالمنصورة تبعد منها لثمانين فرسخًا ومنها مكران يقع على 358 فرسخ[1] وأما تجار غزنين فكانوا يبيعون في الهند والصين.[2]

واردات الهند: لا نجد ذكرًا مفصّلًا لما كانت تورّده الهند من الأسباب والسلع التجارية من بلاد العرب والعجم وكانت إنتاجات العالم الإسلامي تصل إليها كما تصل إلى غيرها من بلاد العالم ولنقرأ بعض الأمثلة: كانت التمور تصل إلى الديبل من البصرة، وكانت الأحصنة الأجنبية تورّد إلى جنوب الهند، وكان ملك سرنديب يورّد الخمر من العراق، وكان فصوص الزمرد المصري التي كانت ترصّع في الخاتم ترد إلى الهند في علب جميلة، وكذا كان يردها المرجان والدهنج[3] وكان نهر في ما وراء النهر يخرج كثيرًا من الأسماك في موسم خاص وكانت تورّد إلى الهند بعد تجفيفها، وكانت حدائق التين تنمو في كلّ جانب من مدينة مالقة لغرناطة وكان تينها مشهورًا في العالم بأسره وكان يتم توريده في مصر والشام والعراق والهند كما كان الحديد يردها بكميات كبيرة.

يقول أبو زيد السيرافي إنّ الدينار السندي الواحد يباع بثلاثة دنانير في الهند أو أكثر منها.[4]

---

[1] المسالك والممالك، ص 55

[2] معجم البلدان، 411/5

[3] رحلة أبي زيد، ص 146

[4] المصدر نفسه، ص 147

كان العاج يردها من جزر بحر الزنج[1] وكان الحجاز والهند والصين تطلب مرجان الأندلس وكان تجّارها يطلبونها من بحر الأندلس.[2]

صادرات الهند: كتب الجاحظ في "كتاب التبصرة بالتجارة": "جلب من الهند الببور، والنمور، والفيلة، وجلود النمر، والياقوت الأحمر، والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند... زعموا أنّ خير العود الهندي المندلي الذي لا غش فيه، وكلما كان أصلب فهو أجود. وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته. وزعموا أنّ خير العود الهندي الثقيل الوزن الذي يرسب في الماء، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء والخفيف الوزن عندهم ميّت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة. وخير المسك التبتي اليابس الفائح، وأردأه البدي، وغش المسك من الآنك وجند بادستر ودم الأخوين وسياه دارو وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود".[3]

وكتب ابن خرداذبة في المسالك والممالك أن المناطق التالية تصدّر ما يلي: القسط والرمح والخيزران من السند، والساج والرمح من سندان، والفلفل والرمح من ملبي، والقمح والأرز من سنجلي كهشكان ولوا، والفيل والجاموس والبهائم من نشين، والفيل من أمينة، وكل نوع من الياقوت والعود والألماس والفلفل والعطر ومسك زباد والنارجيل والسنباج والبلور والدر والعطور من سرنديب، والعنبر من رامي، والكافور من زابج، والحديد من نكبالوس، والرصاص القلعي، والخيزران والخشب من كلة، والكافور الجيد والموز والنارجيل وقصب السكر والأرز والشلاهط (سلهٹ) من جزيرة بالوس، والنارجيل والموز وقصب السكر والصندل والسنبل والقرنفل من هرلج. وقال في مدنها إنّ ما يلي من الإنتاجات مشهورة مما يلي من المدن: الذهب والملابس من الحرير والعود الهندي من بلاد

---

[1] أخبار الزمان، ص 137

[2] المصدر نفسه، ص 26

[3] التبصرة بالتجارة، ص 22 و33

رهمي، والعود الهندي والكافور من بتومة والعود القماري والأرز من قمار والعود الصنفي والبقرة والجاموس من صنف، والعود والكافور والمافور والجوزبوا والقرنفل والقاقلة والكبابة والنارجيل والأقمشة النباتية والصوفية والحريرية والفيل من مناطق سواحل الهند الشرقية وياقوت كل نوع وصورة والألماس والدر والبلور والسنباوج والبقم من سرنديب.[1]

وكتب أبو منصور الثعالبي في ثمار القلوب أنّ خير عود في الهند هو العود المندلي ومن أعراض جودته صلابته وإن كان غضًا فيبدو فيه أثر الخاتم وتبقى رائحته في اللباس حتى أسبوع ولا يتواجد فيه القمل، وكذا من أشياء

---

[1] المسالك الممالك، ص 63-64 و70-71 هذه المعلومات مبعثرة فنذكر فيما يلي بعض هذه الأشياء الموجودة في الهند ومجاورتها: "الياقوت ألوانه كلّها والأشباه كلّها وفي واديه ألماس وعلى الجبل العود والفلفل والعطر والأفواه ودابّة المسك ودابّة الزباد، وبسرنديب النارجيل وأرضها السنباذج الذي يعالج به الجوهر وفي أنهارها البلّور وحولها في البحر غوص اللؤلؤ ... الكركدّن ... جواميس لا أذناب لها وبها الخيزران والبقّم .. شجر الكافور تظلّ الشجرة مائة إنسان وأكثر وأقلّ ينقب أعلى الشجرة فيسيل منها من ماء الكافور عدّة جرار ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ ذلك الشجر غير أنه داخله ثم تبطل تلك الشجرة فتجفّ وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة لا تحصى ... وفيها معدن الرصاص القلعيّ ومنابت الخيزران ... وبها كافور جيّد وموز ونارجيل وقصب سكّر وأرزّ، ... وبها النارجيل والموز وقصب سكّر ... الصندل والسنبل والقرنفل ... الثياب القطنيّة المخملة والعود الهنديّ ... الذهب الكثير والكركدن وهي دابّة لها قرن واحد في الجبهة طوله ذراع وغلظه قبضتان فيه صورة من أوّل القرن إلى آخره فإذا شقّ رأيت الصورة بيضاء في سواد كالسّبج فى صورة إنسان أو دابّة أو سمكة أو طاوس أو غيره من الطير ... العود الهنديّ والكافور ... العود القماريّ وأرزّ ... العود الصّنفيّ وهو أفضل من القماريّ لأنه يغرق في الماء لجودته وثقله وبها بقر وجواميس ... الحجر الصينيّ والحرير الصينيّ والغضار الجيّد الصينيّ وبها أرزّ، ... الفواكه كلّها والبقول والحنطة والشعير والأرزّ وقصب السكّر، ... والبطّ والدجاج ... الأبنوس الجيّد ... الذهب الكثير ... الحرير والفرند والكيمخاو والمسك والعود والسروج والسمّور والغضار والصيلبنج والدارصيني والخولنجان ... الذهب والأبنوس، ومن الهند الأعواد والصندلان والكافور والماكافور والجوزبوّا والقرنفل والقاقلّة والكبابة والنارجيل والثياب المتّخذة من الحشيش والثياب القطنيّة المخملة والفيلة ... الياقوت ألوانه كلّها وأشباهه والماس والدرّ والبلّور والسنباذج الذي يعالج به الجوهر ... الفلفل ... الرصاص القلعيّ ... القسط والقنا والخيزران ... العنبر والورس والبغال والحمير". المصدر نفسه.

الهند الخاصة الفيل والكركدن والبر والببغاء والطاؤوس والدجاجة الهندية والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والباج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل والعقاقير.[1]

وقد جاء في كتاب البلدان لابن فقيه الهمداني أنّ العنبر من الشلاهط، والفلفل من تلي وسندان، والبقم من جنوب الشلاهط، والقرنفل والصندل والكافور والجوزبوا من زائج، والخيزران من شكيالوس، والرصاص والقلعي من كلة، والياقوت من سرنديب كما تورّد العرب منها الكركدن والطاؤوس والببغاء والدجاجة السندية وكل نوع من العطور والأدوية.[2]

ومدينة كلة في جنوب الهند وسوقها مركز تجاري فتوجد كافة إنتاجاتها هنا: توجد بها العود والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعي والآبنوس والبقم وهي تصدّر منها إلى عمان.[3]

وما ذكرناه من تفاصيل صادرات الهند قد وفّره لنا التجّار والرحالة والجغرافيون الذين كانوا أحياء في القرن الثالث وما كتبوه كتبوا في ضوء مشاهداتهم وتجاربهم، وقد أضاف إليه من تأخر عنهم من المؤرخين فنذكر بعض الأشياء المصدّرة إلى البلاد العربية من معجم البلدان لياقوت الحموي أنه كان يبلغ الدول العربية النوشادر من تميتمنداني (مدينة للسند) والملاءات الملوّنة والمنقوشة والنيل الجيد من كص والسيوف البيلمانية من بيلمان (سرست) والسيوف الهندية والعقار المسمّى بفوفل من خورفوفل والقرفة والزهرة والبقم وأنواع من العقاقير والأدوية. وكذا يصدر الفلفل من دهسل (في وسط الهند) إلى كافة بقاع العالم وهكذا تصدّر الحلوى باسم "فانيد" من مكران وقيريون (من السند) وجريان وسربار وماسكان ولاسيما

[1] ثمار القلوب، ص 533
[2] كتاب البلدان، ص 16
[3] أخبار الزمان، ص 40

فايند الماسكاني الذي هو أجود نوع من هذه الحلوى وهي مطلوبة من قبل كافة أرجاء العالم. وكذلك يصل إلى الدول العربية ثمر فلوية والأنبج من المنصورة، وإبل البالة من منطقة البد، وفانيد من طوران، وكمية كبيرة من الأرز من سندان، والأحذية والعقيق من كمباية، والجواهر من سندان، والأقمشة من تهانه، والأرز والساج من الكوكن.

ولقد كان الرقيق والإماء يرسلون إلى الدول العربية من الهند للتجارة بها في تلك البلاد، وفي بلخ حيّ يسمّى "هندوان" لأنه كان ينزل به كل من رقيق الهند وإمائها. (اللباب)

لغة التجارة: والبلاد التي كان يزورها العرب في تلك الأزمنة كانوا يعرفون لغاتها حسب حاجتهم وبالجملة فكانوا يعرفون العديد من اللغات، وكذا كان أهلها يعرفون الكلمات والتعابير التجارية للغة العربية، ونذكر مومبائ كمثال لها حيث يختلف التجّار والرحالة العرب حتى يقيم بها العديد من التجّار العرب فهم يستخدمون لغة مومبائ في بيعهم وشرائهم كما أنّ تجارها وأرباب أكشاكها ودكاكينها يعرفون قليلًا من العربية.

وفي قديم الزمان كان الطرفان يعرف الواحد لغة الآخر وكان العديد من اللغات تستخدم في المراكز التجارية إلا أنّ أهالي أقاصي البلاد والجزر لم يكونوا يعرفون لغة التجّار العرب كما أنّ التجّار العرب لم يكونوا يعرفون لغاتهم ولذا فكانوا يتعاملون بالإشارة فقال ابن خرداذبة عن جماعة من منطقة رامي: "وبها ناس عراة في غياض لا يفهم كلامهم لأنه صفير".[1]

وقال سليمان التاجر عن أهل ليخ بالوس: "لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجّار من اللغات".[2]

[1] المسالك والممالك، ص 65

[2] رحلة سليمان التاجر، ص 17

كان هؤلاء الناس يتعاملون بالإشارة وكانوا يبدّلون سلعهم بالحديد وكانوا ماهرين في السباحة ففي بعض الأحيان كانوا يهربون بالحديد.

وصورة بيع القرنفل في أحد المواضع كانت بأنّ التجّار العرب يقلّون سلعهم من السفينة ويضعون قدرًا معلومًا منها بالشاطئ ثم يرجعون إلى السفينة وعندما يرجعون إلى الشاطئ في اليوم التالي يجدون مكانها القرنفل وفي بعض الأحايين يجدون السلع والقرنفل كليهما، وهذا يعني أنّ السلع أقلّ من القرنفل فيضع التجّار مزيدًا من السلع ويأخذون القرنفل.[1]

كان أحد مشائخ الأندلس يسافر في السفينة المتوجهة إلى الهند فسلّم على ربّان الباخرة بالهندية: "فسلّم عليه بالهندية فردّ عليه".[2]

وذات مرة أحاطت العاصفة سفينة عربية في حدود الهند فنزل منها ثلاثون رجلًا إلى الشاطئ فلما رآهم الهنود فرّوا ولم يبق منهم سوى رجل فيقول الراوي: "فكلّمنا فلم نعرف لغته إلا رجل واحد منا".[3]

وفي بعض الأحيان كان التجّار يحتاجون إلى مترجم فكان يزور بعض التجّار الملوك وكانوا يبيعون سلعهم لديهم حتى كانوا يقيمون لديهم لسنوات فيتحدثون معهم، وهذا يدلّ على أنّ الطرفين كانا يتحدثان بدون تكلف.

طرق البيع والشراء: عادة كانوا يبيعون ويشترون بالنقد الحاضر إما بالعملة أو الفضة أو الذهب أو الخرزة فكانوا يستخدمون ما عمّ وراج في المكان، وفي بعض المناطق كانوا يبدّلون بالبضائع.

كتب ابن خرداذبة أنّ منطقة ملك الجزر كان تروج فيها الدراهم الطاطرية وذكر سليمان التاجر أنّ أهلها كانوا يتعاطون بقطع من الفضة لأنّ بها مناجم

[1] أخبار الزمان، ص 28

[2] عجائب الهند، ص 24

[3] المصدر نفسه، ص 191

لها" وكتب ابن رستة أنّ أهلها يتعاملون بقطع من الذهب والدراهم الطاطرية وهي منقوشة بصورة من الملك وتوزن بمثقال[1] أي كان التجّار العرب يتعاطون في هذه المنطقة بالدنانير أو الدراهم الطاطرية أو الذهب أو الفضة. وذكر سليمان التاجر أنّ مملكة بلهرا كانت تروّج فيها الدراهم الطاطرية كذلك إلا أنّ درهمًا لها يوزن بدرهم ونصف للعراق. كانت هذه العملة تضرب في مملكة هذا الملك. ويقول أبو زيد السيرافي إنّ التجّار كانوا يحملون الدنانير السندية من الهند في قديم الزمان، وكان دينار لهم يباع بثلاثة عشر دينارًا أو أكثر منها، وفي قامرون يكثر الذهب وكذا يتوفر الذهب في خزينة الملك زابج مهراج، وتروج الخرزة في بلاد رهمي فتقنيها حكومتها في خزينتها. وهذه النقود تستعمل في البيع والشراء. وكان أهل ليخ بالوس يأتون سفن التجّار العرب في بواخر صغيرة وكانوا يبدّلون النارجيل وقصب السكر وماء النارجيل والموز والعنبر بالحديد. لم يكن هؤلاء يفهمون لغة التجار وكانوا مهرة في السباحة ففي بعض الأحيان كانوا يسلبون الحديد من التجّار ويهربون.[2]

أمانة التجّار وتقواهم: كان التجّار المسلمون في تلك الفترة متصفين بما يأمرهم دينهم من حسن المعاملة والأخلاق إلى حد كانوا يعتبرون دعاة لدينهم وترجمانًا لهم فالسلعة المحببة في سلعهم التجارية كانت هي أمانتهم والتي كانوا يحملونها إلى كل بقعة ودولة وكانوا يأخذون أجرها في صورة رضا الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتصفون بمرتبة عالية في صدقهم وأمانتهم وتقواهم ومعاملتهم وخلقهم إلى غاية أنّ قصة أمانتهم وتقواهم كانت تذكر غير مرة إذا مرّوا بحيّ أو مستعمرة.

كان التجّار الآيبون والذاهبون من وإلى الهند يتصفون بهذه الصفات والأخلاق، وكانوا يقضون حياتهم متحلّين بالتقوى والحزم، وكانوا يهتمّون بالحلال والحرام في كل أمر أو معاملة، وكانت حياتهم التقية الصالحة

[1] المسالك والممالك، ص 67

[2] رحلة سليمان التاجر، ص 18

يقدّرها الناس في كل مكان ومنطقة.

فيقول تاجر إنه كان في بلاط الأغباب (ملوك جنوب الهند) ووضعت المأدبة له ولأصحابه فكان إناء وضع فيه شيء يشبه يد الإنسان ورأسه فبسطت يدي إليه ثم قبضتها إليّ، كان الملك حاضر المأدبة وكان يرى كل هذا ولو أنه لم يقل له شيئًا ذلك اليوم ولكن في اليوم التالي جاء بعض الناس بسمك كانت يده مثل يد الإنسان ورأسه مثل رأسه فقال له الملك: بالأمس امتنعت عن أكل هذا السمك، هذا سمك لذيذ ومقوّ ومن ثم جعلت آكل ذلك السمك".[1]

كان المسلمون يحذرون في أكل ما يشتبه به وكانوا يأكلون أو يستخدمون ما يحلّ لهم فقال سليمان التاجر وهو يذكر الكركدن في مملكة ملك رهمي (بنغال): "ولحمه حلال، قد أكلناه".[2]

وقال أبو زيد السيرافي إنّ بعض مناطق الهند يعمّها فساد الأخلاق والفحشاء حتى أنّ بعض التجّار يدعون فتيات أشراف المنطقة فهن يلبّين دعوتهم والحال أنّ آباءهم يعرفون مبغاهن ولذا نمتنع عن الترداد إليها.[3]

وهذه هي التقوى التي أسفرت عن أنّ عامة هذه البلاد وخاصتهم كانوا يكرمون المسلمين فقد أسلم ملك عسيفان بعد دعوته للتجّار المسلمين.

ومن التجّار الهنود العالم الشهير والأديب والشاعر والمحدّث أبو الحسن حسن بن حامد بن حسن الديبلي الذي أقام ببغداد بصورة دائمة فقال عنه الخطيب البغدادي: "وكان صدوقًا، وكان تاجرًا متموّلًا".

إنه بنى خانًا ببغداد سمّي باسمه "خان ابن حامد"، كان هذا الخان يقع في حيّ

[1] عجائب الهند، ص 39

[2] رحلة سليمان التاجر، ص 31

[3] رحلة أبي زيد، ص 125-126

درب الزعفراني".[1]

بعض التجّار من علماء وشيوخ الهند: كان من بين تجّار تلك الفترة كبار العلماء والصالحين الذين كانوا يعتبرون التجارة سنة نبوية ينتفعون بها فمن أبرز تلامذة الإمام حسن البصري الإمام أبو موسى إسرائيل بن موسى البصري المعروف بـ"صاحب الحسن" ومن شيوخ الحديث له الإمام محمد بن سيرين والإمام أبو حازم الأشجعي والإمام وهب بن منبه ومن تلامذته الإمام سفيان الثوري والإمام سفيان بن عيينة والإمام يحيي بن سعيد قطان والإمام حسين الجعفري وكلهم أئمة الحديث. ويسمّى الإمام إسرائيل بن موسى بـ"نزيل الهند" لأنه كان يرد الهند لأجل التجارة وكان ينزل بها فقال الحافظ ابن حجر والحافظ العيني: "وهو بصريّ، كان يسافر في التجارة إلى الهند وأقام بها مدة".[2]

وكان محدّث آخر وهو إبراهيم بن مالك البزاز البغدادي، كان من الصالحين في زمانه، وكان من عادته غرس النخيل وإذا غرس نخيلًا تلا القرآن الكريم كله ثم شرع في غرس نخيل آخر، وكان يحمل النخيل من السند فقال ابن أبي حاتم الرازي: "وكان يحمل النخيل من السند".[3]

وفي نفس الفترة كان محدّث مرشد للتجّار بين فارس والهند وهو أبو محمد بن يعقوب بن صالح السيرافي (ت322هـ) فيقول ابن الجوزي: "كان يبيع لأهل فارس وتجّار الهند أمتعتهم".[4]

وكان أبو بكر محمد بن معاوية المرواني من سكان القرطبة، ويكنى ابن الأحمر فروى كتاب السنن للإمام النسائي ونشرها في الأندلس أول مرة. إنه كان يرد الهند للتجارة فقال الإمام الذهبي: "ودخل الهند للتجارة فغرق له ما

---

[1] فتح الباري، 52/13 والعيني شرح البخاري، 36/22
[2] فتح الباري، 54/13 والعيني شرح البخاري، 36/24
[3] كتاب الجرح والتعديل، 140/1/1
[4] المنتظم، 275/6

قيمته ثلاثون ألف دينار ورجع فقيرًا".[1]

في 151هـ ورد عبد الله الأشتر السند وكان يرافقه فدائي يسمّى ابن مسعد فيقول ابن مسعد إننا وصلنا إلى المنصورة فلم نجدها موافقة لنا فتوجّهنا إلى قندهار حيث لقينا بعض تجّار العراق الذين أخبرونا أنّ أهل المنصورة بايعوا عبد الله الأشتر وأصرّوا على أن نرجع إليها حتى رجعنا إلى المنصورة.[2] ولعل هؤلاء التجّار العراقيين كانوا يرتبطون بالدعوة العلوية.

كان أبو زهر البرختي من أشهر تجّار سيراف وملاحيها، كان مجوسيًا فآمن وحج بيت الله الحرام، فيذكر أنه توجّه نحو الصين بسفينة كبيرة من سيراف وكان يركبها عدد كبير من التجّار والمسافرين العرب والهنود والصينيين والعجم فلما عبرنا بحر الهند ودخلنا حدود الصين أحاط بنا طوفان مدهش فكانت الجبال أمامنا والأمواج أحاطت بنا من كلّ جانب. وفي هذه الحالة جنّ علينا الليل وكان البحر أمامنا كأنه نار وكان المسافرون كلهم يتضرعون، وكانوا يدعون حسب أديانهم وشرائعهم، "وكان في المركب شيخ مسلم من أهل قادس من الأندلس". فركب السفينة واختفى في زاوية فلما علا الصوت علا السفينة وسأل القبطان عن الضجة فتعجب منه القبطان وسأل هل أنت تاجر أم خادم وكيف ركبت السفينة وأين كنت؟ فقال: لست بتاجر ولا بخادم بل رجل عادي فركبت السفينة حين الازدحام واختفيت في زاوية فسأله القبطان عن طعامه فأجاب: بعض المسافرين يتركون الطعام والشراب في مكان لإلههم فكنت أتناوله فليس عندي سوى كيس من التمور ثم سأل القبطان: لم يبكي الناس في السفينة؟ فردّ عليه القبطان: لم أر طوفانًا أشد من هذا في حياتي الممتدة لثمانين سنة وزدْ على ذلك البحر الذي يبدو نارًا فقال ذلك الصالح الأندلسي: "يا ربان! لا بأس

---

[1] المعبر، 312/2

[2] مقاتل الطالبين، ص 312

عليك ولا خوف، نجوتم بقدرة الله" ثم قال إنّ أمامكم جزيرة يحويها جبال عالية فالأمواج تلطمها ثم ترجع ثم تلطم موجة أخرى حتى يبدو الجوّ نارًا وهكذا يحدث في الأندلس كثيرًا ولقد مررت بهذا المكان من قبل وهذه المرة الثانية فجمع المسافرون خواطرهم وثبتت قلوبهم وتحلّقوا حول الرجل الصالح وبعد قليل ضعفت شدة الطوفان وتقدّمت الباخرة بأمان.

ويقول أبو زهر البرختي السيرافي إني توجّهت نحو الصين بسفينتي من الهند وفي غضون الرحلة نزل مسافر ليتوضأ ولكنه لما رأى شدة البحر اعتلى وجعل يقول للمسافرين قلقًا: ألطفوا الأشرعة فورًا وأسقطوا أمتعتكم في البحر ثم نزل ثم علا قلقًا فسأله الناس عن السبب، هل الريح موافقة ونسافر بفضل الله آمنين فقال: اشهدوا أني كنت ناصحًا أمينًا لكم ولكن لم يسمع أحد منكم كلامي ثم أنزل سفينة صغيرة ووضع شيئًا من الزاد وجعل يركبها فقلق المسافرون كلهم وجعلوا يسقطون أمتعتهم في البحر فقال لهم: تضرعوا واستغفروا إلى الله، وكانوا في هذه الحالة الحرجة إذ غربت الشمس فهبّت الرياح السوداء في الليل وكانت الأمواج تعلو إلى السماء، وجعلت السفينة تمايل، وبقيت هذه الحالة لثلاثة ليال وثلاثة أيام وفي اليوم الرابع اطمأن الجو بفضل الله تعالى، وتوقفت السفينة بساحل جزيرة فوجدوا الأمتعة على شاطئها فأخذ كل مسافر متاعه ووضعه في مكانه، وبلغ المسافرون بأمتعتهم الغايةَ آمنين وسالمين، وانتفعوا أضعافًا مضاعفة: "فوجدوا فيما معهم من البضائع للدرهم عشرة وربحوا الغنى والعافية".[1]

فالبحث عن الرزق الحلال من خلال أهوال البحر هذه تجارة نافعة، لاسيما في حق التجّار الذين لا يتركون ذيل الدين والتقوى في أيّ حال من الأحوال.

مثال لتجارة الهند النافعة: انتفع المسلمون كثيرًا في الهند لأمانتهم وحسن

[1] عجائب الهند، ص 44-45

معاملتهم وقد جمعوا في مدة قليلة وفرة من الأموال ولنذكر مثالًا لذلك:

كان الإمام عبد العزيز بن أبي روّاد المكي (ت159هـ) من أجلّة علماء عهد التابعين فاستقرض خمسة آلاف درهم من أحد أصدقائه التجّار لحين حلول موسم الحج فأعطاه صديقه عن رضى ولكنه فكّر في الليل فارتبك في قراره لأنّ ابن أبي روّاد رجل عجوز فإن وافته المنية فمن يؤدي عنه فليكن أولادي غفلًا عن ذلك القرض فسأحدّثه في الصباح عن هذا فأتاه صباحًا مبكرًا وتحدّث معه فدعا له الإمام عبد العزيز: اللهم هب له أكثر مما نوى ثم قال: استقرضت فكلما أفكّر في دفعه أعطى أجرًا مثله فإن تقول عن العفو عن هذا القرض إذا لم يؤد ولا تخبر به أولادك فأصرف النظر عنه وأحرم الثواب فسكت التاجر ثم جاء داره وأخبر أولاده أنّ الإمام ابن روّاد استقرضني خمسة آلاف درهم حتى الحج فاتفق أنّ التاجر عاجلته المنية قبل الحج فطلبه من الإمام أولاده حين آن الأوان فاعتذر له الإمام وقال: إني لا أقدر على أدائه هذه السنة وسأؤديه في الحج القادم فرجع أولاد التاجر ولكنهم جاؤوه قبل الوقت وشدّدوا عليه فقال ابن روّاد: رحم الله أباكم، إنه لم يكن كمثلكم، ولقد حددنا بيننا موسم الحج.

وخلال هذه المدة كان الإمام ابن روّاد جالسًا وراء مقام إبراهيم في المسجد الحرم ذات يوم متفكّرًا إذ جاءه أحد غلمانه من الهند بعشرة آلاف درهم ودفعها إليه قائلًا: إني انتفعت من التجارة فيها كثيرًا فيقول الراوي بهذه المناسبة:

"بينما هو ذات يوم خلف المقام، إذ ورد عليه غلام قد كان هرب إلى الهند بعشرة آلاف درهم، فأخبره أنه اتجر، وأنّ معه في التجارات ما لا يحصى".

فلما أعطى الغلام ذلك المبلغ قال ابن أبي روّاد: أشكرك، اللهم!، لقد سألتك خمسة آلاف ولكن أرسلت إليّ عشرة آلاف، ثم قال لولده: عبد المجيد! خذ عشرة آلاف درهم هذه فادفع خمسة آلاف درهم للأولاد فإنها لهم وأما خمسة آلاف درهم الباقية فهي بيني وبين والدهم التاجر حق الصداقة

فأعطهم إياها فدفع الولد عشرة آلاف درهم إليهم وأخبره بما فعل فلما بلغ الغلام أنّ سيده لم يصرف المبلغ على نفسه ودفعه إليهم حزن فقال له ابن أبي روّاد مسلّيًا إياه: فلذة كبدي: لقد سألت الله خمسة آلاف درهم فأرسل إليّ عشرة آلاف درهم فمنذ اليوم أنت حرّ لله، وأنت مالك ما لديك من المال.[1]

فجاء الهندَ غلام آبق من مكة بدون زاد واتجر بها وانتفع كثيرًا فلنقدّر بها أمانة التجّار المسلمين وحسن معاملتهم وتجارتهم النافعة.

تجّار الهند في الدول الأخرى: وكما أنّ تجّار العرب والعجم يردون الهند لتجارتهم فكذلك كان تجّار الهند يتوجّهون نحو العرب والعجم لتجارتهم وكان فيهم المسلمون وغير المسلمين فكانوا يذهبون إلى سيراف وبغداد والبصرة والكوفة والشام عن طريق البحر، وكانوا يردون أقصى مدن سجستان وفارس وخراسان وترمذ وبلخ وسمرقند وما وراء النهر عن طريق البر فقال أبو زيد السيرافي عن ذهاب التجّار الهندوس إلى سيراف: عندما يبلغون سيراف يدعوهم غني إلى المأدبة ويضع أمام كل منهم إناء ولو كان عددهم مئة أو أكثر لأنهم لا يأكلون معًا بل يأكلون على حدة.[2]

وكذا كان يعبر نهر زابلستان تجّارها الهندوس لبلخ وسمرقند فقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن جهم بن صفوان مؤسّس الفرقة الجهمية: في البداية كان يجني الضريبة على نهر زابل قريبًا من ترمذ من التجّار الهندوس الذاهبين إلى بلخ وسمرقند:

"وكان تجّار الهند يعبرون نهر زابل عند نويده قاصدين إلى بلخ وسمرقند".[3]

وكذا ناظره أتباع الفرقة السمنية (البوذية) ذات مرة.

فكان تجّارها يحملون البضائع من جزائر بحر الزنج ويبيعونها هنا. قال بزرك بن

---

[1] تاريخ الإسلام للذهبي، 240/6

[2] رحلة أبي زيد، ص 146

[3] فتح الباري، 290/13

شهريار: إنّ أهل جزائر الزنج يدفنون العاج في الأرض. وعندما تزول عفونته ويصفو يشتريه تجّار الهند والسند ويبيعونه في بلادهم".[1]

تجارة الرقيق الهنود وشهرتهم لمهارتهم في الأمور التجارية: ولما ذهب أهل الهند إلى الدول العربية للأمور التجارية نموا وترقّوا فكان وطن المحدث الشهير الإمام ابن علية إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري (ت193هـ) في قيقان (قلات). حُمِلَ جدّه مقسم إلى الكوفة أسيرًا في الحرب، وأصبح من أرقاء بني أسد بن خزيمة فشرع والد الإمام ابن علية يتجر في الكوفة ومن ثم بدأت سلسلته التجارية من الكوفة إلى البصرة فجاء فيه: "وكان إبراهيم بن مقسم تاجرًا من أهل الكوفة فكان يقدم البصرة بتجارته فيبيع ويرجع".[2]

فقد جاء في تاريخ بغداد أنه كان بزازًا ويمكن أنه كان يتجر بأقمشة الهند والسند فقد كانت مختلف أنواع أقمشتهما تحمل إلى الدول العربية.

كان الهنود المقيمون بالدول العربية معروفين لمهارتهم في الحساب وحسن النظم، وكانوا يعتبرون صالحين بل متبركين. فكانوا يموّلون التاجر الذي كانوا يخدمونه فقال الجاحظ في "فخر السودان على البيضان": "ومن مفاخرهم أنّ الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند، لأنهم أنفذ في أمور الصرف، وأحفظ وآمن. ولا يكاد أحدٌ أن يجد صاحب كيس صيرفيّ ومفاتيحه ابن روميّ ولا ابن خراساني. ولقد بلغ من تبرك التجّار بهم أنّ صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات، لما رأوا ما كسب فرجٌ أبو روحٍ السندي لمولاه من المال والأرضين اشترى كلّ امرئ منهم غلامًا سنديًا، طمعًا فيما كسب أبو روح لمولاه".[3]

---

[1] عجائب الهند، ص 43

[2] طبقات ابن سعد، 325/7، وتاريخ بغداد، 230/6، وميزان الاعتدال، 101/1

[3] رسائل الجاحظ، 124/1-125

علوم الهند وفنونها وعلماؤها

المسلمون أول من عرّف بعلوم الهند وفنونها على العالم: ولنعلم جيدًا أنّ علوم الهند وفنونها كانت محدودة في طبقة خاصة في قديم الزمان فلا يحق لأحد سوى البراهمة أن يحصل عليها وكان التجّار والرحالة الأجانب يعرفون هذا وكانوا يعتبرونها من خصائص الهند.

فقال سليمان التاجر إنّ ملكًا من ملوك الهند يسكن في منطقة من مناطق الهند ولا يحكم عليها غيره بل تكون الحكومة موروثة أبًا عن جد وكذا تكون فيها أسرة خاصة بالعلم والطب ويكون الفن محدودًا فيها" وقال أبو زيد السيرافي: إنّ علماء الهند براهمة فشعراؤهم يحضرون بلاط الملوك ومنهم المنجمون والفلاسفة والكهنة وغيرهم.

فالمسلمون هم السابقون إلى إخراج العلوم من قبضة الأسرة إلى عامة العالم، ومن ظلمتها إلى نوره.

عني الناس في العهد الأموي بعلوم الشريعة واللغة فقد بدأ الناس يكتبون على التفسير والحديث والفقه والتاريخ كما كان علم الطب وعلم الأنواء وعلم النجوم رائجًا من بين علوم الطبيعة ولكنه كان كعلم محلي بني على التجربة توارثه العرب منذ قديم الزمان فلا نجد فيه سوى خالد بن يزيد بن معاوية الذي عني بالطب والكيمياء واشتهر بهما.

عناية الخلفاء العباسيين بعلوم الهند: أبو جعفر المنصور هو الخليفة العباسي الثاني الذي التفت إلى الحكمة والفلسفة والطب والنجوم، فكانت له رغبة خاصة في علم النجوم والفلك ثم جاء هارون الرشيد والمأمون اللذان طوّرا ما بدأه أبو جعفر المنصور فأقام هارون الرشيد مجمعًا علميًا وفنيًا عظيمًا باسم

"بيت الحكمة" ببغداد أمر فيه علماء المنطق والفلسفة والطب والحساب والنجوم وغيرها من العلوم والفنون بترجمة كتب اللغات الأخرى العلمية والفنية وأرسل الوفود العلمية والفنية إلى البلاد الأخرى ليحصلوا على نوادرها العلمية والفنية ودعا الفلاسفة والحكماء والأطباء ثم أشرف المأمون على بيت الحكمة فأرسل الهدايا والتحف الثمينة إلى ملوك الروم وطلب منهم كتب الفلاسفة والأطباء اليونان وأمر بترجمتها إلى العربية. ولقد بقي بيت الحكمة لقرون حتى دمّره التتار في 656هـ.

وترجم علم النجوم والفلك الهندي إلى العربية أول مرة في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور ففي 156هـ حضر برهمن هندي كان ماهرًا في حسابها السند هند (سدهانت) بلاط المنصور في بغداد وكان يحمل معه كتابًا في الفن في 12 بابًا فقال إني أخذته من كتاب ضخم بعنوان "كروجات".

هذا الكتاب من مؤلفات ملك هندي قبغر فقد فصّلت فيه قضايا علم الحساب وعلم النجوم جيدًا وكان يوضّح حركات الكواكب والكسوف والخسوف والمطالع والبروج والقضايا الأخرى لعلم الفلك بصورة صحيحة وجيدة فأمر أبو جعفر المنصور بترجمته إلى العربية ثم بتأليف كتاب جعله العرب أساسًا لقضايا علم النجوم والفلك فحمل عبئه محمد بن إبراهيم الفزاري وألّف كتابًا بعنوان "سند هند الكبير" وكان هذا الكتاب يعتبر أصلًا لهذا الفن حتى عصر المأمون ثم لخّصه أبو جعفر بن موسى الخوارزمي فأعدّ زيج الخوارزمي فاختلف الخوارزمي في هذا الكتاب وزيجه عن حساب السند هند ورجّح حساب إيران في بعض القضايا ولقد بقي العلماء يستفيدون من هذا الكتاب والزيج حتى القرن الخامس.[1]

ثم استوزر هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي وجعل البرامكة تزهو وتتقدّم

---

[1] طبقات الأمم، ص 67

نخدموا العلوم والفنون خدمة جليلة ولنقل إنّ عصرهم كان عصر معرفة علوم الهند وفنونها وتكريم علمائها والعثور على كتبهم فوظّفوا علماء الهند وفضلاءها في بيت الحكمة وأمروا بترجمة كتبها العربية وأرسل الأطباء والحكماء إليها وطلبوا منها عقاقيرها وأدويتها وعمّموا فوائدها.

ولأجل علاقة يحيى البرمكي الخاصة بالهند ولّي عليها ولده موسى بن يحيى ثم عمران بن موسى فقدّما خدمات عظيمة خلّدت ذكر أسرتهم في الهند والبلاد العربية.

فقال ابن النديم في كتاب الفهرست إنّ يحيى بن خالد البرمكي وجماعة من البرامكة أبدوا رغبتهم في الهند زمن حكومات العرب فدعوا أطباءها وحكماءها لبغداد واعتنوا بعلوم الهند وفنونها فأرسل يحيى بن خالد رجلًا إلى الهند ليرجع بعقاقير الهند وأدويتها ويؤلّف الكتاب على مذاهبها ففعل ما كلّف وألّف الكتاب.[1]

وفي تلك الفترة ورد بغداد أطباء الهند أمثال منكه الهندي وبازيكر وقلبرقل وبهلة وصالح بن بهلة وحسن بن صالح بن بهلة وأبندهن وخاطف الهندي الأفرنجي وغيرهم.

المترجمون الهنود الذين وظّفوا في بيت الحكمة كانوا مهرة بالهندية والعربية وكانوا يترجمون كتبها العلمية والفنية والطبية مثل أبندهن الذي كان يترجم الكتب الهندية إلى العربية ثم كان مسؤولًا عن بيمارستان البرامكة، ومنكة الهندي كان من المترجمين الذين كانوا يعملون في بيت الحكمة تحت إشراف إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي[2] وهذا هو إسحاق بن سليمان الهاشمي الذي كان حاكمًا على البصرة وذات مرة ولّي على السند.

وفي زمن المأمون ذهب إلى السند طبيب عربي شهير إبراهيم بن فزارون

[1] كتاب الفهرست، ص 414

[2] كتاب الفهرست، ص 342

بمرافقة أميرها غسان بن عباد الكوفي وأقام بها لمدة طويلة ولا شك أنه حصل على المعلومات عن علمها وأدويتها خلال هذه المدة ومن ثم أصبح سبباً من أسباب نشر الطب الهندي في الدول العربية.

علم الحساب والهندسة: ولقد اعترف كل مؤرخ عن الهند ورحالها بعلمها للحساب فقال الجاحظ: "لولا خطوط الهند لضاع من الحساب البسيط والكثير ولبطلت معرفة التضاعيف ولعدموا الإحاطة بالتنورات وتنورات التنورات ولو أدركوا ذلك لأدركوه بعد أن تغلظ المئونة وتنتقص المنة. قال غيره التنور مقدار من مقادرير الهند يجمع الألف الكثيرة قال أبو إسحاق الصابى يهنىء بالعيد:

لم أطوّل في دعوتي لمليك طوّل الله في السلامة عمره
بل تلطّفت في اختصار محيط بالمعاني لمن تأمّل أمره
فهو مثل الحروف في عدد الهنـ ـد قليل قد انطوت فيه كثره[1]

وقد ذكر القاضي صاعد الأندلسي إنّ حساب الغيار من علوم الهند أوجز وأسهل وأنفع وهذا يدلّ على مهارة أهل الهند في الحساب وتطبعهم فيه وقد فصّله أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي[2] ففي البداية كان العرب يكتبون العدد بكلماتهم فلما بلغهم أرقام الهند من بلدها وكانت تحمل صورة موجزة بسيطة لكل عدد فاختاروها وسمّوها "الحساب الهندي" و"الأرقام الهندية" و"الأشكال الهندية" وجاءوا بتصريف قليل في صور الأرقام فأدنوها إلى الخط العربي ثم وقع فيها فرق كبير على مرّ العصور فسمّيت بالأرقام العربية حتى اختارها أهل أوربا وسمّوها كذلك الأرقام العربية وهكذا فالأرقام الهندية والعربية والإنجليزية مختلفة بعضها عن البعض ولو أنها من أصل واحد.

[1] ثمار القلوب في المضاف والمنصوب، ص 553

[2] طبقات الأمم، ص 18

ولقد ألّفت كتب عديدة في علم الحساب الهندي في العصر العباسي. وكان أحمد بن عمر الكرابيسي من أفضل علماء علم الهندسة والأعداد فقام بتأليف كتب عديدة في هذا الفن بما فيها كتاب "الهندي" وكذا من مؤلفات مجتبى الأنطاكي كتاب "التحت الكبير" في حساب الهند، وكان أبو نصر محمد بن عبد الله الكلواذي عالمًا كبيرًا للحساب فألّف كتابًا في حساب الهند باسم "كتاب التحت" وكذا تفوّق سنان بن فتح الحسّاني في علم الحساب والأعداد فألّف كتابًا بنفس الاسم (كتاب التحت) في حساب الهند.[1]

علم النجوم والفلك: علم النجوم قسمان: أحدهما علم النجوم التعليمي والبرهاني الذي يعلم به الحركات والطلوع والغروب والكسوف والخسوف والأيام والأشهر والسنون. والآخر علم النجوم الطبعي الذي يعلم به آثار النجوم والأحكام وتأثيراتها في عالم الكون والفساد، وهذا لا يجوز طبقًا للشريعة الإسلامية. وكان المنجّمون الهنود يمهرون في كلا القسمين فقال القاضي صاعد الأندلسي: فمن مذاهب الهند في علم النجوم المذاهب الثلاثة عندهم وهي مذهب السندهند ومذهب الأرجبهر ومذهب الأركند ولم يصل إلينا على التحصيل إلا مذهب السند هند وهو المذهب الذي تقلّده جماعة من علماء الإسلام وألّفوا فيه الزيج كمحمد بن إبراهيم الفزاري وحبش بن عبد الله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد بن حميد المعروف بابن الآدمي وغيرهم.. فكان كنكه الهندي متميزًا عن المنجمين الهنود في هيئة العالم وتركيب الأفلاك وحركات النجوم. كتب أبو معشر البلخي في كتاب الألوف أنّه المقدّم في علم النجوم عند جميع علماء الهند في سالف الدهر فقد ألّف الهندي عديدًا من الكتب الضخمة في علم النجوم فذهب محمد بن إسماعيل التنوخي المنجم إلى الهند وتعلم عجائب وغرائب علم النجوم

[1] كتاب الفهرست، ص 394-396

وعلم عن حركات الإقبال والإدبار، وكان أحمد بن عبد الله حنش البغدادي منجّمًا شهيرًا في زمن المأمون والمعتصم فوضع ثلاثة زيجات أولها كان على أصول حساب السندهند فاختلف فيه حبش عن آراء الفزاري والخوارزمي، وكان الفضل بن حاتم التبريزي متوفقًا في الهندسة والهيئة وحركات النجوم فألّف عديدًا من الكتب في هذا الفن أحدها كان شرحًا للزيج الكبير على أصول السندهند وكذا ألّف كتاب "جامع لصناعة التعديل" للحسين بن حميد بن الآدمي في العكسية وحركات النجوم على أصول السندهند.[1]

ولابن ماجور كتاب باسم "زيج السند هند" وكان يعقوب بن طارق ماهراً لعلم النجوم فكتابه "الزيج" متدرّج على أصول السندهند. هذه مجموعة كتابين أحدهما في علم الفلك والآخر في علم الدول.[2]

ولقد ذكر ابن النديم كتبًا تالية لكنكه الهندي في علم النجوم:

1. أسرار المواليد
2. القرانات الكبير
3. القرانات الصغير

وكذا كتاب "المواليد" لجودر الهندي وكتاب "أسرار المسائل" لصنجهل الهندي و"كتاب المواليد الكبير" لنهق الهندي في علم النجوم، كلها كانت بالهندية فترجمت إلى العربية وكذا عرّبت كتب المهرة الهنود في النجوم أمثال باكهر وراجه وصكه وداهر وآنكو وزنكل وأريكل وجبهر وأندي وحباري.[3]

علم الطب: كان علم الطب من أخص علوم الهند فقد اشتهر أطباؤها فيه. قال الجاحظ: "ويقدمون في الطب ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش

---

[1] طبقات الأمم، ص 18-19، و81 و74 و78

[2] كتاب الفهرست، ص 390 و388

[3] المصدر نفسه، ص 378

الأدواء خاصة".[1]

وكان لديهم فن القضاء على الأدواء عن طريق الشعوذة والعزائم والسحر بجانب العقاقير فالأطباء الأقدمون الهنود الذين ترجمت كتبهم إلى العربية أسماء بعضهم كالتالي: آنكو وأندي وباجهر وباكهر وباذر غوغيا وتوقشتل وجاراكا وجبهرا وجباري وجودر وداهر وحكيم الهند ودبك وراحه وروي وأوسا وسامور وسسروتا وسسه وسيروك وشاناق وششرذ وصكه وصنجهل وناقل ونهق. والأطباء الهنود الذين دعاهم يحي بن خالد البرمكي إلى بغداد في زمن هارون الرشيد واستخدمهم كان منهم منكه وأبندهن وبازيكر وبهلة وقلبرقل وخاطف وصالح بن بهله وغيرهم.

كان منكه الهندي من مترجمي بيت الحكمة الذين كانوا يعملون تحت إشراف إسحاق بن سليمان الهاشمي وكان مديرًا لبيمارستان البرامكة وقد دعاه يحي بن خالد البرمكي من الهند لمداواته. فصّل ابن قتيبة في عيون الأخبار مرض يحيى بن خالد ومداواته بيد منكة.[2]

وكذا كان أبندهن طبيبًا في بيمارستان البرامكة كما كان يترجم الكتب الهندية إلى العربية في بيت الحكمة، وذهب بهلة الهندي إلى بغداد ونال صيتًا ذائعًا ومارستْ أسرتُه هذا الفن لمدة طويلة فكان ولده صالح بن بهلة مداويًا لهارون الرشيد ولقد ذكر القفطي وابن أبي أصيبعة قصة غريبة لمداواته وهكذا كان حفيده حسن بن صالح بن بهلة طبيبًا شهيرًا.

كتب الهند الطبية التي نقلت إلى العربية أسماؤها كما يلي:

1. كتاب ششرد: فيه عشر مقالات، أمر يحيى بن خالد منكه الهندي بترجمته.
2. كتاب أستانكر الجامع: شرحه أبندهن

---

[1] رسائل الجاحظ، 224/1

[2] عيون الأخبار، 24/1-25

3. شرح كتاب سندستاق لأبندهن
4. كتاب سيرك: ترجم أولًا إلى الفارسية ثم ترجمه إلى العربية عبد الله بن علي.
5. كتاب مختصر للهند في العقاقير: هذا الكتاب في ذكر العقاقير
6. كتاب أسماء عقاقير الهند: شرحه منكه الهندي بأمر من إسحاق بن سليمان الهاشمي. هذا أيضًا في ذكر العقاقير.
7. كتاب علاجات الحبالى للهند: هذا في علاج الحبالى.
8. كتاب توقشتل: هذا في بيان مئة دواء لمئة داء.
9. كتاب روسا الهندية في علاجات النساء: هذا من تأليف امرأة روسايا روشني وهو في علاج النساء.
10. كتاب السكر للهند
11. كتاب روئ الهند في أجناس الحيّات وسمومها: هذا كتاب ألّفه ملك ذكر فيه أنواع الحيّات وعلاج سمومها.
12. كتاب التوهم في الأمراض والعلل: هذا ما ألّفه توقشتل الهندي.[1]

الكتب التي ألّفها كنكه الهندي في النجوم والطب وترجمت إلى العربية هي: كتاب النمودار في الأعمار، وكتاب أسرار المواليد، وكتاب القرانات الكبير، وكتاب القرانات الصغير، وكتاب في الطب، وكتاب التوهم، وكتاب في أحداث العالم والدور في القران، وكتاب منازل القمر.

ألّف العديد من الكتب في الهند عن أنواع الحيات وعلاج سمومها ثم ترجمت إلى العربية فكان أطباؤها ماهرين في علاجها فقد ذكر ابن النديم في هذا الشأن كتاب أجناس الحيّات وسمومها لروي الهند وكتاب أجناس الحيّات لناقل الهندي ولعلهما كانا يشملان شعوذتها بجانب أدويتها فقال الجاحظ:

[1] كتاب الفهرست، ص 421

إنّ أهل الهند يعرفون الشعوذة التي تؤثر سريعًا في السم والوجع ومن هنا انتشر علم الفكر الذي إذا قرئ على السم لا يضرّ به.[1]

وقال ابن خرداذبة إنّ أهل الهند يزعمون أنهم يقدرون على نيل شيء يحبونه عن طريق الشعوذة فهم يمتصون به السم ويزيلون أثره بها.[2] ولقد ذكر ابن النديم "كتاب السموم للهند" في السموم وعلاجها.[3]

عقاقير الهند وأدويتها: مثل الطب والأطباء نالت عقاقير الهند وأدويتها القبول في بغداد والبصرة وجعل الناس يستخدمونها فكانت أدوية الهند وعقاقيرها تسمّى "بربهار" (جمعه "بربهارات") وأما العطار الذي كان يطلبه من الهند ثم يبيعه يسمّى "بندار" (جمعه "بنادر").

الغرائم والنيرنجات: كان الهنود ماهرين في الغرائم والطلسمات والنيرنجات والشعوذات وأعمال السحر منذ القدم ونقل العديد من كتب هذا الفن إلى العربية فقال ابن خرداذبة إنّ أهل الهند يؤدّون كثيرًا من الخدمات بقوة الوهم والفكر كما يسيئون إلى كثير منهم فهم ينتفعون بها كثيرًا، إنهم يظهرون الأخيلة التي تبهت العاقل فهم يدعون الإمطار ومنع المطر بقوة إرادتهم وفكرتهم[4] وقد سبق قول الجاحظ أنّ أهل الهند يزيلون السموم بعلم الفكر، وكتب ابن النديم في بيان الشعوذة والنيرنجات أنّ أهل الهند يؤمنون بهما، وأنّ علم التوهم علم هندي خاص ولأهل الهند كتب فيه ترجم البعض منها إلى العربية.[5]

ولقد عمّ الدوائر العلمية والفكرية للمسلمين أنّ الهند تؤثر غرائمها ونيرنجاتها ورقيها وقوتها الفكرية وكانت تعرف بالمسلمات فقد ردّ ابن قتيبة في موضع

---

[1] رسائل الجاحظ، 224/1

[2] المسالك والممالك، ص 71

[3] المصدر نفسه، ص 72

[4] المصدر نفسه، ص 72

[5] كتاب الفهرست، ص 430

من كتابه "تأويل مشكل القرآن" على من ينكر العين مستدلًا بما ثبت لديهم: "ولِمَ صدّق الهند بما تدعيه في الفكر والرقي، وأنكر العين والعوذ أو ليس الضر بالفكر بأعجب من الضر بالعين؟".[1]

كان سسه الهندي ماهراً للغاية في هذا الفن، فألّف كتابًا اتبع فيه طريق أهل الوهم والفكر.[2]

ولعطارد بن محمد المنجم كتاب باسم "كتاب الجفر الهندي" الذي ذكر فيه علم الجفر الهندي.

وكذا كتاب زجر الهند في الزجر والكهانة، وهكذا ترجم إلى العربية كتاب هندي في علم خطوط اليد وعنوانه "كتاب خطوط الكف والنظر في اليد للهند".

القصص والحكايات: كان أهل الهند واليونان يؤمنون بالأساطير منذ قديم الزمان فقد ترجمت القصص الهندية في العصر العباسي كما ترجمت كتبها ورسائلها فالكتب الشهيرة في هذا الموضوع هي: كليلة ودمنة وسندباد الكبير وسندباد الصغير وكتاب البد وكتاب بوناسف وبلوهر وكتاب بوناسف وكتاب أدب الهند والصين وقصة هبوط آدم وكتاب طرق وكتاب دبك الهندي وكتاب في الرجال والنساء وكتاب ساويرم وكتاب شاناق في التدبير وكتاب بيدبا في الحكمة وكتاب أطر في المشروب".[3]

الغناء والموسيقى: كانت الموسيقى والغناء فنًا خاصًا بالهند فأهلها مشهورون في الرقص والغناء منذ القدم فقال الجاحظ: "ولهم غناءٌ معجب. ولهم الكنكلة، وهي وترٌ واحدٌ يمدّ على قرعةٍ فيقوم مقام أوتاد العود والصنج. ولهم ضروب الرقص والخفة ... ومن مفاخر الزنج حسن الخلق، وجودة الصوت. وإنك

[1] تأويل مشكل القرآن، ص 89

[2] كتاب الفهرست، ص 434

[3] المصدر نفسه، ص 424-425

لتجد ذلك في القيان إذا كنَّ من بنات السنْد".[1]

كان لمغني ومغنيات السند شهرة ذائعة في الدول العربية وكان الشعراء والأدباء وأصحاب الذوق يستمتعون بهم، كان أبو جميل شاعرًا شهيرًا في عهد الخليفة المهدي وكان لديه مغنٍّ شهير باسم "المطرز السندي المدني" وكان صالحًا وتقيًا للغاية.[2]

وكانت أمة مغنية شهيرة تسمّى "خمار القندهارية" التي اشتراها عبد الله بن الربيع بمئتي ألف درهم فكان أصحاب الذوق يرقصون على حسن صوتها وموسيقاها.[3]

وذكر القاضي صاعد الأندلسي: "مما وصل إلينا [الشعب الأندلسي] من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمّى بالهندية "نافر" وتفسيره ثمار الحكمة في أصول اللحون وجوامع تآليف النغم".[4]

الحرب وأسلحتها: كانت سيوف الهند لاسيما سيوف كله القلعية مشهورة في البلاد العربية وكان شجعانها مولعين بالسيوف وعالمين بأوصافها وعلاماتها فقال الجاحظ: إنّ أهل الهند لديهم سيوف قلعية ولهم حذاقة ومهارة في اللعب بها واستخدامها.

عُرِّبَ كتابان للهند في أصول الحرب وأسلحتها أحدهما كتاب باجهر الهندي الذي يصف السيوف وعلاماتها وبرشها وجوهريتها والآخر كتاب شاناق الهندي الذي يفصّل تدابير الحرب واختيار الجنود وأوصاف الفوارس.[5]

وقد ذكر ابن النديم كتابًا آخر عنوانه "كتاب ملك الهند القتال والسباح" الذي ألّفه ملك هندي وترجم إلى العربية، هذا الكتاب في ذكر القتال والسباحة.

[1] رسائل الجاحظ، 224/1

[2] الأغاني، 83/19

[3] المصدر نفسه، 163/5

[4] طبقات الأمم، ص 17

[5] كتاب الفهرست، ص 437

الخطابة والفصاحة والبلاغة: كانت الخطابة والفصاحة والبلاغة من ميزة العربية والناطقين بها فأهل العربية مفطورون على قوة البيان وطلاقة اللسان، والعرب يفقدون نظيرهم في هذه الموهبة الربانية وبالرغم من هذا فقد اعتنى العرب بخطابة الهنود وفصاحتها وبلاغتها وذكروا خطباءها وشعراءها وأدباءها فقال الجاحظ مشيرًا إلى خصائص أهل الهند إنهم يمتلكون عددًا لا يحصى من الأشعار وطول الخطب، ذكر ابن النديم كتاب حدود منطق السند الذي ترجم إلى العربية من الهندية، إنه يشتمل على فن البلاغة الهندية. وقال أبو الأشعث المعمر: قلت لبهلة الهندي- أيام اجتلب خالد أطباء الهند- ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بهلة: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة وأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها. قال أبو الأشعث: فلقيت بتلك الصحيفة المترجمة فإذا فيها "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أنْ يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة، ولا يدقّق المعاني كل التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفّيها كل التصفية، ولا يهذّبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا عظيمًا".[1]

كان إبراهيم بن السندي أجود خطباء موالي الخلفاء العباسيين فكانت كلماته ذات شوكة وجودة فكان يغلبه الحماس والشدة وكان حديثه يؤثر في الناس أثر النبال والمباضع.[2]

ذكر الزبيدي المنتجع بن نبهان الطائي السندي من لغويّ الطبقة الأولى

---

[1] البيان والتبيين، 1/90-91

[2] المصدر نفسه، 1/130 و266

للبصرة في كتابه "طبقات النحويين واللغويين"،[1] وقال الجاحظ إنّ المنتجع بن نبهان السندي قضى طفولته في الصحراء وكان أفصح من الشاعر رؤبة وكان علماء العراق يتعلّمون عليه كما كان علماء الشام يستفيدون من عكيم الحبشي الذي كان أفصح من العجاج.[2]

[1] طبقات النحويين واللغويين، ص 175

[2] رسائل الجاحظ، 198/1

العلوم والفنون الإسلامية

الأسف على قلة المعلومات عن مسلمي الهند: من الأمور المؤسفة والصفحات المظلمة لتاريخ العصر العباسي في الهند أننا لا نعثر على معلومات عن حضارة مسلمي الهند وثقافتهم ومدنيتهم واجتماعهم وخلقهم وحالتهم الاجتماعية والفردية وحياتهم القومية والملية وكذا لا نقف على شيء من حالتهم الدينية وعلاقتهم مع العالم الإسلامي. وهذا من أعجب جوانب التاريخ أنّ رحالة هذا العصر وتجّاره وملاحته ومؤرخيه وفّروا معلومات جمة عن المسلمين المتوطنين في بلاد الكفر (الهند) والمسافرين منها وإليها ولكنهم سكتوا عن دار الإسلام أي مسلمي البلاد الهندية المحتلة من قبل الدولة العباسية وعلى العكس من ذلك فقد ضبط علماء الطبقات والرجال وأئمة الحديث والفقه تراجم وأخبار علمائها وأدبائها وشعرائها مما يعيننا في إدراك حياة عامة المسلمين العلمية والدينية وعلاقتهم الدولية ويزيل ولو قليلًا الغبارَ المعتلي على تاريخهم القومي والملي وإلا فأمكن أن نبقى جاهلين عنهم بعد سرد قصتهم من كل جانب.

مما يثيرنا على التفكير أنه إذا لم تكن حياة مسلمي الهند خصبة وخضرة فكيف أمكن أن تتفتح في حديقة الإسلام هذه الورد والأزهار التي تفوح رائحتها لا في الهند فقط بل في العالم الإسلامي كله ولا أمكن ربط حلقاتهم الدينية والعلمية والملية من السند ومكران إلى أقصى بلاد المغرب والأندلس فالعصر الذي ولد فيه والأرض التي أنجبت بهذا القدر من جهابذة العلم والفن، وعباقرة الفضل والكمال، وحفّاظ الحديث، وأئمة الفقه، والعباد والزهّاد، والقضاة والمعدّلين، والشعراء والأدباء، والعلماء والحكماء، والفلاسفة والمتكلمين، ومهرة العلوم والفنون العديدة كيف يمكن لنا أن نعتقد

أنّ وضع مسلمي تلك الفترة القومي والملي لم يكن يجدر بأن يذكر لاسيما حينما نرى في كل بقعة من بقاع العالم حياة مفوّهة بالنشاط والتقدم وأنّ كل جانب من جوانب الإسلام يغلبه روح الإيمان والعمل، وأنّ كل قرية ومدينة معمورة بالنشاط والفرحة الدينية، وأنّ كل طريق تطأه قوافل العلم والفن، وأنّ كل حيّ معمور بالعلماء الكرام، وأنّ المسلمين كانوا يتسابقون في الامتثال بما يقتضيه الإسلام منهم.

وعلماء كل عصر ترجمان عهدهم ومرآة بيئتهم فيمكن أن نرى ما يتميز به قومهم في حياتهم، وهم وسائل للعلم عن حالة عهدهم ومنطقتهم القومية والملية، وذوقهما الديني والعلمي فكان علماء الهند في العهد العباسي ترجموا ومثّلوا عهدهم فنفصّل تراجم وأخبار علمائها نسبياً ونحاول به ملء هذا الفراغ التاريخي الذي نجده عن مسلميها وبهذا الشأن نفرد باباً بالعلماء الموالي الذين كان أصلهم هندياً فيمكن أن نعلم عن حالة مسلمي الهند الدينية والعلمية والخلقية والحضارية بذكر أخبار أمرائها وعلمائها الموالي وفضلائها المواطنين والأجانب.

علماء الإسلام وعلماء الهند: كان العهد من القرن الثاني حتى القرن الرابع ربيعًا منوّرًا وزاهراً في حق العلوم والفنون الإسلامية لاسيما علم الفقه والحديث فكأنّ العالم الإسلامي بأسره كان مدرسة وكان علماء ومحدّثو كل مدينة وقرية يسيرون في الأرض سيرًا علمياً فكانت سلسلة التعليم والتعلم، التحديث والرواية، والتأليف والتدوين مستمرة من شرق الأرض إلى غربها وكان رواة الحديث سائرين على الشارع العام بأقلامهم ومحابرهم وكتبهم، وكان يشمل هذه القافلة العلمية والدينية عددٌ ملموسٌ من علماء الهند وكان طلابها يقصدون العالم الإسلامي مشغولين في التعلم والتأدب فكان هؤلاء الطلاب عادة يتعلمون على علماء ديارهم ومحدّثيها ثم يقدّمون خطواتهم خارج

الوطن وبعدما شبعوا من منهل العلم والفن رجعوا إلى وطنهم أو كانوا يقيمون خارج الوطن قاطعين حياتهم الأخرى في سبيل التعليم فالعلماء الذين رجعوا إلى الوطن لا نجد أخبارهم إلا قليلًا وأما الذين أقاموا خارج الوطن فنجد بعض أخبارهم في كتب الطبقات والرجال وعلى هذا فقد خفي علينا تراجم ومساهمات العديد من علماء الهند ومحدّثيها ونرى أنّ الهند كانت تفقد رواج العلوم الإسلامية لاسيما علم الحديث ورجاله في العهد الذي أصبح العالم الإسلامي بأسره دارًا للعلم وكان كل نحو من أنحائه يدوي بصوت العلوم والفنون الإسلامية، وأما العلماء الذين نجد ذكرهم في ذلك العهد فلم تكن لهم أيّ درجة ومنزلة بين هؤلاء العلماء المبرزين في الحديث.

هذه الفكرة خاطئة تمامًا بل الواقع أنّ الحديث كان يدوي به الهند في ذلك العهد وكانت جماعة المحدّثين مشغولة بالتحديث والرواية في كل مدينة كبرى وكانت جلسات الإملاء قائمة على ساقها وكان الأصحاب والشيوخ يعقدون جلسات البحث والمذاكرة حتى كان يردها الطلاب من أقصى البلاد وكان الجزء المهم من الدولة الإسلامية (السند ومكران) مشغولًا بنشر وترويج العلوم الدينية ولكن الأسف أنّ أخبار علمائهما وأدبائهما لم يتم تدوينها ولم يقم مؤرخ محلي أو كاتب بجمع تراجمهم وخدماتهم، وأسفر هذا عن خفاء تاريخ الهند العلمي على العالم وإن بدا في مكان ما فذهب به سيل العلوم العجمية والعقلية فلم تخف علينا أسماء ومساهمات الفقهاء والمحدثين بل خفي علينا أسماء وخدمات أدباء ذلك العهد وشعرائه وحكمائه وفلاسفته ومتكلميه وغيرهم من أرباب العلم والفن ولم يبلغنا خدماتهم كما لم يبلغنا خدمات الفقهاء والمحدثين وإلا فمن يقوم فيؤمن بأنه لم يولد أيّ عالم أو أديب أو شاعر من بين مسلمي الهند خلال القرون الثلاثة وهكذا فلا نجد وجود عالم أو فنّان في أيّ نوع من أنواع وأصناف العلم والفن.

فما نكتبه في الصفحات التالية عن العلوم والفنون الإسلامية في الهند والعلماء والفنانين المسلمين فيها سيكون مأخوذًا من كتب المؤلفين غير الهنود. والبديهي أنّ المؤلفين الأجانب ضبطوا من أحوال علمائنا ما وقعت فيهم أو بلغتهم فجاء فيه عفوًا ما كان يتعلق بالهند فهذه الأشياء الضمنية تفيدنا كثيرًا ومن هذه المكوّنات نصنع حلوى لذيذة.

وبعدما سقطت الدولة الهبارية بالمنصورة بدأ في الهند عصر السلاطين الغزنويين في 417هـ فما كان قبله من العصور الممتدة لأربعة قرون عربية بالنسبة لأنها كانت متأثرة أو تحت سيطرة الخلافة الراشدة، أو الأموية، أو العباسية، أو العرب المتغلبة ولا نجد أخبار علماء هذه العصور العربية إلا قليلًا، وقبل ذلك قمنا بتدوين التاريخ العلمي حتى العصر الأموي فنكتب في أخبار العلماء الموجزة حتى العصر الغزنوي خلال التاريخ العلمي للعصر العباسي لكي نسدّ ما نقص ولو قليلًا.

التعريف الموجز بعلماء الهند في العصر العباسي: وكما كان علماؤنا ومحدّثونا يجوبون العالم الإسلامي كله لتلقّي علوم الدين كما فعلوا في بلادهم وكانوا يسافرون إلى أقصى البلاد فكانوا يتلقّون العلم على علمائها وشيوخها للحديث فكذلك ساروا في الأرض لأداء هذه الأمانة وخدموا الحديث في أقصى بلاد العالم الإسلامي وأدناها فدرّسوا الحديث من مليبار وكله والمنصورة وملتان والديبل وقزوار ومكران والسند وبوقان إلى بغداد والبصرة ومكة والشام ودمشق وعذبون وأصفهان ومصر والقيروان والقرطبة والأندلس واستفاد منهم العلماء المحليون حيثما وردوا.

فيشمل تلامذتهم عباقرة العلم وجهابذة الحديث في العالم فسمع عنهم الحديث الأئمة والحفاظ ورووا عنهم شاهدين بفضلهم وكمالهم في المجال، فلا يقل بهجة ونخرًا لمسلمي الهند أنّ من المتأدبين المتعلّمين عليهم الإمام البخاري

والإمام أحمد بن حنبل والإمام الدارقطني والإمام الخطيب البغدادي والإمام أبا عبد الله الحاكم والإمام أبا حاتم الرازي والإمام ابن أبي حاتم الرازي والإمام أبا يعلى الموصلي والإمام أبا نعيم الأصفهاني والإمام أبا عوانة والإمام السمعاني والإمام ابن عساكر والإمام أبا الفتح عبد الغافر الكاشغري فكان الطلبة من أقاصي البلاد يردون إليهم مستفيدين كما كانوا يردون البلاد الإسلامية فيفيدونهم فقد توطن العديد من علمائنا هذه البلاد القاصية لأجل إفادة المسلمين كما كان العديد منهم يذهبون فيعودون بعد مدة. ولقد عثرنا على أخبار البعض منهم فنقدّم إلى القراء التعريف الوجيز بهم:

- أبو بكر أحمد بن السندي توطن بحي قطيعة بني حداد في بغداد، ولقد أعطى الأمراء العباسيون من العقارات في بغداد ما تسمّت بأربابها ففي الكرخ كان عقاران أحدهما قطيعة الفقهاء والآخر قطيعة الربيع وكان يسكنهما المحدّثون فأقام به أبو بكر أحمد بن السندي وجعل يدرّس فروى عنه الحديث الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وأبو علي بن شاذان وابن رزقويه وقد تلمذ له الخطيب البغدادي عن طريق.[1]

  ولقد أكثر الحافظ أبو نعيم الرواية في حلية الأولياء كما اصطفى الإمام الدارقطني أحاديثه، توفي ببغداد في 359هـ.

- أحمد بن السندي بن فروخ البغدادي درّس الحديث في بغداد والبصرة فروى عنه عبد الله بن عدي الجرجاني في البصرة، توفي في القرن الثالث.[2]

- أحمد بن السندي الرازي أقام بحديقة تسمّى باغ وبرزن بين مرو وري في خراسان فتولّى مسؤولية القضاء في قزوين وهمدان كما درّس الحديث ورواه بها، من تلامذته الإمام أبو حاتم الرازي.

---

[1] تاريخ بغداد، 187/4

[2] المصدر نفسه، 187/2

- أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهندي يشتهر بابن الهندي والهمداني، علّم بالأندلس فروى عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأحدب اللخمي.[1] وكذا روى عنه بالأندلس أبو بكر بن سيرين وحمزة بن الحاجب[2] وقد استفاد منه العلماء حين قيامه بهمدان، وكان حافظًا لأخبار وأحوال علماء الأندلس. توفي بالأندلس في رمضان 399هـ.
- أبو العباس أحمد بن عبد الله الديبلي جاب أشهرَ مدن العالم الإسلامي في تلقّي العلوم حتى بلغ نيسابور فالتزم بها ولم يغادرها وممن سمع عنه الحديث الحافظ أبو عبد الله الحاكم، توفي بنيسابور في رجب 342هـ ودفن بمقبرة الحيرة.
- أبو بكر أحمد بن القاسم بن سليمان السندي أقام ببغداد، كان معدّلًا يوثق ويعدل عامة الناس من قبل الحكومة، كما كان يسوّي بين التجار والمشترين لذا سمّي بيّعًا وكذا كان يدرّس الحديث فروى عنه عبد العزيز بن علي الأزجي الذي روى عنه الخطيب البغدادي.[3]
- أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الديبلي الحربي البغدادي الرازي أقام ببغداد وكان من أشهر المقرين، روى عنه أبو علي دوما نعّال وأحمد بن علي باوا والقاضي أبو العلاء الواسطي كما روى عنه الخطيب البغدادي عن طريق أبي علي. ولد في 375هـ وتوفي في شهر رجب 370هـ.[4]
- أبو الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين السندي المصري الصابوني كان مسند مصر ومحدثًا عظيمًا، توطن مصر وممن روى عنه الحافظ أبو زرعة الرازي الصغير وابن النظيف أحمد بن محمد الحاج وغيرهما. توفي

---

[1] كتاب الفهرست، ص 252
[2] ترتيب المدارك، 650/4
[3] تاريخ بغداد، 354/4
[4] المصدر نفسه، 113/5-114 وغاية النهاية، 131/1-132

في شوال 349هـ أو 344هـ بالغًا من العمر 150 سنة، ويمكن بها تقدير مدة تدريسه.[1]

- أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح التميمي المنصوري كان قاضياً للمنصورة ويدرّس بها الحديث ولقد تعلّم بها على غلامه الذي أعتقه في البداية ثم ذهب إلى بغداد ورجع بعد الفراغ منها، وفي أثناء هذا السفر نزل بالعراق، كان يتبع داود الظاهري. روى عنه الحافظ عبد الله الحاكم.[2]
- أحمد بن محمد الهندي الكرابيسي صاحب "كتاب الوصايا".[3]
- أبو عبد الله أحمد بن موسى دتّا الديبلي، روى عنه أشهر علماء القرن الثالث أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الديبلي كما ذكر السبكي في "طبقات الشافعية" ولعل كلا العالمين التقيا في وطنهما الديبل.
- أبو حامد أحمد بن محمد المنصوري روى عن علي بن محمد النخعي وروى عنه أحمد بن محمد الصراف، ذكره أبو عاصم العبادي من أصحاب الطبقة الرابعة للشوافع في "طبقات الفقهاء الشافعية" وذكر الصميري حديثًا في "أخبار أبي حنيفة وأصحابه".[4]
- أبو بكر أحمد بن محمد المنصوري البكرآبادي كان محدثًا وفقيهًا، وكان يسكن بكرآباد في ضواحي جرجان. روى عن الإمام أبي بكر الإسماعيلي والحافظ ابن عديز توفي يوم الاثنين 29/ جمادى الأولى سنة 423هـ ودفن يوم الثلاثاء.[5]
- أبو محمد أحيد بن حسين بن علي بن سليمان السلمي البامياني لم نجد ما

[1] حسن المحاضرة، 156/1 وتذكرة الحفاظ، 194/3 وميزان الاعتدال، 149/2

[2] الأنساب المتفقة، ص 154 وأحسن التقاسيم، ص 481

[3] كشف الظنون، 306/2

[4] طبقات الفقهاء الشافعية، ص 89 وأخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص 64

[5] تاريخ جرجان، ص 30

يدلّ على أنه غادر وطنه باميان، روى عنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب (ت285هـ).[1]

- أبو إسحاق إبراهيم السندي بن علي بن بهرام الأصفهاني غادر وطنه السند وتوطن أصفهان وروى بها الأحاديث. ذكره أبو نعيم الأصفهاني بصاحب الأصول، من تلامذته إبراهيم بن محمد بن حمزة وعبد الله بن محمد بن جعفر ومحمد بن يوسف وسليمان بن أحمد. توفي في 313هـ.[2]
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي كان ابن محدث مكة محمد بن إبراهيم الديبلي (ت322هـ)، لم نجد هل توطن الديبل أم مكة إلا أننا نجد قيامه ببغداد ورواية الحديث بها فقال الخطيب البغدادي إنّ أبا يعلى حمزة بن محمد بن حمزة القزويني ورد بغداد في سفره للحج فروى بها عن إبراهيم بن محمد الديبلي.[3]

وفي ذكر إبراهيم بن محمد الديبلي يناسبني أن أذكر دعاءً مجرّبًا بينه وبين غيره من المحدثين فكتب الحافظ ابن حجر في "مختصر الترغيب والترهيب" أنه يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "اثنتا عشرة ركعة تصلّيهن من ليل أو نهار، وتتشهد بين كل ركعتين، فإذا تشهدت في آخر صلاتك فاثنِ على الله عزّ وجلّ، وصلِّ على النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واقرأ وأنت ساجد فاتحةَ الكتاب سبع مرات، وآية الكرسي سبع مرات، وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، عشر مرات، ثم قل: اللهم إني أسألك بمعاقد العزّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم، وكلماتك التامة. ثم سَلْ حاجتك،

[1] الإكمال، 178/3
[2] تاريخ أصفهان، 13/1
[3] تاريخ بغداد، 272/8

ثم ارفع رأسك، ثم سلّم يمينًا وشمالًا، ولا تعلّموها السفهاء، فإنهم يدعون بها فيستجاب".

قال أحمد بن حرب: إني جرّبته فوجدته حقًا. قال إبراهيم بن محمد الديبلي: إني جرّبته فوجدته حقًا، قال أبو زكريا: إني جرّبته فوجدته حقًا، وقال الحاكم: إني جرّبته فوجدته حقًا.[1]

- أسلم بن السندي الرازي ذهب من السند إلى الري. ذكر السمعاني وابن ماكولا أنّ أبا الحسن علي بن حسين السيازي كان من تلامذته والذي كان معروفًا بـ"عليّك الطويل" وسيازه قرية في ضواحي بخارى.[2]
- أبو إبراهيم إسماعيل بن السندي الخلّال كان مقيمًا بحيّ باب الشام وسمع به محمد بن مخلد أقاويل وحكم بشر بن الحارث الحافي[3] وذكر الذهبي أنّ أسباط بن نصر الهمداني كان من تلامذته.[4]
- إسماعيل بن محمد بن رجاء السندي الأسفرائيني النيسابوري لم نجد عن الرجل المروي عنه ولا من روى عنه.
- بشير بن عمرو بن أبي هارون السندي المالكي اعتبره القاضي عياض من فقهاء الطبقة الأولى للمالكية في "ترتيب المدارك" والذين كانوا من العراق فلا رأوا الإمام مالكًا ولا رووا عنه ولكن الفقه المالكي ينتهي عليهم وساهموا في تعليمه وترويجه.[5]
- أبو محمد جعفر بن خطاب القصداري كان من سكان قصدار (قزوار) إحدى مدن بلوجستان ولكنه أقام ببلخ وروى بها الحديث. روى عنه الحديث

[1] مختصر الترغيب والترهيب، ص 49-50

[2] كتاب الإنساب والإكمال، ص 510

[3] تاريخ بغداد، 283/6

[4] ميزان الاعتدال، 84/1

[5] ترتيب المدارك، 551/2

إمام الحديث الشهير أبو الفتوح عبد الغافر بن حسين بن علي الكاشغري.[1]

- أبو القاسم جعفر بن محمد السرنديبي تلقّى علم التجويد والقراءة عرضًا على الإمام قنبل (أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي المكي المتوفى سنة 291هـ) فروى عنه القراءة أبو بكر محمد بن محمد بن عثمان الطرازي.[2]
- حبيش بن السندي البغدادي كان من أجلة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وكان يسكن حيّ القطيعة. ذكر الخطيب البغدادي محمد بن مخلد من تلامذته.[3]
- أبو محمد حسن بن حامد الديبلي البغدادي كان عالمًا وتاجرًا غنيًا وكان له خان بدرب الزعفران سمّي باسمه "خان ابن حامد". وقد سافر من الديبل إلى بغداد ودرّس الحديث في مختلف المدن بجانب التجارة. ومن أبرز المدن التي درّس بها بغداد ومصر ودمشق. روى عنه محمد بن علي الصوري الذي روى عنه الخطيب البغدادي. توفي ابن حامد الديبلي يوم الأحد الواحد من شوال سنة 407هـ بمصر.[4]
- أبو القاسم حسين بن محمد أسد الديبلي سافر من الديبل إلى دمشق في 340هـ وروى الحديث عن الإمام أبي يعلى الموصلي وغيره من المحدثين. وأما من روى عنه الحديث فلم نقف عليه وكذا لا نجد رواية عن إقامته خارج الديبل ولعله رجع من دمشق فأقام بوطنه.[5]
- أبو بكر حمدان بن محمد بن رجاء السندي النيسابوري الأسفرائيني، ينحدر من بيت السندي بأسفرائن. روى عنه الإمام أبو محمد عبد الله بن الجارود

[1] كتاب الأنساب، رقم الورقة: 455

[2] غاية الغاية، 198/1

[3] تاريخ بغداد، 184/8

[4] تاريخ بغداد، 303/7 ومختصر تاريخ ابن عساكر، 159/4

[5] مختصر تاريخ ابن عساكر، 355/4

النيسابوري (ت 307هـ) في كتاب النكاح لكتابه "منتقى ابن الجارود".[1]

- خلف بن محمد الموازيني الديبلي روى في بغداد والديبل وممن روى عنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران بن جندي. ذكر الخطيب أنه نزل بغداد بينما ذكر السمعاني أنه كان نزيلًا ببغداد ولعل خلف بن محمد الديبلي لم يكن يقيم ببغداد بصورة منتظمة.[2]
- أبو سليمان داود بن حصين بن عقيل بن منصور كان من سكان المنصورة. روى عن إبراهيم بن الأشعث البخاري. لم يصرّح كاتب ولا مؤرخ عن خروجه من المنصورة فكأنه أقام بالمنصورة.[3]
- أبو محمد رجاء السندي النيشابوري الأسفرائني. قال أبو حاتم الرازي إني رأيت إبراهيم بن موسى الرازي وأبا جعفر الجمال قد كتبا الحديث في جلسات رجاء بن السندي العلمية وعلاوة على ذلك روى عنه أحمد بن حفص وأبو حاتم الرازي وولده أبو عبد الله محمد بن رجاء. ذكر ابن الحجر في تهذيب التهذيب أن الإمام البخاري روى عنه كما ذكر قول المزّي أني لم أجد ذكر رجاء بن السندي في صحيح البخاري. عسى أن الإمام البخاري روى عنه في التاريخ الكبير أو في كتاب غيره. وهكذا روى عنه الإمام أحمد بن حنبل وبكر بن خلف وابن أبي الدنيا وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ.[4]
- أبو بكر السندي الخواتيمي البغدادي كان من أجلة تلامذة الإمام أحمد بن حنبل وترجمانًا لفتاوى ومسائل الإمام أحمد. كان يقيم ببغداد في جوار الإمام. لم نجد أسماء مَنْ روى عنه.[5]

---

[1] المتقى لابن الجارود، ص 235

[2] تاريخ بغداد، 333/8

[3] كتاب المجروحين من المحدثين، 286/1

[4] الجرح والتعديل، 503/2/1 وتاريخ جرجان، ص 170 وتهذيب التهذيب، 268/3

[5] طبقات الحنابلة، 171/1

- سندي بن أبو هارون ذكره ابن أبي حاتم الرازي في "الجرح والتعديل" والذهبي في "ميزان الاعتدال" وذكراه مجهولًا وذكر من بين تلامذته مسدّد بن مسرهد.[1]
- أبو الهيثم السندي بن عبدويه الكلبي الرازي الدهكي هو سهل بن عبد الرحمن أو عبدويه. أقام بدهك في الري وكان قاضي همدان وقزوين. روى عنه زافر بن سليمان وعمرو بن رافع أبو حجر وعبد الله بن سالم البزاز والحجاج بن حمزة وأبو عبد الله محمد بن حماد الطهراني ومحمد بن عمار وأحمد بن إبراهيم النرمقي.[2]
- سليمان بن ربيع بن هشام الهندي لا نجد عنه سوى أنه روى عن محمد بن سلام البخاري.[3]
- سندي بن علي البغدادي الورّاق كان دكانه بطاق الزبل في بغداد وكان يبيع به الكتب كما كان ينسخها. وكذا كان ورّاق إسحاق بن إبراهيم الموصلي في زمن من الأزمان، ويروى أن كتاب الأغاني الكبير المنسوب إلى إسحاق الموصلي من مؤلفاته.[4]
- أبو داود سيبويه بن إسماعيل بن داود بن أبي داود الواحدي القزواري صرّح عنه الإمام السمعاني أنه كان مجاور مكة المكرمة والمقيم بها وكان يروي بها وهو ثاني علماء الهند بعد محدث مكة، محمد بن إبراهيم الديبلي، الذي درّس الحديث بمكة وقضى حياته في هذه الخدمة. لم نجد عن أسماء تلامذته. توفي في نحو 460هـ.[5]

---

[1] ميزان الاعتدال، 428/1 والجرح والتعديل، 88/1/2

[2] الجرح والتعديل، 318/1/2 ومعجم البلدان، 114/4 و280/8

[3] الإكمال، 410/2 (الهامش)

[4] الفهرست، ص 203

[5] كتاب الأنساب، رقم الورقة: 455

- أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد بن شعيب العبدي الديبلي درّس الحديث في أصفهان ودمشق ومصر. ذكر أبو نعيم الأصفهاني أنه ورد أصفهان في 305هـ وذكر السمعاني أنه ورد مصر ودرّس بها الحديث وقال ابن عساكر إنه روى الحديث في دمشق ومصر، وسمع عنه الأحاديث جماعة من المحدّثين. درّس الحديث بدمشق، كما صرّح به ابن عساكر، في 313هـ. روى الإمام السمعاني عن تلميذه أبي سعيد بن يونس وروى الإمام أبو نعيم الأصفهاني عن كل من القاضي أبي أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم ومحمد بن جعفر بن يوسف. يكنّى شعيب بن أحمد بابن أبي قطعان الديبلي. لم يصرح عن قيامه المستقل ببلد خارج الديبل.[1]
- عباس بن عبد الله السندي كان من كبار المحدثين ولكن لم نجد ترجمته. روى عن الإمام سعيد بن منصور صاحب السنن الذي كان ساكن مكة وتوفي بها في 229هـ. وقد روى عن السندي أبو عثمان بن أحمد بن عبد العزيز الشيبي بمكة المكرمة وكذا روى عنه أبو بكر المقري.[2]
- أبو محمد عبد الله بن سليمان بن عيسى بن هيثم أو عيسى بن السندي الورّاق روى عنه الإمام أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين ويوسف بن عمر القواس. درّس الحديث ببغداد ولكن لم نعلم هل أقام ببغداد أم غادرها.[3]
- أبو محمد عبد الله بن جعفر بن مرة المنصوري المقري تلمذ له الحافظ أبو عبد الله الحاكم كما ذكره ابن القيسراني والسمعاني.[4]
- عبد الله بن عبد الرحمن الملِيباري السندي روى الحديث في عذيون بالشام،

[1] تاريخ أصفهان، 345/1 وتاريخ ابن عساكر، 434/6

[2] ميزان الاعتدال، 193/3 وتهذيب التهذيب، 89/4 وجامع بيان العلم، 23/2، والإكمال (هامش)، 519/4

[3] الإكمال (هامش)، 411/3

[4] الأنساب المتفقة، ص 154

من تلامذته أبو عبد الله ولعل الصوري روى عنه في هذا السفر.[1]

- عبد الله بن محمد السندي (ت229هـ) ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية".[2] لم نجد شيئًا عن أساتذته ولا عن تلامذته.
- عبد الحميد الهندي كان صالحًا تقيًا، سافر من الهند إلى قيروان فدرّس بها الحديث وتوفي بها في 253هـ.[3]
- عبد الله بن حسن بن السندي الدمشقي الأندلسي ذكره بالإيجاز الضبي في "بغية الملتمس" بنسبته للدمشقي ثم ذكر وفاته بالأندلس في 335هـ وأما ابن عساكر فقد ذكره في "تاريخ دمشق" كما سمّى له كتابًا، فسافر من السند إلى دمشق ومن ثم إلى الأندلس حيث توفي. لم نجد أحدًا ممن تلمذ له في هذه البلاد الثلاثة.[4]
- أبو الفتح عبد الصمد بن عبد الرحمن الأشعثي اللوهوري (اللاهوري) سافر إلى سمرقند فحدّث بها، لم نجد عنه سوى أنه توفي بلاهور في 429هـ فلعله رجع إلى لاهور بعدما أتمّ دراساته ولم يغادرها.[5]
- عبد الرحيم بن يحيى الديبلي روى عنه أحد مواطنيه شعيب بن محمد الديبلي. ما وجدنا في كتابٍ سفرَه إلى خارج الديبل ولا وجدنا ترجمته المستقلة، فقط ذكره أبو نعيم الأصفهاني أن شعيب بن محمد الديبلي روى عنه الحديث.[6]
- علي بن بنان بن السندي البغدادي العاقولي وكذا يشتهر بنسبته "الدير

[1] معجم البلدان، 155/8

[2] البداية والنهاية، 303/10

[3] ترتيب المدارك، 130/3

[4] مختصر تاريخ ابن عساكر، 363/7

[5] كتاب الأنساب، ذكر أبي الفتح عبد الصمد اللوهوري

[6] تاريخ أصفهان، 345/1

عاقولي" ودير عاقول كان موضعًا شهيرًا بين مدائن كسرى والنعمانية بساحل دجلة على بعد 15 فرسخًا من بغداد فسافر علي بن بنان من السند إليها وأقام بها. روى عنه القاضي محمد بن إبراهيم بن حمدان بن نيطر العاقولي وكذا روى عنه الخطيب البغدادي بواسطتين.[1]

- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الديبلي صاحب كتاب "أدب القضاء" من علماء الديبل في القرن الثالث روى عن مواطنه أبي عبد الله بن أحمد بن موسى دتار الديبلي وغيره من المحدثين، لم نجد قولًا عن سفره إلى بلد آخر.[2]

- علي بن موسى الديبلي ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة خلف بن محمد الديبلي وقال إنه روى عن علي بن موسى الديبلي في الديبل وبغداد أي درّس الحديث في كلا البلدين.[3] لم يبلغنا هل استقر ببغداد أم لا إلا أنه درّس بها الحديث.

- علي بن عبد الله بن السندي درّس الحديث ببغداد روى عنه أبو بكر بن محمد بن عيسى التميمي الطرطوسي كتابًا في فضائل طرطوس ولا ندري هل أقام ببغداد دائمًا أم كان يأتيها أحيانًا.[4]

- علي بن إسماعيل السندي كتب عنه الكشي في رجال الشيعة أنّ أباه إسماعيل لقّب بالسندي وهو يدعى بعلي بن السندي كذلك وهو ثقة في رجال الشيعة.[5] لم نجد شيئًا عن أساتذته وتلامذته ولا بلغنا أكثر من ذلك في أخباره.

---

[1] تاريخ بغداد، 354/11

[2] طبقات الشافعية الكبرى، 290/3 وكشف الظنون، 73/1

[3] تاريخ بغداد، 333/8

[4] المصدر نفسه، 405/3

[5] رجال الكشي، ص 368

- أبو حفص عمر بن محمد بن سليمان المكراني غادر وطنه إلى العراق ومن ثم إلى الحجاز فروى عن أبي الحسن محمد بن أحمد البزاز وأما أبو حفص فقد روى عنه أبو القاسم الشيرازي.
- أبو العباس فضل بن سكن بن سحيت السندي القطيعي كان يقيم بقطيعة الفقهاء بكرخ في بغداد، استفاد منه مشاهير العلماء بمن فيهم أبو يعلى الموصلي ومحمد بن موسى بن حماد البربري وإبراهيم بن عبد الله بن أيوب المخرمي. كان من معاصري الإمام يحيى بن معين وجرحه أيضًا. سمّي جده سحيت سخيتاً أو سكيتاً في بعض الكتب.[1]
- فضل بن أحمد الهاشمي المنصوري الأصفهاني ذكره أبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصفهان وكتب أنه سافر إلى بغداد ودرّس بها الحديث. وهذا يعني أنّ فضل بن أحمد المنصوري درّس الحديث بأصفهان وبغداد علاوة على وطنه، ولا ندري هل كان يسافر إلى هذين البلدين أم أقام بأحدهما فيبدو من قول أبي نعيم أنه أقام بأصفهان تاركًا المنصورة وأما رحلته إلى بغداد فكانت مؤقّتة. من تلامذته سليمان بن أحمد. ويدعى أيضًا فضل بن صالح المنصوري.[2]
- أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن فضل الديبلي المكي هو محدث مكة فسافر من الديبل إلى مكة فجاورها وأقام بها ودرّس بها الحديث. روى كتاب التفسير للإمام سفيان بن عيينة وكتاب البر والصلة للإمام عبد الله بن مبارك ونسخة إسماعيل بن جعفر المدني. روى عنه العديد من المحدّثين. وأبرزهم مُسنِد الحجاز أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي والعطّار وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن المقري والقاضي إسحاق بن أحمد بن خربان النهاوندي وأحمد بن دهم. توفي يوم السبت الثاني من

---

[1] تاريخ بغداد، 362/12 وميزان الاعتدال، 329/2

[2] تاريخ أصفهان، 155/2

جمادى الأولى سنة 322هـ بعد العصر ودفن بمكة المكرمة اليوم التالي حين الضحى، وكان ولده إبراهيم بن محمد الديبلي محدّثًا شهيرًا.[1]

- محمد بن أحمد بن المنصور البوقاني السندي لم نجد ترجمته المستقلة وكتب الذهبي في ترجمة الحافظ ابن حبان البستي (ت354هـ) أنّ محمد بن المنصور البوقاني روى عنه.[2]
- أبو عبد الله محمد بن أيوب بن سليمان بن يوسف بن أشردسينداد العودي الكلهي سافر من مدينة كله في جنوب الهند إلى بغداد فدرّس بها الحديث، كان من رواة أحاديث الإمام الأعمش الخواصّ. روى عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن حسن بن شاداني البزاز. لم نجد عن إقامته الدائمة ببغداد. وأغلب الظن أنه سافر إليها للدراسة والتدريس.[3]
- أبو بكر محمد بن حسين بن محمد الديبلي الشامي المقري بدأ تدريس الناس من الشام، ومن أبرز تلامذته الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني وعبد الباقي بن حسن.[4] كان من علماء ومحدثي القرن الرابع.
- أبو عبد الله محمد بن رجاء السندي النيسابوري والأسفرائني كانت أسرته متوطنة في أسفرائن بنيسابور فأنجبت كبار المحدثين. درّس محمد بن رجاء السندي في نيسابور وبغداد. وممن روى عنه ولده محمد بن محمد بن رجاء السندي وإبراهيم والإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار وأبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا وأحمد بن بشر المرثدي. روى عنه الرجلان الأخيران ببغداد مع أنهما جاءا هنا للحج. فاختلف في راوٍ هنا فلما رجع إلى الوطن أخبرا به التلامذة

[1] العقد الثمين، 397/1 ومعجم البلدان، 18/4 واللباب، 437/1 ومشتبه النسبة، ص 29 وشذرات الذهب، 397/2 والمؤتلف والمختلف، ص 38 وتذكرة الحجاج، 315/3 و45/4

[2] تذكرة الحفاظ (ترجمة الحافظ ابن حبان البستي)

[3] كتاب الأنساب (ترجمة أبي عبد الله محمد بن أيوب بن سليمان العودي الكلهي)

[4] غاية النهاية، 133/2

البغداديين وصحّحا الخطأ.[1]

- أبو الحسن محمد بن عبد الله السندي روى عنه أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد البصري الكلائي في أحد أشهر مواضع البصرة وأسواقها "كلّا" كما كتب ياقوت الحموي ولم نجد عنه أكثر من ذلك.[2]
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديبلي شامي مصري شهير. كان عابدًا وصالحًا صاحب كرامات. يعرف بأبي عبد الله الديبلي. تعلّم التجويد والقراءة على جعفر بن محمد بن مقيط وعبد الرزاق بن حسن وسكن بن بكرويه. ذكره ابن الجزري وابن الجوزي. توطن الشام.[3]
- أبو بكر محمد بن علي بن أحمد البامياني كان محدثًا ثقة. غادر باميان لبغداد فروى الحديث عن الخطيب البغدادي وغيره. توفي في رجب سنة 390هـ.[4]
- أبو العباس محمد بن محمد بن عبد الله الديبلي الورّاق كان من العباد الصالحين، سمع الحديث عن مشاهير محدّثي عصره. وممن سمع عنه الحديث الحافظ أبو عبد الله الحاكم. توفي شهر رمضان 354هـ وصلّى جنازته أبو عمر بن نجيد.[5]
- الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء بن السندي الأسفرائني النيسابوري الحنظلي مصنّف ومخرّج "الصحيح على شرط مسلم". كان كوكبًا متلألئا في بيت السندي في نيسابور. روى عنه الحديث الإمام أبو عوانة وأبو حامد بن الشرقي ومحمد بن صالح بن هانئ وابن الأخرم وأبو النضر محمد بن محمد وأبو حاتم الرازي وغيرهم من المحدثين. توفي في

---

[1] تاريخ بغداد، 376/5

[2] معجم البلدان، 269/7

[3] غاية النهاية، 190/2 وصفة الصفوة، 54/4 وطبقات الشافعية، 290/3

[4] معجم البلدان، 269/7

[5] كتاب الأنساب (ترجمة أبي العباس محمد بن محمد بن عبد الله الديبلي الورّاق)

286هـ بالغًا من العمر ثمانين سنة.[1]

- أبو القاسم منصور بن محمد السندي الأصفهاني المقري الورّاق كان سندًا في التجويد والقراءة. وكان الراغبون في الفن يردون من أقصى البلاد فيتعلمونهما عليه. روى كثيرًا من الحديث بالبصرة وبغداد فكان يروي عنه المحدثون. من تلامذته الإمام أبو نعيم الأصفهاني وأبو الفضل الخزاعي وأحمد بن محمد البلخي وعبد الله بن محمد الزراع الطبراني وعثمان بن محمد بن إبراهيم المالكي وأحمد بن محمد بن عبد الله الأسكافي. توفي في شهر محرم 386هـ.[2]
- أبو محمد موسى بن السندي الجرجاني البكرآبادي السكّاك. أقام بسكرآباد في نواحي جرجان، وبعدما تعلّم على كبار علماء زمنه درّس الحديث بجرجان. كان يمتلك مؤلفات شيخه الإمام وكيع بن الجرّاح التي رواها في 230هـ. من تلامذته محمد بن عمر بن علاء الصيرفي وعمران بن موسى وعلي بن محمد الجوهري وأبو بكر جعفر بن محمد الفريابي وأبو علي حسين بن حفص الجرجاني ومحمد بن يزداد بن سالم الأسترآبادي وأمّ عبد الرحمن زوجة محمد بن علي بن زهير. روى عنه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني بواسطتين وذكره في تاريخ جرجان. أحبّ تلامذته أبو علي حسين بن حفص الجرجاني ويعرف بصاحب موسى بن السندي. وكان يقول محمد بن عمر بن علاء الصيرفي حينما يروي عنه: "حدّثنا أبو محمد موسى بن السندي، السكّاك، الثقة، المأمون".[3]
- أبو الحسن نصر الله بن أحمد بن القاسم بن سيما بن السندي البغدادي البيّع. كان مقيمًا بباب الأزج في بغداد، وهذا موضع واسع في شرقي

[1] تذكرة الحفاظ، 230/2 وشذرات الذهب، 153/2

[2] تاريخ أصفهان، 231/2 وغاية الغاية، 314/2

[3] تاريخ جرجان، 149/6

بغداد. مضى ذكر والده أحمد بن القاسم بن سيما السندي. كان يدرّس ببغداد وكان يحضر دروسَه كبارُ العلماء. صرّح الخطيب البغدادي حين ترجمته أني كتبت الأحاديث عنه ورويتها. وقد نقل حديثًا بروايته. توفي في شهر ذي القعدة سنة 433هـ.[1]

- هبة الله بن سهل السندي لم نجد ترجمته المستقلة إلا أننا نجد الرواية عنه في تراجم مختلف العلماء والمحدثين. من تلامذته الحافظ ابن عساكر والإمام السمعاني. روى عنه الحافظ ابن عساكر في أصفهان.[2]
- أبو حمزة هريم بن عبد الأعلى بن فرات السندي ذكره الإمام أبو نعيم في تاريخ أصفهان وقال إنه روى في 220هـ في أصفهان، ممن روى عنه الإمام أبو نعيم الأصفهاني وعيدان وابن رستة.
- أبو جعفر السندي جاء ذكره في "ميزان الاعتدال" في ترجمة عمرو بن مالك الراسبي، وقد نقل الإمام الترمذي قول الإمام البخاري أنّ عمرو بن مالك الراسبي كذّاب فاستعار أبا جعفر السندي كتابه وألحق به الأحاديث.[3] لا ندري أين أقام أبو جعفر السندي وكم شيخًا له وكم رجلًا استفاد منه.
- أبو بحار الهندي ذكره ابن كثير في وفيات 219هـ. لم نجد عنه أكثر من ذلك.[4]
- أبو حذيفة الهندي ذكره ابن كثير في وفيات 220هـ.[5]
- أبو الفرج السندي الكوفي ذكره أبو جعفر الطوسي وقال إنّ جماعة من

---

[1] تاريخ بغداد، 302/13

[2] كتاب الأنساب، رقم الورقة: 199 وتذكرة الحفاظ، 119/4

[3] ميزان الاعتدال، 231/2

[4] البداية والنهاية، 283/10

[5] المصدر نفسه، 183/10

العلماء رووا كتابه عني.

- أبو محمد الهندي ذكره البلاذري في "فتوح البلدان" بأنّ أبا محمد الهندي روى عن الفرج عن علي بن محمد المدائني أنّ محمد بن القاسم سيطر على بلاد السند كلها بعدما قتل الملك داهر.[1]

إزالة سوء فهم عن الوطنية: يزعم كثير من العلماء أنه لم يولد في الهند إلا قليل من العلماء والمحدّثين في صدر الإسلام وإذا ولد عالم فغادرها لجوّها غير العلمي وتوطّن البلاد الإسلامية أو على الأقل بلاد المسلمين ولم يعقد أيّ علاقة مع الهند وطنه المألوف ومع ذلك فإنّ مثل هؤلاء العلماء لم تكن لهم أيّ درجة علمية ممتازة بل جاء ذكرهم على سبيل الذكر أو خلال ذكر تراجم الآخرين من العلماء والمحدّثين فالهند كلها كانت فارغة عن العلماء والمحدّثين في زمن كان العالم الإسلامي كله دارًا للعلم، والسبب وراء هذه الفكرة الخاطئة أنّ الهند لم تكتب تراجم أبنائها. وأما المؤرخون الأجانب فذكروا علماء الهند في كتب تراجمهم وسيرهم وإلا فكان علماؤها من شيوخ وطلاب الدار العالمية للعلم والفن، وكانوا يقومون بالرحلات العلمية إلى بلاد العالم كلها كعادة علماء البلاد الأخرى فكانوا يسافرون من الهند إلى القيروان والأندلس وكانوا ينزلون في بلد يستفيدون من علمائه كما كانوا يقيمون في بلد جلساتِ التعليم والتدريس. وفي بعض الأحيان كانوا يقيمون ببلد لسنوات في حال كانوا يعقدون أواصرهم العلمية مع العالم الإسلامي كله وزدْ على ذلك أنّ علماءها قد توطنوا بلادًا أخرى حتى ماتوا بها ودفنوا في أرضها إلا أنّ أفراد أسرهم مشهورون بوطنهم الأصلي مع نسبتهم إلى وطنهم الحالي.

وأما القول بأنّ هؤلاء العلماء لم يكونوا مرتبطين بوطنهم الأصلي فهو خلاف للواقع بل الحق أنهم كانوا مرتبطين بوطنهم الأصلي مع أنهم ذكروا البلاد

[1] فتوح البلدان، ص 466

التي استفادوا من علمائها أو أفادوا أبناءها. قد ذكرهم أبناء تلك البلاد في كتبهم التاريخية.

فمثلًا تاريخ بغداد وتاريخ أصفهان وتاريخ جرجان وتاريخ ابن عساكر شحن بتراجم وسير مثل هؤلاء العلماء، ونرى أنّ هؤلاء غادورا وطنهم فتوطنوا بغداد وأصفهان وجرجان والشام والحال أنّ تواريخ البلاد الإسلامية تذكر بالرغم من علماء بلادها، كل عالم قام بعبء التحديث أو الرواية أو مرّ بها أو أقام بها حتى قد ذكرت سنة ورود بعض العلماء فمثلًا جاء في تاريخ أصفهان عن شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي: "قدم أصفهان سنة خمس وثلاثمئة"، وجاء في هريم بن عبد الأعلى بن فرات السندي "حدّث بأصفهان سنة عشرين ومئتين"، وكتب ابن عساكر في ترجمة حسين بن محمد بن أسد الديبلي "وكان تحديث المترجم بدمشق سنة أربعين وثلاثمئة" فلا يبدو من هذا أنّ هؤلاء العلماء أقاموا بأصفهان ودمشق بصورة منتظمة، وكذا جاء في بعض العلماء أنه "نزل" أو هو "نزيل" فمثلًا أنّ الخطيب قال عن خلف بن محمد الديبلي وعلي بن موسى الديبلي في تاريخ بغداد أنهما نزلا. وهذا ليس بدليل على قيامهما الدائم. وكذا كتب الإمام البخاري في "التاريخ الكبير" عن أبي موسى إسرائيل بن موسى البصري "نزل الهند". ونفس الشيء كتبه ابن حجر عنه في "تهذيب التهذيب" والحال أنه كان يردها للتجارة وأما إقامته الدائمة فقد كانت بالبصرة.

ونجد في تراجم العديد من العلماء نسبة "الأصفهاني" و"البغدادي" مما يبدو منها أنهم أقاموا بأصفهان وبغداد إقامة دائمة والواقع خلاف ذلك بل قد ينسب المرء إلى بلد بعد قيامه بذلك البلد لأربع سنوات.

ونجد نفس الصورة اليوم فالعلماء يسكنون البلاد والمدن النائية وفي بعض الأحيان لا يرجعون لسنوات عديدة ولكننا لا نعتبرهم مواطنين لذلك البلد أو لتلك المدينة. ومن العلماء الهنود من أقام بخارج الوطن لسنوات ولكنهم

رجعوا إلى وطنهم حينما أصابهم المرض فتوفوا به فذكر الشرقاوي في أبي المكارم فضل الله بن الحافظ أبي سعيد محمد البوقاني السندي في "التحفة البهية في طبقات الشافعية": "مرض بنيسابور وحمل إلى بلده فمات بها" وكتب السمعاني في ترجمة عبد الصمد بن عبد الرحمن اللاهوري: "مرض بسمرقند وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمئة بلوهور (لاهور)" فيبدو من هذه الأمثلة أنّ علماء الهند لم يقطعوا علاقتهم بوطنهم ولو أنهم أقاموا بخارجها بل بقيت أسرتهم بها وكانوا يختلفون إليها.

وخلال هذه الرحلات الدينية والعلمية توفي بعضهم في الخارج أو أصيبوا بمأساة فمثلاً محمد بن عثمان اللاهوري توفي في مكران حين رجوعه من السفارة، ومحمد أحمد البوقاني استشهد في مشهد، ومحمد بن المأمون اللاهوري قتله الملاحدة في آذربيجان. وهذا لا يعني أنّ هؤلاء غادورا وطنهم في بوقان ولاهور وتوطنوا في مكران ومشهد وآذربيجان فكلمات مثل "أقام" و"سكن" ليست بدليل على هذا فقال السمعاني في أحمد بن محمد بن صالح المنصوري: "من أهل المنصورة سكن العراق" والحال أنه كان قاضي المنصورة وكان يدرّس بها الحديث بصورة منتظمة إلا أنّ إمكان التوطن أقرب من الاختلاف إلى الوطن فإن صرّح عن عالم من علماء الهند أنه أقام أو سكن فنحكم على أنه توطن بالخارج فكما قال الخطيب عن أحمد بن السندي بن بحر البغدادي "يسكن قطيعة بني حداد" كما ذكر عن حسن بن حامد الديبلي البغدادي أنه سكن بدرب الزعفراني، وعن إسماعيل بن السندي البغدادي بأنه "ينزل القطيعة"، وعن أبي بكر السندي البغدادي "هو من جوار أبي الحارث مع أبي عبد الله" فيغلب من مثل هذه الصراحات أنّ علماء الهند خرجوا عن ديارهم وأقاموا بالخارج بالالتزام إلا أنّ هذا الحكم لا يصدر بمجرد رحلته إلى بلد أو قيامه بها لأيام أو بذكر ترجمته في تاريخ موضع ولكن

العجب أنّ المؤرخين ظنوهم من الأجانب والحال أنهم كانوا من المواطنين.

المدن التي أقام بها علماء الهند: حكم العرب مكران والسند وبنجاب حتى نهاية القرن الخامس، وخلال هذه المدة ما زالت أراضيها الخصبة تنبت وردًا وأثمارًا لعلوم الدين وبقي ربيع العلم والعلماء في الديبل والمنصورة وملتان وبوقان وقيقان وباميان وقزوار فكم من علماء أقاموا في مدنهم مدرّسين ومؤلّفين، وشاغلين بالشؤون الدينية كما غادر البعض بلادهم فأقاموا بها بصورة منتظمة ففيما يلي نقدّم أسماء علمائها والمواضع التي أقاموا بها فالعلماء الذين ذكرت معهم نسبة السندي أو الهندي كانوا منتمين إلى مدينة هندية لم نقف عليها:

أولًا: علماء الديبل:

1. أبو العباس أحمد بن عبد الله بن سعيد الديبلي	نيسابور
2. أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الديبلي الحربي الرازي	بغداد
3. أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي	مصر
4. إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي	الديبل/مكة المكرمة
5. أبو محمد حسن بن حامد بن حسن الديبلي	بغداد ومصر
6. أبو القاسم حسين بن محمد بن أسد الديبلي	الديبل
7. خلف بن محمد الموازيني الديبلي	الديبل
8. أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي	الديبل
9. عبد الرحيم بن يحيى الديبلي	الديبل
10. أبو إسحاق على بن أحمد بن محمد الديبلي	الديبل
11. علي بن موسى الديبلي	الديبل
12. أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي	مكة المكرمة
13. أبو بكر محمد بن حسين بن محمد الديبلي	الشام

14. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديبلي	الشام
15. أبو العباس محمد بن محمد بن عبد الله الديبلي	الديبل
16. أبو عبد الله بن أحمد بن موسى دتار الديبلي	الديبل

ثانيًا: علماء المنصورة:

17. أبو بكر أحمد بن محمد المنصوري البكرآبادي	بكرآباد وجرجان
18. أبو حامد أحمد بن محمد المنصوري	المنصورة
19. أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصوري	المنصورة
20. أبو سليمان داود بن حسين بن عقيل المنصوري	المنصورة
21. أبو محمد عبد الله بن جعفر بن مرة المنصوري	المنصورة
22. فضل بن أحمد (فضل بن صالح) المنصوري	أصفهان

ثالثًا: علماء قصدار (قزدار) ومكران:

23. أبو محمد جعفر بن خطاب القصداري	بلخ
24. أبو داود سيبويه بن إسماعيل بن داود القزداري	مكة المكرمة
25. أبو حفص عمر بن محمد بن سليمان المكراني	مكران

رابعًا: علماء باميان:

26. أبو محمد أحيد بن حسين بن علي السلمي البامياني	باميان
27. أبو بكر محمد بن علي بن أحمد البامياني	باميان

خامسًا: علماء بوقان:

28. محمد بن أحمد بن منصور البوقاني	بوقان

سادسًا: علماء لاهور:

29. أبو الفتح عبد الصمد بن عبد الرحمن الأشعثي اللاهوري	لاهور

سابعًا: علماء كله:

30. أبو عبد الله محمد أيوب بن سليمان العودي الكلهي	كله

ثامنًا: علماء مليبار:

31. عبد الله بن عبد الرحمن المليباري	مليبار

تاسعًا: السند والهند:

32. أبو بكر أحمد بن السندي بن حسن بن بحر حداد البغدادي	قطيعة بني حداد، بغداد
33. أحمد بن السندي بن فروخ البغدادي	بغداد
34. أحمد بن السندي الرازي الباغي	باغ وبرزن، مرو
35. أبو بكر أحمد القاسم بن سيما السندي	بغداد
36. أبو الفوارس أحمد بن محمد بن حسين الصابوني المصري	مصر
37. أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن السندي بن بهرام	أصفهان
38. أسلم بن السندي الرازي	مجهول
39. أبو إبراهيم إسماعيل بن السندي البغدادي	باب الشام، بغداد

40. إسماعيل بن محمد بن رجاء بن السندي الأسفرائني	أسفرائن، نيسابور
41. بشير بن عمرو بن أبي هارون السندي	مجهول
42. حبيش بن السندي البغدادي	قطيعة، بغداد
43. أبو بكر حمدان بن محمد بن رجاء السندي الأسفرائني	أسفرائن، نيسابور
44. أبو محمد رجاء بن السندي النيسابوري الأسفرائني	أسفرائن، نيسابور
45. أبو بكر السندي الخواتيمي البغدادي	جوار أبي عبد الله أحمد بن حنبل، بغداد
46. أبو الهيثم السندي بن عبدويه الكلهي الرازي (سهل بن عبد الرحمن السندي الرازي)	دهك، الري
47. عباس بن عبد الله السندي	مكة المكرمة
48. أبو محمد عبد الله بن سليمان بن عيسى السندي	السند
49. عبد الله بن محمد السندي	مجهول
50. عبد الله بن حسن بن السندي الدمشقي الأندلسي	الأندلس
51. عبد الحميد السندي	القيروان
52. علي بن بنان بن السندي العاقولي	دير عاقول، بغداد
53. علي بن عبد الله السندي	السند/بغداد
54. علي بن محمد السندي الكوفي	الكوفة
55. أبو العباس فضل بن سكن بن سحيت السندي القطيعي البغدادي	قطيعة، بغداد

56. أبو عبد الله محمد بن رجاء السندي النيسابوري	أسفرائن، نيسابور
57. أبو الحسن محمد بن عبد الله السندي	السند
58. أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء بن السندي الحنظلي الأسفرائني	أسفرائن، نيسابور
59. أبو القاسم منصور بن محمد السندي	السند/أصفهان
60. أبو محمد موسى بن السندي الجرجاني	بكرآباد، جرجان
61. أبو الحسن نصر الله بن أحمد بن القاسم بن سيما بن السندي	باب الأزج، بغداد
62. هبة الله بن سهل السندي	السند/أصفهان
63. أبو حمزة هريم بن عبد الأعلى بن فرات السندي	السند/أصفهان
64. أبو جعفر السندي	مجهول
65. أبو الفرج السندي	مجهول
66. أحمد بن محمد الهندي الكرابيسي	مجهول
67. أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن الهندي الهمداني	الأندلس
68. سليمان بن الربيع بن هشام الهندي	مجهول
69. أبو حذيفة الهندي	مجهول
70. أبو بحار الهندي	مجهول
71. أبو محمد الهندي	مجهول

ورود علماء الإسلام في الهند وتعليمهم: وعلاوة على أنشطة علماء الهند ومحدّثيها في المراكز العلمية الهندية كان يردها العلماء من خارجها فيشغلون أنفسهم في التحديث والرواية وكذا كانوا يحضرون حلقات التدريس مستفيدين ومفيدين على السواء.

إلا أننا لا نجد بصراحة عن روايتهم للحديث أو إقامتهم حلقات التدريس ولكن يبدو أنهم واصلوا أنشطتهم طبقًا لذوق هذا العصر العلمي والديني والتقليد السائد فيها فالعالم أو المحدث الذي كان يمرّ بحيّ كان أهله يستفيدون منه وكانت جلسات الدرس والإملاء تنعقد بفنائه وكان يحضرها طلاب الحديث برغبة ونشاط.

وفي وسط القرن الثاني ورد الهندَ إمامان بصريان للحديث كانا من أخص تلامذة الإمام البصري وكانا معروفين بنسبة "صاحب الحسن".

أحدهما الإمام ربيع بن صبيح البصري صاحب الحسن المتوفى سنة 160هـ. وكان يعدّ من أئمة الحديث في البصرة وهو أول مَنْ ألّف بالبصرة كتابًا في الحديث. وبجانب الحسن البصرى روى الحديث الربيع بن صبيح عن عطاء بن أبي رباح المكي ويزيد الرقاشي وقيس بن سعد وحميد الطويل وأبي الزبير وأبي غالب صاحب أبي أمامة وثابت البناني ومجاهد بن جبر وحازم الكرماني وحبان الصائغ وغيرهم. وأما مَنْ روى عنه فهم الإمام محمد بن حسن الشيباني وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن المهدي وعبد الله بن مبارك ووكيع بن جراح وأبو الوليد الطيالسي وآدم بن أبي إياس وعلي بن عاصم وسليمان الداراني ومحمد بن قاسم الأسدي وعلي بن جعد وسعيد بن عامر والإمام روح وغيرهم.

ورد الإمام الربيع بن صبيح الهند في 159هـ وحضر غزوة باربد في 160هـ وتوفي بها حين الرجوع إلى الوطن.

والثاني الإمام أبو موسى إسرائيل بن موسى البصري صاحب الحسن. ومن شيوخه محمد بن سيرين البصري وأبو حازم الكوفي ووهب بن منبه اليماني علاوة على الحسن البصري، وأما مَنْ روى عنه فهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وحسين الجعفي.

وإسرائيل بن موسى يعرف بنزيل الهند فقال عنه الحافظ ابن حجر والحافظ

العيني: "كان يسافر في التجارة إلى الهند، وأقام بها مدة".[1]

كان أبو إسحاق إبراهيم بن مالك بن بهبود البزاز البغدادي المتوفى سنة 264هـ من الصالحين في عصره، روى عن حماد بن أسامة وزيد بن حباب وعبيد الله بن موسى ومحمد بن عبيد الطنافسي وجعفر بن عون ومحاضر بن المورّع ويحيى بن زكريا ويزيد بن هارون وعبد الوهاب بن عطاء وروح بن عبادة وأبي داود الحضري. وأما مَنْ روى عنه فهم أبو بكر بن أبي الدنيا وموسى بن هارون والقاسم بن زكريا المطرز ويحيى بن محمد بن صاعد وعمر بن محمد الصابوني ومحمد بن خالد الدوري وابن أبي حاتم الرازي وشبابة وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل.

كان أحبّ أعمال إبراهيم بن مالك غرس النخيل فلما كان يغرس نخلة يتلو القرآن الكريم كاملًا وكان يسافر إلى السند فيحمل منها شجرة النخيل. قال ابن أبي حاتم الرازي عنه: "وكان يحمل النخيل من السند".[2]

وأبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن المرداني القرطبي كان يعرف بابن الأحمر فيما بين أولاد مروان بن الحكم فروى بالأندلس عن عبيد الله بن يحيى وجماعة من المحدّثين، وقد سافر إلى العراق وبلاد الشرق قبل 300هـ فسمع عن النسائي سننَه وفي نفس السفر روى عن الفريابي وأبي حنيفة الجمحي فابن الأحمر هو أول من روّج "سنن النسائي" في الأندلس ورواها، كان عالمًا جليلًا شأنه ومحدّثًا ثقة. ويروى أنّ جسده أصيب بدمّل خطير عجز عن مداواته فقال له أحد إنه لا يعالج إلا بالهند فسافر إليها وشفي.[3] هذه رواية "بغية المتلمس"، وأما الذهبي فقال إنه جاء الهند للتجارة: "ودخل الهند

[1] ولأخبار وتراجم هذين الشيخين راجع كتابنا "إسلامي هند كي عظمت رفته" (المجد الغابر للهند الإسلامية).

[2] كتاب الجرح والتعديل، 140/1/1 وتاريخ بغداد، 186/6 والمنتظم، 46/5

[3] بغية المتلمس، ص 117

للتجارة فغرق له ما قيمته ثلاثون ألف دينار ورجع فقيرًا".[1]

وأبو أحمد خلف بن أحمد بن الليث السنجري البخاري كان أميرًا لمنطقة كما كان قد ظفر بحظ وافر من العلم والفضل. روى الحديث بخراسان والعراق عن أبي عبد الله بن محمد بن علي الماليسي وأبي بكر الشافعي وعبد الله بن محمد الفاكهي ومعاصريهم. وأما مَنْ روى عنه فالإمام أبو عبد الله الحاكم وغيره. سجن بالهند لأمر ما فتوفي في هذا. قال ياقوت الحموي: "توفي في بلاد الهند محبوسًا".[2]

وقال الإمام الذهبي: "ومات شهيدًا في الحبس ببلاد الهند".[3]

وأبو محمد عبد القوي بن محمد العبدري البجائي كان من أهل الأندلس. روى ببلنسية عن أبي عمر طلمند. سافر من الأندلس إلى المشرق فحجّ بيت الله الحرام ثم سكن مصر. روى عنه أبو الحسن بن أحمد بن حنين بأخميم مدينة مصر ومن هنا جاء الشيخ وتلميذه إلى الهند. يقول أبو لحسن بن أحمد: "سافرت معه في مركب واحد من مصر إلى الهند".[4]

وأبو سعيد محمد بن حسين الحرمي نسبة إلى حرم مكة يعتبر من أقطاب وأوتاد زمنه. قام برحلة دينية وعلمية إلى مصر والشام والهند، وسكن هرات. كان إمامًا للحديث وحافظه. روى كثيرًا من الحديث كما ألّف الكتب في الموضوع. روى عن أبي نصر السنجري وعبد العزيز بن بندار الشيرازي بمكة المكرمة والخطيب البغدادي في بغداد وابن طبال وابن جمعه في مصر. قال العلامة السمعاني: "وكانت له رحلة إلى بلاد الهند أيضًا".[5]

وأبو عبد الله محمد بن أبي الفوج المالكي المغربي كان من أهل صقلية فسافر

[1] العبر، 312/2

[2] معجم البلدان، 45/5

[3] العبر، 87/3

[4] كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص 224

[5] أنساب السمعاني، 132/6

إلى العراق ثم ذهب إلى خراسان فتجوّل في مختلف المناطق وبهذا الشأن ورد غزنة والهند. توفي بأصفهان.[1]

وشيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني كان شيخًا وإمامًا وخطيبًا ومفسرًا ومحدثًا وواعظًا متفردًا في العلوم والفنون. سمع الحديث عن المشائخ، وكان يسبق الناس في نشره وصيانته وعقد الجلسات له. سمع الحديث عن أبي العباس التابوتي وأبي سعيد السمسار بنيسابور، وأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن فرات وأبي معاذ شاه بن عبد الرحمن في هرات، وشيوخ الشام والحجاز والجبال. ثم درّس الحديث لسبعين سنة في نيسابور وخراسان وغزنة والهند وآمل وهرات وطبرستان والشام وبيت المقدس والحجاز، وصرّح ياقوت الحموي: "وحدّث بنيسابور وخراسان إلى غزنة وبلاد الهند وآمل وطبرستان إلخ".[2]

ومحمد بن إسماعيل التنوخي المنجم كان ماهراً بعلم النجوم وقضايا علم الفلك. تجوّل في البلاد لتلقي هذا العلم، ولذا فقد ورد الهند وحصل منها على الكثير في هذا العلم. قال عنه القفطي: "ودخل الهند في ذلك وصدر منها بغرائب من علم النجوم، فيها حركة الإقبال والإدبار وغير ذلك".[3]

زيارات دراسية للعالم الإسلامي ورواية الأحاديث عن أئمتها: كان العالم الإسلامي كله في تلك الفترة كمدرسة يتجول فيها الطلبة فيتعلمون الدين، وكان يشملها الهند وعلماؤها ومحدّثوها فلم يبق نحو من أنحاء العالم إلا وبلغه طلبتها. والواقع أنّ علماء الهند ومحدثيها جالوا في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي فاستفادوا من علمائها ومحدثيها.

حدّث إمام الدنيا الحافظ أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم البغدادي

[1] المنتظم، 190/9

[2] معجم البلدان، ص 290

[3] أخبار العلماء بأخبار الحكماء، 281/1

المتوفى سنة 346هـ ببغداد لست وسبعين سنة من جمع له كافة علماء الشرق والغرب وكان فيها جماعة من طلبة الهند للحديث.

ومشيرًا إلى كثرة عدد طلاب الحديث من ملتان والمنصورة في مدرسة الإمام أبي العباس الأصم يقول الإمام أبو عبد الله الحاكم:

"ما رأينا الرحالة في بلد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، يعني أبا العباس الأصم فقد رأيت جماعة من أهل الأندلس والقيروان وبلاد المغرب على بابه وكذلك رأيت جماعة من أهل طراز وأسفيجاب وأهل المشرق على بابه، وكذلك رأيت في عرض الدنيا من أهل المنصورة ومولتان وبلاد بست وسجستان على بابه، وكذلك رأيت جماعة من أهل فارس وشيراز وخوزستان على بابه فناهيك بهذا شرفًا واشتهارًا وعلوًّا في الدين وقبولًا في بلاد المسلمين بطول الدنيا وعرضها".[1]

سافر قاضي المنصورة أبو العباس أحمد بن محمد التميمي المنصوري إلى بغداد فروى عن محدّثيها كما سمع الحديث عن أبي العباس بن الأثرم في فارس، وأبي روق الهزاني في البصرة، ثم أقام بالعراق لمدة طويلة.[2]

كان أبو العباس أحمد بن عبد الله الديبلي من الفقراء الزاهدين، قال عنه السمعاني: "من الغرباء المتقدمين في طلب العلم".

ولما بلغه شهرة الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري جاء نيسابور فلزمه من حيث جعل نيسابور وطنه. وكذا استفاد من محدّث شهير في كل مدينة فسمع الحديث عن القاضي أبي حنيفة بالبصرة، وجعفر بن محمد الفريابي ببغداد، ومفضل بن محمد الجندي، والمحدّث محمد بن إبراهيم الديبلي المكي من وطنه في مكة المكرمة، وعلي بن عبد الرحمن ومحمد بن زيان بمصر، وأبي الحسن

---

[1] أنساب السمعاني، 291/1

[2] الفهرست، ص 306 وكتاب الأنساب وطبقات الفقهاء

أحمد بن عمير بن جوصا في دمشق، وأبي عبد الرحمن المكحول ببيروت، وأبي عروبة حسين بن أبي معشر بحران، وأحمد بن زهير التستري في تستر، والحافظ عبدان بن أحمد بعسكر مكرم، وابن خزيمة وأقرانه ومعاصريه بنيسابور.[1]

روى خلف بن محمد الديبلي الموازيني عن علي بن موسى الديبلي بالديبل ثم سافر إلى بغداد فروى الحديث عنه وعن غيره من العلماء.[2]

كان أبو القاسم المنصور بن محمد السندي المقري شهيرًا في حفظ القرآن الكريم، وكان كثير الرواية للأحاديث كما كان مخرّجًا لكتبها. قال أبو نعيم: "كثير الروايات، تخرح بالبصرة وببغداد كتب الحديث الكثير".

سافر من السند إلى أصفهان وبغداد والبصرة والواسط فروى الأحاديث. تعلّم القراءة على أبي الحسن علي بن حسن الشمشاطي الواسطي بالواسط، وروى الأحاديث عن إبراهيم بن أحمد البزوري ومحمد بن جعفر الأصفهاني وأحمد بن محمد رميح وزبد بن علي بن أبي هلال محمد بن هيثم وأبي بكر الشذائي وعلي بن محمد الأنصاري.[3]

وأبو القاسم حسين بن محمد بن أسد الديبلي سافر إلى دمشق فروى الحديث عن الإمام أبي يعلى الموصلي وغيره من أئمة الحديث.[4]

وأبو عبد الله محمد بن أيوب العودي الكلهي كان من أهل "كله" المدينة الساحلية جنوب الهند فسافر منها إلى بغداد وروى بها كثيرًا من أحاديث الإمام الأعمش عن أبي المهلب سليمان بن محمد حسن الضبي.[5]

وأبو بكر محمد بن حسين بن محمد الديبلي المقري سافر إلى الشام فتعلم بها

---

[1] كتاب الأنساب، ص 180
[2] تاريخ بغداد، 333/8
[3] تاريخ أصفهان، 231/2 وغاية النهاية، 314/2
[4] مختصر تاريخ ابن عساكر، 355/4
[5] كتاب الأنساب، ص 189

القراءة على تلميذين شهيرين لإمام القراءة هارون الأخفش، وهما محمد بن نصير المعروف بابن أبي حمزة وجعفر بن حمدان المعروف بابن أبي داود.[1]

وأبو حفص عمر بن محمد بن سليمان المكراني سافر لتعلم الحديث إلى العراق والحجاز فروى بهما الحديث عن أبي الحسن محمد أحمد البزاز.[2]

وأبو بكر محمد بن علي البامياني سافر من وطنه إلى بغداد فروى الحديث عن الخطيب البغدادي.[3]

وحبيش بن السندي البغدادي من أجلّ تلامذة الإمام أحمد بن حنبل فكتب عنه عشرين ألف حديث كما جمع قضاياه وفتاواه في مجلدين وهي لم تكن توجد لدى غيره من تلاميذه. وكذا روى عن عبيد الله بن محمد العيشي.[4]

وكذا لما حضر أبو بكر السندي الخواتيمي البغدادي حلقات دراسية للإمام أحمد بن حنبل فلزمه وعُدّ من أجلّ تلامذته فسمع عنه أحمد عديدًا من قضاياه وفتاواه مما كان يرويها فيما بعد.[5]

وأبو بكر أحمد بن السندي الحداد سافر إلى بغداد فروى الحديث عن محمد بن عباس المؤدب وحسن بن علويه القطّان والحافظ موسى بن هارون وحسن بن علي وجعفر بن محمد القرياني.[6]

وأبو محمد موسى بن السندي الجرجاني سافر لتلقي العلم من السند إلى جرجان وغيرها من البلاد فروى الحديث عن الإمام وكيع وابن الجراح وأبي معاوية الضرير وإبراهيم بن أبي خالد ويعيش البسطامي في 230هـ كما روى في نفس

---

[1] غاية النهاية، 133/2

[2] كتاب الأنساب، رقم الورقة: 451

[3] معجم البلدان (ذكر باميان)

[4] طبقات الحنابلة، 157/1

[5] المصدر نفسه، 171/1

[6] تاريخ بغداد، 187/4

الرحلة عن شيابة وإسماعيل بن الحكيم فأقام ببكرآباد بجوار جرجان.[1]

وأبو محمد رجاء السندي كانت أسرته بيت الحديث فبرز من أسرته أئمة للحديث لقرون عديدة، سافر إلى العالم الإسلامي فروى الحديث عن عبد الله بن مبارك وسفيان بن عيينة وابن إدريس وأيوب بن النجار اليماني وعبد السلام بن حرب وأبي بكر بن عياش وحفص بن غياث ويحيى بن يمان وأبي خالد الأحمر وابن وهب وحمزة بن الحارث بن عمير وعفان بن سيار ونحيم بن ضريس ثم استوطن أسفرائن في نيسابور.[2]

وكذا روى الحديث ولده أبو عبد الله محمد بن رجاء السندي الأسفرائني عن نضر بن شميل ومكي بن إبراهيم.

وقد قام الحافظ أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء السندي الأسفرائني برحلات عديدة في تلقي العلم. وقال الإمام الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ: "وأكثر الترحال" فروى في وطنه عن جده أبي محمد رجاء السندي وروى عن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وإسحاق بن راهويه وأبي عمار حسين بن الحريث وعلي بن المديني وابن نمير وأبي بكر بن أبي شيبة وإبراهيم بن محمد الشافعي وغيرهم من شيوخ كثيرين. له كتاب شهير للغاية عنوانه "كتاب الصحيح على شرط مسلم".

وأخوه إسماعيل بن محمد بن رجاء السندي كان محدثًا كبيرًا وله أخ آخر يسمّى أبا بكر حمدان بن محمد بن رجاء السندي وهذا الأخير روى عن أبي كامل فضل بن حسين.[3]

وأبو العباس محمد بن محمد الديبلي الورّاق تجوّل في المدن في تلقي العلم، وسمع

---

[1] تاريخ جرجان، ص 150

[2] الجرح والتعديل، 503/2/1 وتاريخ جرجان، ص 170

[3] تاريخ بغداد، 376/5 وشذرات الذهب، 193/2

الحديث عن أبي خليفة فضل بن حباب الجمحي وجعفر بن محمد بن حسن الفريابي وعبدان بن أحمد بن موسى السكري ومحمد بن عثمان بن أبي سعيد البصري ومعاصريهم.[1]

وأبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي محدث مكة كان راغبًا في سماع الحديث حتى قرأ كتبًا مهمة ونادرة في الحديث واختص بروايتها. وكذا روى كتاب التفسير عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي. وروى كتاب البر والصلة لعبد الله بن مبارك عن أبي عبد الله حسين بن حسن المروزي الذي رواه مباشرة عن عبد الله بن مبارك، وكذا روى نسخة إسماعيل بن جعفر المدني عن محمد بن زينور الذي رواها مباشرة عن إسماعيل بن جعفر. وعلاوة على ذلك روى الحديث عن عبد الحميد بن صبيح ومحمد بن علي الصائغ وجماعة من المحدثين.

وولده إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي روى الحديث عن موسى بن هارون ومحمد بن علي الصائغ الصغير وغيرهما من المحدثين.[2]

وأبو محمد عبد الله بن سليمان بن عيسى السندي سافر إلى بغداد فروى الحديث عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن وارة وإبراهيم بن هانئ والإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم.[3]

وعباس بن عبد الله السندي سافر إلى مكة المكرمة لما سمع عن الإمام سعيد بن منصور صاحب السنن وروى عنه الأحاديث كما قرأ الحديث على الإمام أبي الوليد الطيالسي وداود بن شعيب وغيرهما.[4]

وأبو داود سيبويه بن إسماعيل الواحدي القزواري سمع الأحاديث عن أبي القاسم علي بن محمد بن عبد الله الحسيني وأبي الفتح رجاء بن عبد الواحد

---

[1] كتاب الأنساب، ص 170

[2] تاريخ بغداد، 110/9

[3] معجم البلدان، 118/4

[4] تهذيب التهذيب، 89/4

الأصفهاني وأبي الحسين يحيى بن أبي الحسن الرواسي الحافظ وغيرهم.[1]

وعبد الله بن عبد الرحمن المليباري السندي سافر من مالابار إلى عذبون لتلقي الحديث. وعذبون مدينة لمنطقة صيدا الساحلية لدمشق. روى عن عبد الواحد بن أحمد الخشاب الشيرازي.[2]

وأبو إبراهيم إسماعيل السندي سافر إلى بغداد وروى الحديث عن سلم بن إبراهيم الوراق ونقل أمالي وأخبار بشر بن الحارث وصبيح مولى أمّ سلمة عنهما.[3]

وأبو العباس فضل بن سكين السندي سافر إلى بغداد وروى الحديث عن صالح بن بيان الساحلي وأحمد بن محمد الساحلي وسكن حي القطيعة.[4]

وأبو بكر أحمد بن القاسم السندي روى الحديث عن أحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي وإسماعيل بن محمد الصفار.

وأبو بكر أحمد بن محمد المنصوري سافر إلى جرجان، وروى الحديث عن الإمام أبي بكر الإسماعيلي والحافظ ابن عدي.

وأبو الفوارس أحمد بن حسين السندي المصري تجوّل في البلاد في تلقي العلم فمن شيوخه في الحديث يونس بن عبد الأعلى والمزني والربيع بن سليمان تلامذة الإمام الشافعي وابن نظيف ومحمد بن عزيز ومحمد بن عمر بن حسين وغيرهم من العلماء الكبار. استقر بمصر وأصبح مسند مصر.

وأبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الديبلي المقري تعلّم القراءة على الإمام حسنون بن هيثم الدويري وأما الحديث فقد تعلّمه على جعفر بن محمد الفريابي وإبراهيم بن شريك الكوفي.

---

[1] كتاب الأنساب، ص 176

[2] معجم البلدان، 67/5

[3] ميزان الاعتدال، 82/1

[4] تاريخ بغداد، 362/12

وعبد الحمدي السندي المالكي كان فقيهًا ومحدثًا كبيرًا له درجة كبرى فيما بين تلامذة الإمام سحنون، سافر إلى القيروان في نيل الحديث وتوفي بها في 253هـ.

وعبد الله بن حسن بن السندي سافر إلى دمشق ومن ثم إلى الأندلس وروى عن جماعة من المحدثين. ألّف كتابًا في أكثر من عشرين مجلدًا في الزهد والرقائق. توفي بالأندلس في 335هـ.

وأبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم المالكي الهندي سافر إلى همدان ومنها إلى الأندلس فحصل على أوراد الشيخ إبراهيم في القرطبة وتعلّم العربية على أبي علي القالي صاحب الأمالي وسمع الحديث عن القاسم بن أصبغ ومحمد بن أبي دليم. اعترف بفضله فقهاء المالكية في الأندلس. كتابه في علم الشروط مفيد جامع للغاية. توفي بقرطبة في 399هـ.

وأبو الهيثم السندي بن عبدويه الكلهي سافر إلى الري والعراق والمدينة المنورة لتلقي الحديث فروى عن شيوخها. من شيوخه إبراهيم بن طهمان وجرير بن حازم وعبد الله المعمري وخالد بن ميسرة وأبو أويس وأبو معشر وعمرو بن أبي قيس ومندل بن علي وعكرمة بن إبراهيم ومحمد بن مسلم الطائفي وعيسى بن عبد الرحمن السلمي وزهير بن معاوية الشريك وأبو بكر النهشلي وعمر بن أبي زائدة وغيرهم.

خصائص وميزات عدة: من طلّاب الهند للعلم والحديث مَنْ تميّز بخصائص وتفرّد بميزات ولهم صيت ذائع فيما بين المحدّثين فالتفرد بالرواية والتكثير بالرواية وعلوّ المسند ومسند الوقت ومسند الديار وخاتمة الأصحاب صفات تميز بها العديد من علماء الهند. فالمسند يعني أنّ محدّثًا يمتاز بإسناد الحديث حتى يحصل المحدّثون الآخرون على السند منه، وعلوّ السند يعني أنّ رواة الحديث يقلّ عددهم في سند أو أن يقترب إلى شيخ أو يقرب في رواية كتاب، وخاتمة الأصحاب يعني محدّثًا يكون آخر تلميذ لشيخه أو توفي أخيرًا بالنسبة

لتلامذة شيخ ويمكن الحصول على السند العالي من مثل هؤلاء الخواتم للأسناد.

كانت هذه الصفات كلها تميز بها أبو الفوارس السندي المصري فاعتبره السيوطي في حسن المحاضرة "مسند ديار مصر ومن المنفردين بعلوّ الأسناد".

واعتبره الذهبي في "تذكرة الحفاظ" مسند مصر وميزان الاعتدال كما عدّه آخر تلميذ للإمام الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي "وآخر مَنْ حدّث عنه أبو الفوارس السندي".[1]

نقل الطبراني حديثًا في معجمه بسند السندي بن عبدويه (سهل بن عبد الرحمن السندي) ثم قال: "تفرّد به السندي".[2]

نقل أبو عبد الله محمد بن أيوب بن سليمان الكلهي العودي كثيرًا من أحاديث الإمام الأعمش بواسطة في بغداد وكان متفردًا بها، ذكر السمعاني:

"قدم بغداد وحدّث بها عن أبي المهلب سليمان بن محمد بن الحسن الضبي عن الأعمش حديثًا مكثرًا".[3]

ثم رواها عنه تلميذه أبو بكر محمد بن إبراهيم البزاز.

ذكر ابن العماد أبا جعفر منصور بن إبراهيم الديبلي المكي بـ"محدّث مكة".[4]

تفضل عالمان سنديان بكونهما أخص تلامذة الإمام أحمد بن حنبل وأجلهم ولهما مساهمة ملموسة في تعليم ونشر علوم الإمام ومعارفه. أحدهما حبيش بن السندي الذي نقل عنه صاحب طبقات الحنابلة قول أبي الخلال:

"من كبار أصحاب أبي عبد الله بلغني أنه كتب عن أبي عبد الله نحوًا من عشرين ألف حديث، وكان رجلًا جليل القدر جدًا، وعنده عن أبي عبد الله

[1] حسن المحاضرة، 156/1 وتذكرة الحفاظ، 98/3 وميزان الاعتدال، 149/2

[2] تهذيب التهذيب، 197/1

[3] كتاب الأنساب، ص 170

[4] شذرات الذهب، 295/2

جزءان (من) مسائل مشبعة حسان جدًا، يغرب فيها على أصحاب أبي عبد الله".[1]

يبدو من هذا القول ما بلغه حبيش بن السندي من درجة كبرى لدى الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه وتلامذته.

والآخر أبو بكر السندي الخواتيمي فقال عنه أبو الخلال:

"هو من جوار أبي الحارث مع أبي عبد الله فكان داخلًا مع أبي عبد الله ومع أولاده في حياة أبي عبد الله سمع من أبي عبد الله مسائل صالحة".[2]

كان هذان العالمان السنديان من خواص الإمام أحمد بن حنبل وكان يستفيد منهما تلامذة الإمام أحمد.

رواية الأجزاء والكتب الخاصة: تميز العديد من العلماء والمحدّثين الهنود أنهم امتلكوا أجزاء ونسخًا خاصة للحديث رووها إما عن مؤلفيها أو تلامذة مؤلفيها مباشرة ثم كان العلماء الآخرون يروونها منهم. ولمثل هذه الأجزاء أهمية كبرى لدى علماء الحديث وهم يعتنون بروايتها ولنقرأ بعض الأمثلة لذلك:

سمع أبو بكر أحمد بن السندي كتاب المبتدأ لأبي حذيفة البخاري عن حسن بن علويه القطان ثم رواه عنه ابن رزقويه.[3] روى المحدث أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي كتاب التفسير لسفيان بن عيينة عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي كما روى كتاب البر والصلة لعبد الله بن مبارك عن أبي عبد الله حسين بن حسن المروزي بينما روى أبو عبد الله المروزي مباشرة عن عبد الله بن مبارك.[4] وكذا روى محمد بن إبراهيم الديبلي نسخة إسماعيل بن جعفر المدني عن محمد بن زنبور.[5]

---

[1] طبقات الحنابلة، 147/1

[2] المصدر نفسه، 171/1

[3] تاريخ بغداد، 187/4 وكتاب الأنساب، رقم الورق: 158 وشذرات الذهب، 28/3

[4] كتاب الأنساب، ص 160

[5] العقد الثمين، 397/1

روى أبو محمد موسى بن السندي الجرجاني البكرآبادي الأحاديث عن الإمام وكيع بن الجراح في 230هـ وكان يمتلك كتب وكيع، فقال السهمي يذكره في تاريخ جرجان: "وكان عنده كتب وكيع".[1]

كان لدى علي بن عبد الله بن السندي مجموعة لأخبار وآثار في فضائل طرسوس فلما جاء أبو بكر محمد بن عيسى التميمي الطرسوسي بغداد في 246هـ روى هذه المجموعة، قال الخطيب في ترجمة أبي بكر الطرسوسي:

"وحدّث عن علي بن عبد الله بن السندي أخبارًا مجموعة في فضائل طرسوس".[2]

كان لدى الحسن بن حامد الديبلي جزء من حكايات الموصلي برواية الحسن بن عليل الغزني. قال ابن عساكر: "وكان عنده الحكايات للموصلي عن ابن عليل جزء".[3]

كان العلماء يقطعون مسافات بعيدة لرواية هذه الأجزاء والكتب الخاصة فكان حاملوها ينشرونها بروايتهم وإجازتهم.

تدريس الحديث في الهند: كان رجالات علم الحديث يعيشون في الهند في تلك الفترة، الذين كانوا يفيدون بعلمهم المواطنين والأجانب على السواء، فكانت كل مدينة كبرى مركزًا للعلم ومحتلًا للعلماء، وكانت عملية رواية الحديث جارية فيها، فكانت المنصورة وملتان ولاهور وقزوار وباميان والديبل مراكزها الخاصة، وكان يسكنها رواة الحديث وعلماؤه الأجلاء، وكانوا يدرّسون بها الحديث. فقال ياقوت الحموي عن الديبل: "وقد نسب إليها قوم من الرواة".[4]

وقال ابن الأثير الجزري في اللباب في تهذيب الأنساب:

"وهي مدينة على ساحل الهند قريبة من السند، ينسب إليها جماعة كثيرة

---

[1] تاريخ جرجان، ص 426

[2] تاريخ بغداد، 104/2

[3] مختصر تاريخ ابن عساكر، 159/4

[4] معجم البلدان، 618/4

من العلماء".[1]

وأول محدّث هذه المدينة وإمامها للحديث هو عبد الرحيم بن حماد الثقفي الديبلي الذي سافر إلى البصرة في العصر الأموي فروى الحديث عن الأعمش (ت148هـ) وعمرو بن عبيد (ت142هـ) وأما العصر العباسي فقد كانوا يحدّثون ويروون الحديث فيه بصورة منتظمة، وكان بالديبل جماعة كبرى من المحدّثين.

كتب الخطيب البغدادي في ترجمة خلف بن محمد الموازيني أنه روى الحديث عن محدّث ديبلي آخر يسمّى علي بن موسى. ويقول تلميذه أحمد بن عمران:

"حدّثني خلف بن محمد الديبلي الموازيني، صديقنا، حدّثنا علي بن موسى الديبلي بالديبل".[2]

ثم سافر خلف بن محمد الديبلي وعلي بن موسى الديبلي إلى بغداد فروى بها التلميذ الأحاديث عن أستاذه وأقيمت حلقة تدريسية بها. يقول السمعاني:

"خلف بن محمد الموازيني الديبلي نزيل بغداد نزل ببغداد وحدّث بها عن علي بن موسى الديبلي".[3]

وهكذا روى محدّثان من الديبل بمدينتهما. ذكر الإمام أبو نعيم في تاريخ أصفهان أنّ أبا القاسم شعيب بن محمد الديبلي روى عن عبد الرحيم بن يحيي الديبلي فذكر قول شيخه محمد بن جعفر بن يوسف:

"ثنا أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد بن شعيب الديبلي ثنا عبد الرحيم بن يحيى الديبلي".[4]

---

[1] العقد الثمين، 397/1

[2] تاريخ بغداد، 333/8

[3] أنساب السمعاني، ص 140

[4] تاريخ أصفهان، 345/1

وقد جاء ذكر شعيب بن محمد الديبلي في أنساب السمعاني ومختصر تاريخ ابن عساكر وكتبا أنه قام برحلة دينية وعلمية إلى دمشق ومصر وأصفهان فروى الحديث ولكن لم نجد ترجمة عبد الرحيم بن يحي الديبلي سوى في هذه السلسلة، وأغلب الظن أنه لم يخرج من الديبل ولذا لم يذكره المؤلفون الأجانب وقد روى عنه شعيب بن محمد الديبلي في الديبل ولا غير.

عمّرت المنصورة في العهد الأموي فأصبحت عاصمة إمارة السند ومنذ ذلك الوقت أصبحت مركزًا للعلم والفن ومحتلًا للعلماء والمحدّثين فكانت تضج بالعلم ويكثر بها العلماء ولما انقضى العهد العباسي جاءها المقدسي البشاري فكتب أنها يكثر بها العلماء والمحدّثون، وأن عملية تدريس الحديث وتأليف الكتب تجري بانتظام. فقال:

"ولهم مروءة وللإسلام عندهم طراوة، والعلم وأهله كثير، والتجارات مفيدة، ولهم ذكاء وفطنة".[1]

ثم قال:

"وأكثرهم أصحاب حديث ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داوديًا إمامًا في مذهبه، وله تدريس وتصانيف، قد صنّف كتبًا عديدة حسنة".[2]

وكان مولى القاضي أبي العباس أحمد بن محمد التميمي يحدّث بالمنصورة فأولًا روى عنه الحديث ثم سافر إلى بغداد وبعدما رجع أصبح قاضي المنصورة وجعل يحدّث. صرّح أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء: "خرج إلى بغداد وتعلّم ثم عاد إلى المنصورة".[3]

والمركز الثالث لمسلمي الهند بعد الديبل والمنصورة كان ملتان. فقد أسكن محمد بن

---

[1] أحسن التقاسيم، ص 2

[2] المصدر نفسه

[3] طبقات الفقهاء، ص 188

القاسم عددًا ملموسًا من المسلمين في هذه المنطقة وبنى مسجدًا شامخًا ثم أصبحت ملتان عاصمة للدولة السامية، قال ياقوت الحموي: "أهلها مسلمون منذ قديم".[1]

وفي القرن الثالث سافرت جماعة من محدّثيها إلى بغداد فتلمذت للإمام الأصمّ.

ولاهور التي تذكر بلوهور ولهاور ولهاوور كانت مدينة كبيرة ذات بهاء فقد ذكر القلقشندي عن كثرة علماء ومحدّثي لاهور في صبح الأعشى:

"وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير خرج منها جماعة من أهل العلم".[2]

ولو كانت قنوج بعيدة عن مركز السند الإسلامي ولكن المسلمين كان عددهم ملموسًا بها، وكان العلم وأهله كثيرًا ... فقد رأى فيها المقدسي علماء كبارًا، يقول: "وبها علماء أجلة".[3]

ولا شك أنّ علماء قنوج الأجلة هذه كانوا يعقدون جلسات الحديث في منطقتهم، وكانت هذه السلسلة التعليمية قد بدأت منذ قرون، الأمر الذي أسفر عن هذا العدد الكبير من العلماء والمحدّثين. كانت منطقة باميان مجاورة لغزنين وسجستان وكان بها كثرة العلم وأهله فيقول ياقوت الحموي: "خرج من هذه المدينة جماعة من أهل العلم".[4]

وبجانب هذه المراكز العلمية فكانت قصدار وبوقان يعيش بهما العلماء، وكانوا مشغولين بالتعليم والتأليف ورواية الحديث.

الحذر في رواية الحديث: وما اتخذه العلماء المسلمون من إخلاص وحذر في رواية الأحاديث قد أسفرا عن وفرة خزينة ثمينة للأحاديث والسير في صورتها الأصلية وقد رفعت رؤوسنا أمام كل قوم من أقوام العالم. ولقد روى

---

[1] معجم البلدان، 146/8

[2] صبح الأعشى، 76/5

[3] أحسن التقاسيم، ص 2

[4] معجم البلدان، 49/2

المحدّثون الهنود الأحاديث بكل حيطة وإخلاص والتزموا بأصول الحديث في ذلك ولم يغفلوا عنها شيئًا فيقول أبو إبراهيم إسماعيل السندي البغدادي:

"سألت بشر بن الحارث عن حديث فقال: اتق الله، فإن كنت تريده للدنيا فلا ترده وإن كنت تريده للآخرة فقد سمعت".[1]

فقول إسماعيل السندي تلميذ بشر الحافي ينبئ عن الخلوص العلمي والديني للشيخ وتلميذه.

نقل شعيب بن محمد بن أحمد بن أبي قطعان الديبلي بسنده أنّ الإمام الزهري لم يزل يقول:

"لكل شيء شجون، وشجون الحديث إذا كان يقرأ المذاكرة في أضعاف مذاكرته".[2]

أي مذاكرة الأحاديث في زمن الدراسة ورواية ما سمعه وكتابته يسبب في سعة الاطلاع عليها وهذا يزيد المرء تفقهًا.

وتعلم الأحاديث وروايتها ينتج عنه الخير والبركة وحسن القبول. وفي هذا نقل عباس بن عبد الله السندي قول الإمام سفيان بن عيينة برواية أبي الوليد الطيالسي. يقول أسامة بن علي المعروف بابن عليك:

"حدثنا عباس السندي قال سمعت أبا الوليد الطيالسي، يقول سمعت ابن عيينة منذ أكثر من ستين سنة، يقول طلبنا الحديث لغير الله فأعقبنا الله ما ترون".[3]

قضى علماء الهند حياتهم العلمية في ضوء هذه الأقوال والأعمال لشيوخهم، وخدموا الحديث مخلصين وحذرين وشاعرين بالمسؤولية.

لما خرج أبو عبد الله محمد بن رجاء السندي النيسابوري للحج نزل ببغداد وأقام حلقة لرواية الحديث فرواها عنه أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي وأحمد بن

---

[1] تاريخ بغداد، 283/6

[2] مختصر تاريخ ابن عساكر، 324/6

[3] جامع بيان العلم، 23/2

بشر المرثدي، وفي هذا الشأن قال محمد بن رجاء السندي:

"حدثنا النضر بن شميل عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته".

ثم نقل الخطيب البغدادي قول الحافظ أبي علي عن إبراهيم الراوي:

"حجّ محمد بن رجاء وحدث بهذا الحديث ببغداد، فلما انصرف نظر في كتابه، وليس فيه "عائشة" فكتب إليهم بذلك".[1]

وكان أحمد بن السندي الرازي شديد الحذر في نقل الرواية فقد ذكر ابن أبي حاتم في ترجمة إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي بسنده:

"عن سفيان بن عيينة أنه قال ذات يوم ما بقي أحد أروى عن محمد بن المنكدر مني، فقيل له: إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: إنما نريد أهل الصدق".[2]

ونفس الطريقة اختارها أحمد بن السندي الرازي فقد ذكر الإمام أبو حاتم الرازي عن شدة الحذر والتحقيق في رواية الحديث أنه ذات يوم بلغنا أنا وأحمد بن السندي دكان عبدك صهر أبي عمران الصوفي وكان لديه جزءان للأحاديث فسألته عنهما هل هما لك فقال نعم، ثم سألت عن الشيخ الذي سمعه فقال: أبو زهير عبد الرحمن بن مغراء والحال أني لما رأيتهما وجدت في أحدهما أحاديث شيوخ محمد بن إسحاق وعلي بن مجاهد وفي الثاني أحاديث سلم بن فضل ولكن لم يسمع عبدك حجتنا بل قال إنه سمعها عن أبي زهير فدللته على أحاديث بما فيها "غرائب حسان" ولكنه لم يسمع كلامي فتركتهما لديه ورجعنا.

وبعد أيام ذهبنا أنا وأحمد بن السندي إلى أبي عبد الله محمد بن حميد فأخبرنا أنّ لديه أحاديث لم أرها ثم أخرج جزئين يحتويان على نفس الأحاديث التي كانت في ذينك الجزئين لعبدك فقلت له: هذه مرويات سلمة بن فضل فكان

---

[1] تاريخ بغداد، 276/5

[2] الجرح والتعديل، 136/1/1

يرويها ابن حميد عن سلمة بن فضل مباشرة ثم قلت لأحمد بن السندي: انظر، هذه هي الأحاديث التي رأيناها في مجموعة عبدك ثم كتبت تلك الغرائب من نسخة ابن حميد، التي كنت أريد سماعها عن عبدك.

ثم قمنا عن ابن حميد إلى عبدك وطلبنا منه ذينك الجزئين للقراءة. فقال: "مرّ بي بن حميد ورآهما في حانوتي فأخذهما وذهب بهما".[1]

وكذا يجدر بالذكر عن الالتزام بأصول وآداب علم الدين والحذر في تعليمه وتبليغه أنّ حبيش بن السندي تلميذ خاص للإمام أحمد بن حنبل كان يمتلك جزئين لأحاديث شيخه ومسائله لم يكونا لدى أحد غيره فيقول أبو الخلال إني زرته لكي يرويها عني ولكنه أنكر قائلًا: "أنا لا أحدّث بهذه المسائل وأبو بكر مروزي حيّ".

والسبب في ذلك أنّ حبيش بن السندي كان يكرم أبا بكر المروزي كثيرًا ولم يكن يريد أن يصبح ترجمانًا لعلوم ومعارف الإمام أحمد بن حنبل والمروزي حيّ. يقول أبو الخلال إنه أكثر التساؤل عنه ولكنه في النهاية رجع لكي يقول لأبي بكر المروزي أن يسمح له بروايته. ولكنه توفي خلال هذه الفترة، حتى سمع ذينك الجزئين عن محمد بن هارون الورّاق.[2]

المؤلفات والكتب: في منتصف القرن الثاني بدأت عملية جمع الأحاديث وتدوينها في العالم الإسلامي كله فألّفت كتب ومجموعات، وكان العلماء قبل ذلك يعتمدون على ذاكرتهم سوى بعض المجموعات المبعثرة لدى البعض منهم، ولم تكن سوى مذكرات شخصية. كتب الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام في أحداث 143هـ أنّ علماء الإسلام بدؤوا يدوّنون الفقه والحديث والتفسير فجمع الأحاديث ابن جريج بمكة المكرمة، وسعيد بن أبي عروبة وحماد بن

[1] الجرح والتعديل، 232/1/3

[2] طبقات الحنابلة، 147/1

سلمة في البصرة، والأوزاعي في الشام، والإمام مالك صاحب الموطأ وابن إسحاق صاحب المغازي في المدينة المنورة، ومعمّر في اليمن، وأبو حنيفة وغيره في الكوفة، وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع، وبعدهم بقليل ألّف الهيثم والليث بن سعد وابن لهيعة وابن مبارك وأبو يوسف وابن وهب في الحديث والفقه. ومع هذا ابتدأ التأليف في العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس.[1]

كتب الرامهرمزي في "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" أنّ أول مَنْ رتّب الأحاديث على أبواب الفقه هو الربيع بن صبيح البصري بالبصرة: "أول مَنْ صنّف وبوّب فيما أعلم الربيع بن صبيح بالبصرة ثم سعيد بن أبي عروبة".[2]

كانت البصرة منذ القديم تعرف بأرض الهند وفرج الهند وكانت لتجارة الهند وتجارها علاقة خاصة بها ثم حينما رتّب الإمام الربيع بن صبيح البصري الأحاديث وبوّبها حسب الفقه جاء الهند وتوفي بها بعد غزوة باربد في 160هـ ودفن بها. ولقد بارك وجود الربيع في هذه الأرض فنجد فيها حركة مستمرة لرواية الحديث والتأليف به وشرح كتبه والتعليق عليها ونشرها. ويمتاز علماؤها بخدمة الحديث عن غيرهم من علماء العالم الإسلامي.

وكان علماء الهند المحليون والأجانب يؤلّفون الكتب والرسائل في الحديث والفقه والتفسير وغيرها من العلوم والفنون في العهد العباسي.

فقد ألّف علماؤها في هذا العهد كتباً مستقلة بفن الحديث نالت القبول العام في العالم الإسلامي كغيرها من الكتب والرسائل حتى جاء طلاب العلم إلى مؤلفيها ورووها عنهم ثم روّجوها في بلاد الإسلام ولكن الأسف أنّ هذه الكتب لا توجد اليوم سوى أسمائها وعناوينها. ويمكن أن نجد بعض المخطوطات إذا بحثنا في مكتبات العالم.

[1] تاريخ الإسلام، 6/6
[2] المحدث الفاصل، ص 611

ومن يرأس كتّاب الهند ومؤلفيها هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء بن السندي النيسابوري الأسفرائني المتوفى سنة 286هـ أو 290هـ والذي يعرف بصاحب "الصحيح على شرط مسلم" و"الصحيح ومخرجه على كتاب مسلم": "وله مستخرج على صحيح مسلم بن الحجاج".[1]

يعرف هذا الكتاب الجليل في فن الحديث بصحيح أبي بكر الأسفرائني ومستخرج على مسلم. والاستخراج والتخريج يعني لدى المحدثين أن يأخذ المحدث كتابًا في الحديث مثل صحيح مسلم فيذكر أحاديثه بسنده ثم يتصل السند في الوسط أو في النهاية بشيوخ مسلم أو أحد الشيوخ المذكورين فيه فقام العديد من المحدّثين باستخراج وتخريج أحاديث صحيح البخاري أو صحيح مسلم وألّفوا كتبًا تضاهي بهما ومنها مستخرج أبي بكر السندي الأسفرائني الذي يضاهي بصحيح مسلم.

كان محدث سندي قبل الإمام البخاري أو في عصره يدعى "أبو جعفر السندي" له كتاب في الحديث ألحق إليه رواته من عندهم فجاء في "ميزان الاعتدال" في ترجمة عمرو بن مالك:

"قال الترمذي: قال محمد بن إسماعيل: هذا كذاب، كان استعار كتاب أبي جعفر السندي فألحق فيه أحاديث".[2]

وكان من بين رواته القدامى راوٍ يسمّى أبا الفرج السندي الكوفي فألّف كتابًا في الحديث رواه المتأخرون وبقي المحدّثون يقرؤونه بسند مؤلّفه. كتب أبو جعفر الطوسي في كتاب الفهرست:

"أبو الفرج السندي له كتاب، أخبرنا به جماعة، عن التلعكبري، عن أبي همام عن حميد عن القاسم بن إسماعيل عن أحمد بن رباح عنه".[3]

---

[1] تذكرة الحفاظ، 230/2 والوافي بالوفيات، 70/3 وشذرات الذهب، 193/2

[2] ميزان الاعتدال، 35/2

[3] معجم المصنفين، 23/10

كان إبان بن محمد السندي من علماء العراق القدامى، له كتاب اسمه "كتاب النوادر" فقال ابن حجر في "لسان الميزان" إن النجاشي عدّه من علماء الشيعة وقال إن كتاب النوادر من مؤلفاته.[1]

عبد الله بن حسن بن السندي الأندلسي ألّف كتابًا في عشرين مجلدًا في الزهد والرقائق روى فيه عن جماعة من المحدثين، ذكره ابن عساكر ونقل قول محدّث حافظ:

"قال الحافظ صنّف كتابًا في الزهد وقفت على الجزء العشرين منه، روى فيه عن جماعة، ولم أعرف من روى عنه".[2]

ألّف العديد من المحدّثين كتبًا مستقلة بالزهد والرقائق ينشر البعض منها في أيامنا هذه ولعل كتاب عبد الله بن حسن بن السندي الأندلسي أضخم كتاب في الموضوع.

كان أبو العباس أحمد بن محمد المنصوري إمامًا وقاضيًا للمذهب الداؤودي يسكن المنصورة. ألّف العديد من الكتب الضخمة الجيدة. ذكر ابن النديم مؤلفاته كما يلي: "وله كتب جليلة، حسنة كبار، منها كتاب المصباح كبير، كتاب الهادي، كتاب النير".[3]

لقيه المقدسي البشاري بالمنصورة وسمّاه القاضي أبا محمد المنصوري وقال إني رأيته وكان إمامًا للمذهب الداؤودي الظاهري، له حلقة تدريسية، وله مؤلفات. ألّف كتبًا جيدة حسنة.[4] وكذا كتب ياقوت أنّ له مؤلفات في مذهبه.[5]

وذكر بعض كتّاب التراجم كتابه "كتاب النير" بـ"كتاب النيرين". كان هذا

---

[1] لسان الميزان، 25/1

[2] مختصر تاريخ ابن عساكر، 362/8

[3] كتاب الفهرست، ص 306

[4] أحسن التقاسيم، ص 481

[5] معجم البلدان، 151/5

الكتّاب مهمًّا وشهيرًا إلى حد أنه عرف فيما بعد بهذه النسبة لذا كتبه ابن القيسراني في الأنساب المتفقة "صاحب كتّاب النيرين".[1]

عدّ الحافظ أبو نعيم أبا إسحاق إبراهيم بن السنجي الأصفهاني "صاحب الأصول" في تاريخ أصفهان.[2]

ولعله ألّف كتّابًا باسم "كتّاب الأصول" فنسب إليه. وحين ذكر مؤلفات علماء الهند نجد كتباً اختار فيها تلامذتهم أحاديثهم ورواياتهم فرتّبوها في كتب طبقًا لذوقهم فقد أعدّ الإمام الدارقطني مجموعة مختارة لروايات أبي بكر أحمد بن السندي البغدادي. يقول الخطيب البغدادي إني سألت الحافظ أبا نعيم الأصفهاني عن أبي بكر أحمد بن السندي فوثّقه وقال إنّ الدارقطني أعدّ مختارًا لأحاديثه: "فقال ثقة، انتخب عليه الدارقطني".[3]

يبدو من هذه الأمثلة أنّ علماء الهند لم يتخلفوا عن معاصريهم في التأليف والكتابة في العصر العباسي.

علماء الهند كما يراهم علماء الإسلام: لقد احتلّ علماؤنا مكانة مرموقة في العالم الإسلامي لفضلهم وتبحرهم فمنهم إمام ومنهم حافظ ومنهم مسند، وثقة، وثبت، ومأمون، وصادق، وصدوق، وحجة. وقد اعترف علماء الإسلام علنًا بإمامتهم وعبقريتهم، واعتبرهم رؤساء الجلسة العلمية، وأثنوا على حلقات تدريسهم، واستفادوا منهم علمًا ودينًا وروحًا. فقد كان علماؤها مفخرة للعالم الإسلامي كله وكان العالم الإسلامي كله يعترف بعظمتهم قولًا وعملًا.

قال الخطيب البغدادي عن أبي بكر أحمد بن السندي البغدادي فيما يلي: "وكان ثقة، صادقًا خيرًا فاضلًا".

---

[1] الأنساب المتفقة، ص 154

[2] تاريخ أصفهان، 193/1

[3] تاريخ بغداد، 187/4

وقال الحافظ أبو نعيم عنه: "وكان يعدّ من الأبدال ويقال أنه مجاب الدعوة".[1]

اعتبره ابن الأثير صدوقًا ووثّقه الإمام أبو بكر البرقاني.[2]

ولعل التصريحات الآنفة لعلماء الإسلام عن مكانة الإمام أبي بكر أحمد بن السندي العلمية والدينية تكفي الباحثين.

ذكر الإمام السيوطي أبا الفوارس أحمد بن محمد السندي الصابوني المصري بألقاب "ثقة" و"معمر" و"مسند ديار مصر"[3] كما كتبه الإمام الذهبي مسند مصر.[4]

يقول ابن النديم عن أبي العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصوري الداؤودي: "من أفاضل الداؤوديين".[5]

وذكره المقدسي البشاري إمامًا للمذهب الداؤودي.[6]

وقال الخطيب البغدادي عن أبي محمد حسن بن حامد الديبلي البغدادي: "وكان صدوقًا، وكان تاجرًا مموّلًا".[7]

ذكر أبو حاتم أبا محمد رجاء بن السندي النيسابوري صدوقًا، ويقول بكر بن خلف: لم أر أفصح منه" وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم: "ركن من أركان الحديث وفي أعقابه حفاظ محدّثون". وعدّه ابن حبان من الثقات.[8]

ويقال لأبي الهثيم سهل بن عبد الرحمن السندي الرازي "سندي بن عبدويه" أيضًا، يقول عنه السمعاني:

---

[1] المصدر نفسه، 187/4

[2] اللباب في تهذيب الأنساب، 212/1

[3] حسن المحاضرة، 156/1

[4] تذكرة الحفاظ، 98/3

[5] كتاب الفهرست، ص 306

[6] أحسن التقاسيم، ص 481

[7] تاريخ بغداد، 303/7

[8] الجرح والتعديل، 503/1/1 وتهذيب التهذيب، 268/3

"وكان من علماء الحديث وكان قاضي همدان وقزوين، وهو أول مَنْ جمعنا له".[1]

ويقول أبو الوليد الطيالسي:

"لم أر بالري أعلم بالحديث من رجلين: من قاضيكم يحيى بن الضريس ومن الزائد الأصبع السندي بن عبدويه". واعتبره أبو حاتم الرازي "شيخًا".[2]

كان أبو عبد الله محمد بن رجاء السندي النيسابوري ثقة وثبتًا، وبدأ الإمام الذهبي ترجمة ولده أبي بكر محمد بن محمد بن رجاء السندي النيسابوري بالحافظ الإمام ثم نقل قول الإمام أبي عبد الله الحاكم عنه: "كان ديّنًا ثبتًا مقدّمًا في عصره".[3]

وقد عرّف به ابن عماد في شذرات الذهب كما يلي:

"وكان حافظًا، ثبتًا تقوم به الحجة والاحتجاج، وله مستخرج على صحيح مسلم بن حجاج".[4]

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يعقوب عن الأب والابن والحفيد:

"رجاء السندي وابنه أبو عبد الله وابنه أبو بكر ثلاثتهم ثقات ثبات".[5]

وقال ابن الجزري عن أبي بكر محمد بن حسين الديبلي الشامي إنه مقرئ ثقة".[6]

وقال السمعاني عن أبي العباس محمد بن عبد الله الديبلي الزاهد: "الزاهد، وكان صالحًا عالمًا".[7]

وأبو بكر محمد بن علي البامياني كان محدثًا وثقة.[8]

---

[1] كتاب الأنساب، ص 166

[2] الجرح والتعديل، 318/2

[3] تذكرة الحفاظ، 230/2

[4] شذرات الذهب، 193/2

[5] تاريخ بغداد، 276/5

[6] غاية النهاية، 133/2

[7] كتاب الأنساب، ص 154

[8] معجم البلدان، 17/2

وقد قال ابن الجزري عن أبي القاسم منصور بن محمد السندي إنه مقرئ معروف وضابط.[1]

ولقد أعدّ أبو نعيم الأصفهاني ميزاته العلمية كما يلي:

"كان مقدمًا في حفظ القرآن كثير الروايات تخرج بالبصرة وببغداد، كتب الحديث الكثير، يرجع إلى فنون العلم من النحو والإعراب، وحفظ الآثار والأخبار".[2]

عدّ الحافظ ابن عدي أبا محمد موسى بن السندي الجرجاني ثقة، ومن ثقته وعدله أنّ محمد بن عمر العلاء الصيرفي كان يروي عنه بكلمات تالية: "حدّثنا أبو محمد موسى بن السندي السكاك الثقة المأمون".[3]

وقال الخطيب البغدادي في ترجمة أبي الحسن نصر الله بن أحمد بن القاسم بن سيما بن السندي البغدادي: "كتبت عنه، وكان صدوقًا".[4]

وعدّ الخطيب البغدادي أبا محمد عبد الله بن سليمان بن عيسى بن السندي ثقة.[5]

كان حبيش بن السندي البغدادي تلميذًا خاصًا للإمام أحمد بن حنبل وجامعًا لعلومه، قال عنه أبو الخلال: "وكان جليل القدر جدًا".

واعترف بعلمه وفضله ضمن روايته لحادثة:

"وهو رجل ما شئت يا لك من رجل، جليل القدر، كثير العلم، مقدم عندهم في القطيعة".[6]

وكان عبد الحميد القيرواني عالمًا كبيرًا لمذهب المالكية ومحدثًا، اعتبره القاضي

---

[1] غاية النهاية، ص 314
[2] تاريخ أصفهان، 231/1
[3] تاريخ جرجان، ص 23
[4] تاريخ بغداد، 302/13
[5] المصدر نفسه، 200/12
[6] طبقات الحنابلة، 147/1

عياض رجلًا صالحًا.[1]

الجرح على بعض المحدّثين ورواياتهم: ولقد أخذ أئمة الحديث على روايات بعض العلماء والمحدّثين الهنود طبقًا لفن الجرح والتعديل وكشف الستار عن معايبهم بجانب الدلالة على محاسنهم والاعتناء بعظمة حديث الرسول وعصمته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

كان سهل بن عبد الرحمن السندي (السندي بن عبدويه) محدّثًا ثقة، سمع أبو حاتم الرازي إرشاداته الدينية ولكنه لم يرو عنه الحديث، يقول: "رأيته مخضوب الرأس واللحية ولم أكتب عنه وسمعت كلامه".[2]

حكم ابن حجر عن حديث تفرّد بروايته منكرًا في ترجمة أربد التميمي في تهذيب التهذيب وهو: السندي بن عبدويه عن عمرو بن أبي قيس، عن مطرف بن طريف عن المنهال بن عمرو عن التميمي عن ابن عباس قال: كنا نتحدث أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم عهد إلى علي سبعين عهدًا لم يعهدها إلى غيره". ثم قال إنّ الطبراني ذكر هذه الرواية في معجمه عن محمد بن سهل بن الصباح عن أحمد بن الفرات عن السندي ثم قال: تفرّد به السندي وقد رأيته بقلم الإمام الذهبي أنه حديث منكر فقد حكم الذهبي في ميزان الاعتدال أنه منكر".[3]

كان أبو العباس أحمد بن محمد بن الصالح التميمي المنصوري إمامًا لمذهب داود الظاهري فروى حديثًا باطلًا عن شيخه أبي روق الحضراني الذي كان ثقة وصدوقًا فقال الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال: "روى عن أبي روق الحضراني حديثًا باطلًا هو آفته، ذكرنا في ترجمة أبي روق".

وقال في ترجمة أبي روق إنه صدوق كما أعلم ولكن أبا العباس المنصوري

---

[1] ترتيب المدارك، 130/3

[2] الجرح والتعديل، 318/1/3

[3] تهذيب التهذيب، 197/1 وميزان الاعتدال، 56/1

روى هذا الحديث عنه.

"أبو العباس المنصوري قال: حدّثنا الرمادي حدثنا عبد الرزاق عن عمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعًا: أول من قاس إبليس فلا تقيسوا" ثم كتب الذهبي: "فالحمل فيه على المنصوري وكان ظاهريًا".[1]

كتب ابن حبان في كتاب المجروحين من المحدّثين في أبي سليمان داود بن حصين بن عقيل المنصوري أنه من أهل المنصورة، له حديثان منكران رواهما عن الثقات ولكنهما ليسا مثل روايات الثقات فليجتنب الاحتجاج بما تفرّد به داود بن حصين المنصوري ثم نقل رواية كما يلي:

"روى عن إبراهيم بن الأشعث البخاري عن مروان عن معاوية الفزادي عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ادفنوا موتاكم في جوار قوم صالحين فإنّ الميت يتأذى من جوار السوء كما يتأذى الأحياء من جيران السوء".

وقال ابن حبان إنّ هذا خبر باطل، لا يثبت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فمن يرو مثل هذه الأحاديث عن إبراهيم بن الأشعث فليجتنبه لأنّ إبراهيم بن الأشعث إمام ثقة مأمون لأهل بخارا: "والبلية في هذا الحديث من داود هذا".[2]

روى سليمان بن ربيع بن هشام الهندي حديثًا منكرًا عن راوٍ مجهول محمد بن سلام البخاري وهو "عن محمد بن سلام البخاري عن عثمان بن عبد الرحمن الحراني عن أنس مرفوعًا: اطلبوا العلم يوم الاثنين فإنه ميسر لطالبه".[3]

قال أبو حاتم الرازي عن السندي بن أبي هارون إنه راوٍ مجهول.[4]

---

[1] ميزان الاعتدال، 62/1 و66

[2] كتاب المجروحين من المحدثين، 386/1

[3] الإكمال (هامش)، 410/2

[4] الجرح والتعديل، 18/1/1

وكذا قال الذهبي: "شيخ لمسدد مجهول".[1]

قيل لإمام الجرح والتعديل يحيي بن معين عن أبي العباس فضل بن سحيت السندي أنه سمع الحديث عن عبد الرزاق الصنعاني فأنكره بشدة، ونقل الخطيب البغدادي قول إبراهيم بن عبد الله بن جنيد التالي:

"قال سمعت يحيي بن معين وذكروا الفضل بن سحيت أبا العباس السندي فقال كذّاب، ما سمع من عبد الرزاق شيئًا، قالوا إنه يحدث. قال لعن الله من يكتب عنه من صغير وكبير، إلا أن يكون لا يعرفه".[2]

كتب الذهبي في ميزان الاعتدال أنّ أبا العباس السندي روى عن عبد الرزاق وغيره من المحدّثين ثم قال: "قال ابن معين ما سمع من عبد الرزاق لعن الله من يكتب عنه".[3]

وقد شدّد ابن معين على أبي العباس السندي لأجل روايات عبد الرزاق الصنعاني، كان راوٍ بالسند يسمّى ابن بشوال اتهم بوضع الحديث فقال ابن حجر عن محمد بن دأب المديني:

"قال الأصمعي قال لي خلف الأحمر، ابن داب يضع الحديث بالمدينة، وابن بشوال يضع الحديث بالسند".[4]

ذكر محمد بن علي الصوري عن شيخه أبي محمد حسن بن حامد الديبلي البغدادي أنّ ابن حامد ذكر له أنه سمع الأحاديث عن دعلج، وأبي بكر محمد بن حسن النقاش، وأبي علي الطوماري ثم قال في النهاية: "إلا أنه لم يكن عنده عنهم شيء".[5]

---

[1] ميزان الاعتدال، 428/1

[2] تاريخ بغداد، 364/12

[3] ميزان الاعتدال، 329/2

[4] تهذيب التهذيب، 596/9

[5] تاريخ بغداد، 231/10

يمكن أن يكون هذا القول لابن حامد وللصوري كليهما، وهذه الصراحة تعني أنه إذا ذكر ابن حامد روايات هؤلاء الشيوخ فيمكن جرحها.

الفقه والفقهاء: العصر الذي ندوّن تاريخه كانت مسائل وفتاوى الإمام ابن أبي ليلى والإمام الأوزاعي والإمام مكحول والإمام الثوري والإمام حسن البصري يعمل بها في العالم الإسلامي كما عمل بآراء وفتاوى الإمام أبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل فروّج أصحاب وتلامذة هؤلاء الفقهاء المحدّثين مذاهبهم الفقهية في ديارهم ولكنها لم تحتل درجة مذهب فقهي مستقل، هذه الحالة بقيت حتى القرن الرابع ثم احتلت مذاهب الأئمة الأربعة الفقهية درجة فقهية مستقلة وأما الآراء الفقهية الأخرى فقد اندثرت تقريباً إلا أنّ مذهب أبي سليمان داود بن علي الأصفهاني الظاهري (ت270هـ) قد انتشر في فارس وغيرها من بلاد العرب والعجم وكأنه قام مقام المذهب الحنبلي.

وقد راجت هذه المذاهب في أهل السنة والجماعة في الهند خلال العصر العباسي فكان مسلموها يعملون عادة على الفقه الحنفي أو الفقه الشافعي وفي هذه الأثناء كان المذهب الظاهري يزدهر وأما من خرج من الهند من العلماء فاعتنقوا المذهب المالكي والحنبلي بجانب اعتناقهم المذهب الحنفي والشافعي.

كتب المقدسي البشاري عن السند بعد العصر العباسي بالمئات من السنوات: "مذاهبهم، أكثرهم أصحاب حديث وأهل الملتان شيعة يحوعلون في الأذان ويثنون في الإقامة ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله وليس به مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة ".[1]

المراد من أصحاب الحديث هم أتباع داود الظاهري ولقد انتشر هذا المذهب في فارس وعمان والسند خلال تلك الفترة وكان الأصحاب الظواهر مسيطرين

[1] أحسن التقاسيم، ص 481

على هذه البلاد، وهؤلاء هم الذين احتلوا مناصب التدريس والتأليف والقضاء، وأما الأحناف فكانوا أقل منهم نفوذًا ولكن هذا المذهب كان عامًا قبل هذا وكان الفقه الحنفي مقبولًا في الهند كبلاد العجم الأخرى فقال ياقوت الحموي عن السند: "مذاهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة".[1]

كان هناك أئمة كبار لهذه المذاهب في الهند وقد قاموا بنشر مذاهبهم في جميع الجهات وألّفوا الكتب ودرّسوها.

وبشير بن عمر بن أبي هارون السندي من الأئمة الكبار للمذهب المالكي فقد عدّه القاضي عياض في ترتيب المدارك من الطبقة الأولى لفقهاء وأئمة المالكية، والذين ينتهي إليهم الفقه المالكي:

"وبشير بن عمرو السندي بن أبي هارون، وغيره وعليه تفقه جماعة من كبار المالكية كإسماعيل بن إسحاق القاضي وأخيه حماد".[2]

وكذا كان عبد الحميد السندي القيرواني من الأئمة الكبار للمالكية. كتب القاضي عياض أنه كان من أشهر تلامذة الإمام سحنون، وكان عالمًا صالحًا. توفي بقيروان في 253هـ.[3]

وعبد الله بن حسن بن السندي الدمشقي الأندلسي المالكي ذكره ابن عميره الضبي في بغية الملتمس وابن عساكر في تاريخه[4] ذكر القاضي عياض اسم والده بحسين لا حسن وصرّح أنه لم يكن من أهل السند.[5]

وكذا كان أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهندي الهمداني القرطبي المعروف بابن الهندي مشهورًا بين فقهاء المالكية. ذكر القاضي عياض أنه

---

[1] معجم البلدان، 151/5

[2] ترتيب المدارك، 551/2

[3] المصدر نفسه، 130/3

[4] بغية المتلمس وتاريخ ابن عساكر، 363/7

[5] ترتيب المدارك، 454/3

كان فاقد النظير في علم الشروط وكان يعترف بصفته هذه فقهاء الأندلس، وكان يرجع إلى هذا الكتاب أمراء الأندلس والمغرب ومفتوهما وقضاتهما وأهل الشروط، ونظرًا لفائدته وأهميته لخّصه فقهاء المالكية كما زادوا فيه من مثل القناعي وابن ذهل وابن عبد الواحد وغيرهم.

روى كتاب الوثائق لابن الهندي أبو بكر بن سيرين وحمزة بن الحاجب[1] وكذا رواه عن مؤلفه محمد بن عبد الله بن يزيد اللخمي المعروف بابن الأحدب وعنه رواه أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن الخليفة الأموي الإشبيلي (ت575هـ) في فهرسته.[2]

وكان علماؤها يحتلون درجة ممتازة في أصحاب الفقه الحنبلي فقد سبق أنّ حبيش بن السندي كان من أجلة تلامذة وأصحاب الإمام أحمد بن حنبل فقد روى عن الإمام أحمد أكثر من عشرين ألف حديثًا وكان يمتلك مجموعتين ضخمتين لمسائل الإمام أحمد وفتاواه لم يمتلكها تلميذ غيره.[3]

وكذا كان أبو بكر السندي الخواتيمي من أخص تلامذة الإمام أحمد وكان يقترب إليه فروى العديد من مسائله.[4]

كان فقهاء المالكية الهنود هؤلاء في المغرب وبغداد إلا أننا لم نجد هل كان هذان المذهبان رائجين في هذه المناطق في تلك الفترة أم لا، وفي هذه الفترة كان الإمام داود الظاهري حيًا وكان مذهبه ينتشر في ضواحي أصفهان ولكنه لم يترك أثرًا له في الهند إلا أنه انتشر في السند في غضون قرن وقد أشرف عليه الملوك الهبارية للمنصورة. كان القاضي أبو العباس المنصوري قاضي هذا المذهب وإمامه ومعلّمه ومؤلفه في تلك الفترة.

نرى أنّ كبار المذهب الشافعي كانوا بارزين في تلك الفترة وكانوا يفيدون

---

[1] المصدر نفسه، 4/649-650

[2] فهرست أبي بكر بن خير الإشبيلي، ص 254

[3] طبقات الحنابلة، ص 146-147

[4] المصدر نفسه، 1/171

العام والخاص على السواء.

وبجانب كونه رجلًا صاحب الكرامات كان أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي المصري الشافعي عالمًا كبيرًا للفقه الشافعي فقال السبكي: "إنه كان فقيهًا جيد المعرفة تفقّه على مذهب الشافعي".[1]

وقال الشرقاوي: "كان جيد المعرفة بالمذهب، كثير النظر في الأمّ".[2]

ذكر العبادي أبا حامد أحمد بن محمد المنصوري الشافعي من فقهاء الطبقة الرابعة للمذهب الشافعي في طبقات الفقهاء الشافعية وقد ذكر الصيمري حديثًا في أخبار أبي حنيفة وأصحابه رواه أبو حامد المنصوري عن علي بن النخعي عن أحمد بن الصراف.[3]

جاء ذكر كتاب الوصايا لأحمد بن محمد الكرابيسي الهندي في كشف الظنون.[4]

ذكر أبو نعيم الأصفهاني أبا إسحاق إبراهيم بن السندي بن علي بن بهرام كصاحب الأصول وذكر ثلاث رواياته عن شيوخه.[5]

تعلّم السندي بن عبدويه (سهل بن عبد الرحمن السندي الرازي) على علماء المدينة المنورة والعراق وقد ذكره ابن القيسراني في كتابه "الأنساب المتفقة" على الرغم من أنه عدّه من علماء أهل الحديث[6] وهذا يعني أنه كان فقيهًا كذلك.

وكذا ذكر ابن القيسراني أبا محمد عبد الله بن جعفر بن مرة المنصوري في كتاب الأنساب المتفقة وعدّه مقريًا[7] وهو كان فقيهًا بجانب كونه مقريًا.

---

[1] طبقات الشافعية، 102/2

[2] التحفة البهية في طبقات الشافعية (مخطوط)، رقم الورقة: 24

[3] أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص 64

[4] كشف الظنون، 306/2

[5] تاريخ أصفهان، 193/1

[6] الأنساب المتفقة، ص 78 (كان من علماء أهل الحديث).

[7] المصدر نفسه، ص 154

كتاب "أدب القضاء" لعلي بن أحمد بن محمد الديبلي الشافعي شهير للغاية. نقل فيه تلامذة أبي العباس الأصم أحاديث مسند الشافعي وقد ذكر السبكي مسائل هذا الكتاب في طبقات الشافعية ونقل مختلف الأقوال عن نسبتها.[1] وقد ذكر كشف الظنون أدب القضاء.[2]

وقد ذكر أبو عاصم العبادي أبا نصر فتح بن عبد الله السندي الشافعي من الطبقة الثانية لأصحاب الشافعي في كتابه "طبقات الفقهاء الشافعية". كانت هذه الطبقة متفردة بالعديد من روايات ومسائل الفقه الشافعي.[3] وقد ذكره ابن القيسراني فقيهاً ومتكلماً[4] كما ذكره السمعاني وياقوت الحموي بنفس الصفة.

الزهد والتصوف والمشائخ: في العصر الأموي كان الإحسان هو الزهد والتصوف، وكان مصدره الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين. نفس الصورة بقيت في بداية العصر العباسي تقريباً، وكان من حملته إبراهيم بن أدهم وذو النون المصري والمعروف الكرخي وبشر بن الحارث الحافي وداود الطائي والشقيق البلخي وأبو يزيد البسطامي وسهل التستري وسليمان الداراني وحاتم الأصم ويحي بن معاذ الرازي وجنيد وشبلي وغيرهم ممن يؤمن بالكتاب والسنة ويتبع الشريعة الإسلامية الغراء.

وحتى القرن الثالث كانت جماعة العباد والزهاد، والأصفياء والأتقياء تستنير بكتاب الله وسنة رسوله لتطهير القلب وتزكية النفس، وكان العباد والزهاد والمشائخ الهنود في ذلك العصر حاملي الزهد والتصوف الإحساني الخالص حتى اختلط به أفكار وآراء العجم فأصبح التصوف مذهباً فكرياً وبلغ أثرها إلى الهند. وكما نعلم أنّ الحسين بن منصور الحلاج (قتل في 309هـ) هو أول

---

[1] طبقات الشافعية، 290/3

[2] كشف الظنون، 73/1

[3] طبقات الفقهاء الشافعية، ص 58

[4] الأنساب المتفقة، ص 77

من تحمّل الفكرة الصوفية الجديدة فجاء الهند وبلّغ أفكاره هنا. نقل علي بن أحمد الحاسب قول والده أنّ الخليفة المعتضد (275-285هـ) أرسلني إلى الهند. كان يركب سفينتي الحسين بن منصور الحلاج فلما نزلنا من الباخرة سأله عن السبب لوروده هنا فردّ عليّ بأنه سيتعلم السحر ويدعو الناس إلى خالقهم.[1]

كتب الإمام الذهبي في العبر أنّ الحسين بن منصور الحلاج جال في ما وراء النهر وخراسان والهند ونشر أفكاره في كل مكان ثم لم يزل يراسله الهنود وكانوا يذكرونه بالمغيث.[2]

شخصية الحلاج مختلف فيها فكان جده محمي مجوسياً من مدينة البيضاء بفارس وقد ترعرع الحلاج في الواسط بالعراق فرافق المشائخ أمثال جنيد وعمرو بن عثمان والفوطي ولقد أنكر معظم المشايخ أفكار الحلاج الصوفية بينما اعترف بصلاحه وعبوديته البعض مثل أبي العباس بن عطاء ومحمد بن حنيف وأبي القاسم النصرآبادي.[3]

وعلى كل حال فقد كان في الهند مشائخ متحلّون بالإحسان قبل نشر وترويج أفكار ومعتقدات الحسين بن منصور الحلاج.

فرئيس صوفية ذلك العصر هو الشيخ أبو علي السندي وكفى جلالة شأنه وعلوّ كعبه في هذا المجال أنه مرشد أبي يزيد البسطامي.

يقول أبو يزيد أنه تعلّم الفناء والتوحيد عليه وقد تعلّم عليّ الحمد لله وقل هو الله أحد وفي رواية أنه كان يعلّمه الواجبات بينما هو يعلّمه التوحيد والحقائق.

وكذا يقول أبو يزيد البسطامي أنه ذات يوم جاءني أبو علي السندي يحمل زنبيلاً بيده فنشره أمامي فانتشر منه العديد من أنواع الجواهر فسألته أنى له

---

[1] المنتظم، 61/6

[2] العبر في خبر من غبر، 119/1-120

[3] طبقات الشعراني، ص 145

هذه الجواهر؟ قال: إني كنت أمرّ على مكان إذ وجدتها تتلألأ كالقنديل فأخذتها فسألته في أيّ حالة كنت آنذاك فقال: قد غلبني الفتور.[1]

وكان أبو محمد الديبلي شيخًا عظيمًا جليلًا من بين شيوخ ذلك العهد فقد نقل الخطيب البغدادي قوله في ترجمة الشيخ أبي محمد الجريري (أحمد بن محمد بن حسين الجريري) المتوفى سنة 311هـ نقل قوله: إني سألت الشيخ جنيدًا عمن نرجع إليه بعدك؟ فقال: أبو محمد الجريري.[2]

يبدو من هذه الرواية أنّ الشيخ أبا محمد الجريري كان ممن اقترب إلى الشيخ جنيد (297هـ) وكانت له درجة كبرى بين مسترشديه. لم نجد أكثر من ذلك في ترجمته.

وكذا كان أبو موسى الديبلي من كبار مشايخ هذه الديار. كان ابن أخت أبي يزيد البسطامي وراوي العديد من أقواله وحكمه فقد قال ابن الجوزي في صفة الصفوة عن رواية في ترجمة أبي يزيد البسطامي: "قال أبو موسى الديبلي ابن أخت أبي يزيد البسطامي أنبأنا أبو يزيد البسطامي إلخ".[3]

ثم نقل العديد من أقوال أبي يزيد عن أبي موسى الديبلي ولقد روى عبد الرحمن السلمي قولًا لأبي يزيد عنه في طبقات الصوفية.[4]

ذكر ابن الجوزي عثمان السندي في المنتظم حين ترجمة الزاهد العابد الشهير أبي العباس بن سريج (القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج المتوفى في 306هـ) فيبدو من ذلك أنه كان من المقربين لديه وكان متفوقًا في الزهد والتقوى. ذكر عثمان السندي أنّ أبا العباس بن سريج قال لي حين مرض وفاته إني رأيت في المنام أنّ أحدًا يقول إن ربّك يخاطبك ثم قيل: بماذا

[1] جامع كرامات الأولياء، 281/1

[2] تاريخ بغداد، 422/4

[3] صفة الصفوة، ص 302

[4] طبقات الصوفية، ص 73

أجبتم المرسلين" فلما سمعت هذه الآية شعرت بقوة الإيمان والتصديق في قلبي ثم قرئت عليّ نفس الآية مرة أخرى فظننت أنه يطلب مني المزيد من الردّ فاعترفت بخطأي مع الإيمان والتصديق ثم نودي أني قد غفرت لك.[1]

هؤلاء بعض صوفية الهند ومشائخها الذين عاشوا في العصر العباسي وكانوا أحياء في القرن الثالث ثم واصل فيضهم وبركتهم تلامذتهم ومسترشدوهم، وأقرانهم ومعاصروهم الذين برز فيهم كبار العابدين والزاهدين والمشائخ فمنهم من يلي:

1. أبو العباس أحمد بن عبد الله الديبلي: قال عنه الإمام السمعاني: "ومن الفقراء الزهّاد". هاجر من الديبل إلى نيسابور فتأهل بها متوطنًا وجعل خانقاه حسن بن يعقوب مسكنه فكان يقضي نهاره في عياله وكان يصلّي بمسجد المدينة الجامع ثم يرجع إلى الخانقاه بالليل. كان يلبس البطانية وكان يمشي حافيًا. توفي بنيسابور ودفن بمقبرة الحيرة.[2]
2. أبو العباس محمد بن محمد الديبلي الورّاق كان عابدًا زاهدًا ورجلًا صالحًا، قال عنه الإمام السمعاني: "الزاهد، وكان صالحًا عالمًا". صلّى جنازته أبو عمرو بن نجيد الذي كان شيخًا مشهورًا في زمنه.[3]
3. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديبلي كان إمامًا للقراءة والتجويد وعالمًا زاهدًا عابدًا. لم يذكر ابن الجوزي سواه من بين زهّاد وعبّاد وصلحاء الديبل في صفة الصفوة بالكلمات التالية: "ومن المصطفين من أهل الديبل، أبو عبد الله الديبلي". ثم ذكر إحدى كراماته لطيّ الأرض[4] وقد ذكر في الكتب الأخرى بالمقري والزاهد.
4. أبو بكر أحمد بن السندي بن حسن بن بحر الحدّاد كان من الأبدال

---

[1] المنتظم، 150/6

[2] أنساب السمعاني، ص 201

[3] المصدر نفسه

[4] صفة الصفوة، 52/4

المستجاب دعاؤهم بجانب كونه ثقة ومحدثًا فاضلًا. نقل الخطيب البغدادي قول أبي نعيم الأصفهاني عنه: "وكان يعدّ من الأبدال، وكان يقال أنه مجاب الدعوة".[1]

ولقد روى أبو نعيم عن أبي أحمد بن السندي في تراجم العديد من الأولياء والمشائخ في حلية الأولياء فقد نقلت روايات الزهد والرقائق بسنده في تراجم عكرمة مولى ابن عباس وميمون بن مهران وسعيد بن جبير وعلي بن أبي طالب ومقداد بن أسود وعبد الله بن عباس ومالك بن دينار وأبي عمران وغيرهم.

5. اعتبر السبكي أبا العباس أحمد بن محمد الديبلي حافظًا زاهدًا وقال: "وكان رجلًا صالحًا، من أرباب الأحوال والمكاشفات له كرامات ظاهرة، وأحوال سنية".

وقد هاجر من الديبل فسكن مصر وكان يكتسب بيديه فكان يخيط قميصًا أسبوعيًا كانت أجرته درهمين ودانقين، وكان بها يطعم ويواري ذاته. وكان هذا المبلغ كافيًا له رخيصًا كان العيش أو غاليًا، ولم يسأل أحدًا عن غرفة من ماء خلال إقامته بمصر.

وعندما جاءه الأجل حضر عنده أبو العباس النسوي وأبو سعيد الماليني، كان حاضر البديهة حتى موته وكان يتلو القرآن إذ فارقت روحه الجسد. حضر جنازته عدد لا يحصى من الناس فكأن مصر كلها حضرها.[2]

المفسّرون والقرّاء: كان السلف الصالح جامعين للعلوم والفنون وكان كل جانب من جوانب حياتهم براقًا إلى حد يصعب للدارس التمييز بينها، وكان علماء الهند متصفين بهذا في جامعيتهم فنقدّم فيما يلي أسماء بعض المفسّرين والمجوّدين:

[1] تاريخ بغداد، 187/4

[2] طبقات الشافعية، 102/2

1. أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي المكي قد روى كتاب التفسير لأبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي.
2. ذكر الحافظ أبو نعيم روايات التفسير لأبي بكر أحمد بن السندي الحدّاد البغدادي حين ذكر تراجم العديد من المشائخ في حلية الأولياء.
3. تعلّم أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن سليمان الديبلي البغدادي قراءة الإمام عاصم على حسنون بن الهيثم الدويري فتعلّمها عليه أحمد بن علي العباد.
4. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الديبلي الزاهد كان مقري الشام.
5. تعلّم أبو القاسم جعفر بن محمد السرنديبي القراءة والتجويد على الإمام قنبل.
6. عبد الله بن جعفر بن مرة المنصوري المقري.
7. منصور بن محمد السندي الأصفهاني المقري المعروف.
8. محمد بن حسين بن محمد الديبلي الشامي المقري الثقة.

القضاة والمعدّلون: قد احتل العديد من علماء الهند منصب القضاء والتعديل، والأخير كان منصباً لإعداد تقرير الشاهدين وإعانة القضاة. ومنهم:

1. أبو بكر أحمد بن القاسم بن سيما ابن السندي البغدادي كان معدّلًا.
2. أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح المنصوري كان قاضي مدينته المنصورة.
3. أبو العباس أحمد بن نصر بن حسين الديبلي الموصلي كان قاضي دار الخلافة بغداد.
4. سندي بن عبدويه كان قاضي همدان وقزوين كلتيهما.
5. سندي بن شاهك قد تولّى مهمة القضاء في بعض الأحيان. ولم يطلب القسم من العامل والحائك والملاح، وكان يعترف بقول المدعي مع قسمه وكان يقول: اللهم استخيرك في علم الجمّال والكتيب.[1]

[1] عيون الأخبار، 78/3

المتأخرون من علماء الهند ومحدّثيها: إنّ سلسلة العلوم الإسلامية وأصحابها في الهند خلال العصر العباسي مرتبطة كل حلقاتها من حيث يصعب لنا فصلها ولذا فقد ذكرنا فيما مضى علماء انتموا إلى عهد ما بعد العهد العباسي إلا أنهم حلقة لتلك السلسلة الذهبية وعلى هذا فنقدّم فيما يلي موجز تراجم بعض العلماء الهنود الذين ولدوا بعدهم ولكنهم حلقة لتلك السلسلة.

وقد شملهم أئمة ومحدّثون وحفاظ الأحاديث وفقهاء ومعلّمون وعباد ومؤلّفون ومتكلمون وشعراء، وإن لم نذكرهم لبقي فراغ في تاريخ الهند الإسلامية.

1. كتب ياقوت الحموي عن أبي العباس أحمد بن نصر بن حسين الأنباري الموصلي الديبلي أنه كان أنباري الأصل ويشتهر بنسبته إلى الديبل ومن الممكن أنّ أسرته هاجرت من الديبل في مدة من الزمن ثم بلغت الأنبار وتوطنتها فولد بها القاضي أبو العباس الديبلي. إنه فقيه شافعي. جاء بغداد من الأنبار فجعله قاضي القضاة أبو الفضائل القاسم بن يحيى الشهروزي نائبًا للقاضي والحكم بحريم دار الخلافة.

بقي على منصب نيابة القضاء حتى عزل قاضي القضاة ثم عزل وذهب إلى الموصل وتوفي بها في 598هـ. كان عالمًا صالحًا متدينًا تقيًا، قد اشتهر في الناس تقواه وديانته فكان يمنع إصدار الأحكام غير الشرعية ولم يكن يخاف لومة لائم في الحق.

يقول ياقوت الحموي: "وله عندي يد كريمة، وذاك أنه تلطف في إيصالي إلى حق كان حيل بيني وبينه من غير معرفة سابقة ولا شفاعة من أحد، بل نظر إلى الحقّ من وراء سجف رقيق فوعظ الغريم وتلطف به حتى أقرّ بالحقّ".[1]

2. القاضي إسماعيل بن علي بن محمد بن موسى بن يعقوب الثقفي السندي

---

[1] معجم البلدان، 341/1

كان قاضي وخطيب وفقيه ألور (أروڑ)، قد ورث هذا المنصب. لقيه علي بن حامد الكوفي السندي بألور وحصل منه على أجزاء تاريخ السند لآبائهم فترجمها من العربية إلى الفارسية.

3. جاء آباء أبي الفضائل رضي الدين حسن بن محمد بن حسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل القرشي العدوي العمري الحنفي الصغاني اللاهوري البغدادي من چغانيان إلى لاهور. ولد أبو الفضائل بها في 577هـ فتعلّم على أبيه ثم سافر إلى غزنة وعدن وبغداد ومكة المكرمة، وسمع الأحاديث عن كثير من الشيوخ بمن فيهم أبو الفتوح بن حصري وسعيد بن رزّار.

ومن تلامذته شرف الدين الدمياطي ونظام الدين محمود بن عمر الهروي ومحيي الدين أبو البقاء وصالح بن عبد الله بن جعفر بن الصبّاغ الكوفي وبرهان الدين محمود بن أبي الخير أسعد البلخي وغيرهم. كان حسن الصغاني اللاهوري قد احتل الإمامة في الحديث والفقه واللغة، فلم يوجد عالم أكبر وأجمع منه في عصره. قدّم السلطان قطب الدين أيبك منصب القضاء إليه في لاهور فلم يقبله وذهب إلى غزنة. أصبح سفير الخليفة الناصر لدين الله العباسي والخليفة المستنصر بالله العباسي إلى السلطان شمس الدين ألتمش ورضية بنت ألتمش في دلهي وبغداد. توفي ببغداد ليلة الجمعة التاسع عشر من شهر شعبان 650هـ.

من مؤلفاته في الحديث مشارق الأنوار النبوية ومصباح الدجى والشمس المنيرة وشرح صحيح البخاري ودرر السحابة في وفيات الصحابة ومختصر الوفيات وكتاب الضعفاء وكتاب الفرائض وفي اللغة والأدب مجمع البحرين والعباب الزاجر والشوادر والقلائد السمطية في شرح الدريدية والتراكيب وأفعال على وزن خدام وقطام وفعلان على وزن سيّان وكتاب الأفعال وكتاب المفعول وكتاب الأصغار وكتاب

العروض وأسماء الأسد وكتاب أسماء الذئب.[1]

4. أبو الحسن علي بن عمرو بن الحكم اللوهوري (اللاهوري) سمع الحديث عن الحافظ أبي علي المظفر بن إلياس بن سعيد. يقول السمعاني إني لم أوفّق لقاءه إلا أنّ الحافظ أبا الفضل محمد بن ناصر روى عنه عني وكتب: "كان شيخًا، شاعرًا، كثير المحفوظ، مليح المحاورة".

5. كان أبو جعفر عمر بن إسحاق الواشي اللاهوري عالمًا شهيرًا في زمنه، وكان من فحول الشعراء، كلامه الفارسي متوفر.

6. عمرو بن سعيد اللهاروي (اللاهوري) شيخ الحافظ أبي موسى المديني الأصفهاني فروى عنه.[2]

7. أبو المكارم فضل الله بن الحافظ أبي سعيد محمد البوقاني كان إمامًا وفقيهًا، تعلّم الفقه على محمد بن يحيي وقضى حياته في رواية الحديث والإفتاء والتدريس. ولد ببوقان في 513هـ أو 514هـ. كان يقيم بنيسابور. مرض بها فحمل إلى الوطن حيث توفي في 600هـ.[3]

كتب الإمام الذهبي في ترجمة الإمام البغوي صاحب مصابيح السنة في تذكرة الحفاظ أنّ أبا المكارم فضل الله بن محمد البوقاني كان أخير تلميذه الذي سمح له الإجازة بالرواية.[4]

8. محمد بن أحمد بن محمد بن خليل بن أحمد البوقاني الشافعي ولد في 467هـ وسمع الحديث عن أبي بكر بن خلف الشيرازي، وروى عنه عبد الرحيم بن السمعاني. توفي بمدينته بوقان (السند) في أواخر شهر

---

[1] الجواهر المضية، 201/1

[2] معجم البلدان، 345/7

[3] التحفة البهية في طبقات الشافعية (مخطوط)

[4] تذكرة الحفاظ، 52/4

محرم سنة 548هـ.[1]

9. أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد البوقاني الشافعي يلقّب بسديد، علّمه الإمام الغزالي وفي 556هـ استشهد في مشهد علي بن موسى الرضا.[2]

10. أبو عبد الله محمد بن المأمون بن رشيد بن هبة الله اللهاروي (اللاهوري) المطوخي سافر إلى خراسان لطلب العلم فتعلّم الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وسمع الحديث عن تلامذة أبي بكر الشيرازي وأبي نصر القشيري بنيسابور ثم أقام ببغداد لمدة طويلة فتعلّم عليه المحدثون واستملوه. وفي أخير عمره تولّى مهمة الوعظ والنصح في آذربيجان فقتل بها على أيدي الملاحدة في 603هـ.[3]

11. أبو القاسم محمد بن محمد بن خلف اللهاروي (اللاهوري) نزيل أسفرائن كان فقيهًا ومناظرًا. وكان عالمًا رزينًا وشريفًا. تعلم الحديث على أبي المظفر السمعاني ثم تعلّم عليه الفقه ثم سمع الحديث ورواه عن أبي الفتح عبد الرزاق بن حسان المنيعي وأبي نصر محمد بن محمد الماهاني وأبي بكر بن خلف الشيرازي بنيسابور، وأبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الأصفهاني في بلخ، وأبي سهل أحمد بن إسماعيل بن بشر النهرجاني في أسفرائن. وكذا روى بعض الأحاديث عن أبي سعيد السمعاني صاحب "كتاب الأنساب" بأسفرائن التي سكنها. توفي في نحو 540هـ.[4]

12. ولد محمد بن عثمان بن إبراهيم بن عبد الخالق الجوزجاني اللاهوري، سراج الدين بن منهاج الدين (سراج منهاج) بلاهور ونشأ في سمرقند وتعلّم بها على شيوخ عصره. كان إمامًا في الفقه والعربية. جعله

---

[1] طبقات الشافعية، 63/4

[2] المصدر نفسه، 66/4

[3] معجم البلدان، 345/7

[4] المصدر نفسه، 345/7

السلطان شهاب الدين الغوري قاضي العسكر بلاهور في 583هـ وفي 589هـ دعاه بهاء الدين سام بن محمد إلى باميان وجعله قاضي القضاة ورئيس المدرسين وأعطاه الخطابة والاحتساب وغيرهما من المناصب الشرعية. حضر بلاد الخليفة الناصر لدين الله العباسي كسفير مرتين وتوفي بعد عودته الثانية بمكران في 590هـ. ولده عثمان بن محمد بن عثمان هو مؤلف "طبقات ناصري".

13. أبو علي منصور بن السندي الأسكندراني روى عن الإمام أبي طاهر السلفي ويعرف بالدباغ والنحاس. توفي في ربيع الأول سنة 646هـ.[1]

14. أبو محمد هارون بن محمد بن المهلب البروجي الهندي كان من أهل بروص (غوجرات)، لقيه أبو طاهر السلفي بالإسكندرية. كان مؤذنًا في مسجد بالإسكندرية. تشرّف بحجّ بيت الله الحرام. عدّه السلفي شيخًا صالحاً وقال إنه يعجز عن أداء ما بخاطره بالعربية أو الفارسية.[2]

15. أبو العلاء الهندي روى الحديث عن أبي بكر محمد بن حسن الرزقي البغدادي (ت527هـ). كان معاصرًا وزميلًا في الدرس لابن عساكر وخفاف بن ناصر.[3]

علماء الإسلام الذين وردوا الهند في هذا العهد: العهد الذي نذكر علماءه الهنود جاء فيه كبار علماء الإسلام إلى الهند وجهابذتهم بمن فيهم محدّثون وفقهاء وشعراء وأدباء ومتكلمون وعبّاد وزهّاد ورحالة ومؤرخون وتجّار فأفادوا المواطنين كما استفادوا منهم فنقدّم فيما يلي بعض الأسماء المتلألئة وتراجمهم:

1. أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار التونسي الملتاني المالكي قام

---

[1] حسن المحاضرة، 159/1 وشذرات الذهب، 391/5

[2] معجم البلدان، 55/4

[3] المصدر نفسه، 46/8

برحلة دينية وعلمية من إفريقية إلى بلاد الشرق فحصل على العلوم والفنون، وبهذا الصدد جاء ملتان. وفي النهاية أقام بجاية وعلّم بها وحدّث. كان شهيرًا في الفقه المالكي والعربية والتصوف والعبادة كما كان شخصية عظيمة وكبيرة. توفي في 644هـ.[1]

2. أبو تمام أحمد بن محمد بن مختار بن عبد الواحد بن المؤيد بالله البغدادي يعرف بكنية "ابن الخضر". روى الحديث عن أبي جعفر بن مسلمة وأبي نصر الزبيني. سافر من بغداد إلى ما وراء النهر للتجارة ومن هنا بلغ الهند عن طريق البحر. تموّل في هذا الطريق فحاول للمزيد. توفي يوم الجمعة الخامس من شهر ذي القعدة سنة 543هـ بنيسابور. يقول ولده نصر الله إنّ أباه بلغ من العمر 103 سنة.[2]

3. أبو إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن يوسف الأنصاري الإسكندري يكنى بابن العطاء. ولد في 595هـ وتعلّم الأدب والعربية على النحوي الشهير أبي زكريا يحيى بن المعطي ثم سافر إلى مدن الهند واليمن والعراق والروم. كان منشئًا جيدًا. توفي بالقاهرة في 649هـ.[3]

4. أبو نزار حسن بن الصافي البغدادي الشافعي يلقّب بملك النحاة، تعلّم الفقه على أحمد الأشهبي وأما أصوله فقد تعلّمها على ابن برهان. وكذا استفاد من أبي عبد الله القيرواني وأسعد المنيهي وعلي الفصيحي. كان فاقد النظير في النحو والأدب. ذكره المؤرخون بالفقيه والأصولي والمتكلم والنحوي والأديب والفصيح. ورد الهند وخراسان والواسط حتى أقام بدمشق. ألّف كتباً عدة وقد حدّد له لقب "ملك النحاة". توفي في 568هـ.[4]

---

[1] نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 62

[2] المنتظم، 134/10

[3] الطبقات السنية في تراج الحنفية، 216/1

[4] شذرات الذهب، 237/4

5. أبو مغيث حسين بن منصور الحلاج صوفي شهير. ورد الهند في خلافة المعتضد ومن ثم جعل يراسل الهنود. وكذا سافر إلى خراسان وما وراء النهر فروّج أفكاره الصوفية. قتل ببغداد في 309هـ.[1]

6. فخر الدين حسين الزنجاني اللاهوري شيخ شهير، غادر زنجان فأقام بلاهور وتوفي بها.

7. أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري الأندلسي سافر من الأندلس إلى الهند والصين على متن البحر وواجه فيها أخطاراً ومصائب ثم ذهب إلى بغداد وتعلّم الفقه على حامد الغزالي وسمع الأحاديث عن طراد بن محمد الزينبي وابن بطر وثابت بن بندار وجماعة من المحدثين. وأما الأدب فقد تعلّمه على الخطيب التبريزي. تعلّم عليه ابن الجوزي. كان عالماً صالحاً ثقة. توفي يوم السبت العاشر من محرم سنة 541هـ وحضر جنازته قاضي القضاة الزينبي وأشراف وأعيان الدولة.[2]

8. أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسن بن عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري ذكر بألقاب الإمام والحافظ والمفيد واللغوي. ولد في 451هـ وأقام مع إمام الحرمين لأربع سنوات فتفقّه. روى عن أبي القاسم القشيري جده لأمه، وأحمد بن منصور المغربي وأحمد بن عبد الرحيم وأبي حامد أحمد بن حسن الأزهري وفضل بن محمد وأبي نصر عبد الرحيم بن علي التاجر ومحمد بن عبد الله الصرّام وعبد الحميد بن عبد الرحمن النميري وفاطمة بنت الدقاق وجماعة من المحدثين. وقد روى عنه أبو سعيد بن عمر الصفاء وغيره وأما الإمام ابن عساكر فقد نال عنه الرواية بالإجازة. سافر إلى خوارزم والهند وفي النهاية جعل

---

[1] الأنساب، 217/2

[2] مرآة الزمان، 151/8 (القسم الأول)

يؤدي خدمة الإمامة والخطابة في نيسابور. توفي في 529هـ بالغًا من العمر 98 سنة. كان محدثًا عظيمًا وكاتبًا كبيرًا. من مؤلفاته تاريخ نيسابور ومجمع الغرائب والمفهم شرح صحيح مسلم.[1]

9. أبو الفضل عبد الحميد بن حسين بن يوسف بن حسن بن أحمد بن دليل الكندي الخطي، يقول ابن عميرة الضبي إنه روى عن الحافظ أبي بكر الطرطوشي. لقيته بالإسكندرية. ذكر لي أنه ذهب إلى مريه مدينة بالأندلس في 513هـ ولقيت أبا عبد الله محمد بن يحيى فدعا لي فانتفعت بدعائه، وكذا كتب الضبي عنه ما يلي: "ودخل الهند، وكان يحدثنا في كل ليلة إثر الفراغ من القراءة بعجائب الهند".

توفي في نحو 580هـ.[2]

10. الإمام أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري الغزنوي اللاهوري كان من أشهر أولياء الهند. تعلّم على جماعة من العبّاد والزهّاد بجانب العلماء والمحدثين. تشرّف بحج بيت الله الحرام، ولما رجع إلى الهند أقام بلاهور حيث توفي في 465هـ. من أشهر مؤلفاته "كشف المحجوب".

11. الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر صاحب "التفسير الكبير" ورد الهند فقال في نهاية تفسير الآية "وإلى عاد أخاهم هودا" لسورة هود:

"قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختم له بالحسنى دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجود الإله إلخ".[3]

توفي الإمام الرازي عام 606هـ.

---

[1] تذكؤة الحفاظ، 68/4

[2] بغية المتلمس، ص 382

[3] التفسير الكبير، 98/5

12. أبو المكارم محمد بن عمر بن أميرجه بن أبي القاسم بن أبي سهل بن أبي سعد المهّاد الأشهبي البلخي ولد في 466هـ ببلخ. روى عن أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد عمير العميري وأبي عطاء عبد الأعلى بن عبد الواحد المليحي في هرات، وأبي تراب عبد الباقي بن يوسف المراغي وأبي الحسين مبارك ابن عبد الله بن محمد الواسطي بنيسابور، وأبي القاسم أحمد بن محمد بن محمد الخليلي وأبي إسحاق إبراهيم بن أبي نصر محمد بن إبراهيم التاجر الأصفهاني ومعاصريهم ببلخ. وكذا تعلّم على كثير من المحدثين وكتب ما لا يقاس ولا يظنّ.

كان عالمًا كبيرًا وحافظًا للحديث، تجوّل في مدن الهند وخراسان وسمع الأحاديث عن عالم كل مدينة. توفي في شوال سنة 532هـ.[1]

13. أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن عنين الزرعي الأنصاري الدمشقي يكنّى بابن عنين. كان شاعرًا مخلًا قد حفظ عن ظهر قلبه جمهرة ابن دريد. ولد بدمشق في 549هـ وتوفي بها في 630هـ. اشتهر بهجوه ولذا نفاه السلطان صلاح الدين إلى الهند فأرسل إلى أخيه بيتين من الهند، ثانيهما لأبي العلاء المعري:

سامحت كتبك في القطيعة عالمًا ... إنّ الصحيفة لم تجد من حامل

وغدوت طيفك في الجفاء لأنه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل

وقال ما يلي في قصيدة:

ألا يا نسيم الريح من تلّ راهط ... وروض الحمى كيف اهتديت إلى الهند

توفي في 630هـ أو 633هـ.[2]

14. أبو المعالي محمد بن الهيّاج بن مبادر بن علي الأثاربي الأنصاري قال عنه

[1] الأنساب، 276/1

[2] آثار أبي العلاء المعري، ص 399 ومرآة الزمان، 696/8

السمعاني إنه كان فتى عاقلًا صاحب العلماء لحفظ الكثير من الروايات، لقيته أولًا ببغداد ثم لقيته في نيسابور ومرو وهرات وبلخ وسمعت أبياته. وكذا كتب عنه: "سافر الكثير ودخل ديار مصر والعراق ودخل خراسان ووصل إلى أقصى بلاد الهند".

توفي في هرات في 21/ جمادى الثانية سنة 547هـ.[1]

علماء الإسلام الذين وردوا الهند بعد العهد العباسي لو فصّلنا عنهم وذكرنا أسماءهم وأخبارهم لاحتجنا إلى كتاب ضخم فاكتفينا بذكر تراجم البعض منهم.

[1] الأنساب، 111/1

الموالي والمماليك الهنود

جعل موالي السند والهند ومماليكهما يبرزون في كل شعبة من شعب الحياة الإسلامية منذ بداية العهد العباسي وأثبتوا مواهبهم وجداراتهم فنالوا حسن الصيت والشهرة.

وكان لهم عدد كبير في بغداد والبصرة والكوفة وكانت لهم جولة وصولة في كل أمر كعادة المواطنين، وقد كان فيهم حفّاظ الحديث وأئمة الدين والعبّاد والزهّاد والشعراء والأدباء والخطباء والفصحاء والأمراء والحكّام وأرباب المناصب والجاه وأهل الصنعة والحرفة وأصحاب المال والثروة وقد كانت النسوة يشاطرن الرجال في هذه المزايا والوظائف.

وقد ورثت أسر عديدة هذه المزايا أبًا عن جد ففي علوم الدين آل البيلماني وآل أبي معشر السندي وآل المقسم القيقاني، وفي الجاه والمنصب أسرة السندي بن شاهك، ولقد أدّت هذه الأسر الموالي خدمات جليلة في قطاعاتهم.

كانت بغداد أكبر مدينة للعالم الشرقي بل كانت عالمًا في ذاتها لها جذبها وسحرها لعمارتها بمختلف العلوم والفنون، والحضارة والثقافة، والأفكار والأخيلة، والمعيشة والاقتصاد. وقد كان العجم يترقون في كل شعبة ومجال، وشاركهم موالي الهند ومماليكها في كل أمر بكل نشاط ورغبة فتميّزوا في كل منها، ونودّ بهذا الشأن أن نحلّل عبيد الهند ومواليها تحليلًا عاجلًا ونذكر بإيجاز أعمالهم الدينية والعلمية والدنيوية. وسترون فيهم من يتعلق بالعهد اللاحق ولكن سيبقى هذا البحث غير كامل لو لم نذكرهم.

العلماء والفقهاء وأئمة الحديث: لما بدأت سلسلة تأليف وتدوين وتعليم العلوم والفنون في العهد العباسي بادر الموالي والمماليك إليها وكان فيهم عدد ملموس

لموالي السند والهند ومماليكهما. وقد تركوا تقليدًا نيّرًا، وتاريخًا زاهرًا لخدماتهم لعلوم الإسلام وفنونه، والواقع أن لموالي الهند مساهمة جليلة في تاريخها الديني والعلمي وسيبقى هذا البحث غير تام إذا صرفنا النظر عنهم ولاسيما في مجال الحديث فقد خدموه من حيث نستهلّ بذكرهم.

فريحانة الفقهاء وسيد المحدثين والإمام والحافظ أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن المقسم القيقاني البصري البغدادي الأسدي يعرف بكنيته "ابن علية" لوالدته علية بنت حسان. كان جده المقسم من أهل قيقان (گيگان، قلات) وحمل أسيرًا إلى الكوفة، ويقال له بنو أسد ومولى عبد الرحمن بن قطية الأسدي وقد كتبه البعض إسماعيل بن إبراهيم بن شهم بن المقسم، كان والد الحافظ ابن علية إبراهيم بن المقسم ويتردّد إلى البصرة لأجل تجارة القماش بالكوفة فتزوّج بها من فتاة نبيلة عاقلة عالمة تسمّى علية بنت حسان. هي أيضًا كانت أمة فولدت إسماعيل في 110هـ فحمل ولده إلى المحدثين بالبصرة لتعلمه. ويكثر من شيوخه أئمة الحديث في البصرة، وفيهم عبد العزيز بن صهيب، ومع أنّ أبويه عبدان ولكن قاضي الإسلام إياس بن معاوية كان يعتبر شهادته كافية لعلمه وتقواه. روى الإمام ابن علية عديدًا من الأحاديث عنه بواسطة عبد الله بن عون. وقد ذكر المؤرخون وأصحاب التراجم ما يلي من شيوخه:

أبو التياح يزيد بن حميد الضبعي البصري وعبد الله بن عون بن أرطبان أيوب بن أبي تميمة السختياني وسليمان بن طرخان التيمي وأبو بكر داود بن أبي هند دينار مولى آل الأعلم وحميد بن أبي حميد أرطويل وعبد الله بن أبي نجيح وسهل بن أبي صالح والليث بن أبي سليم وسعيد بن إياس الجريري وعلي بن زيد بن جدعان ومحمد بن منكدر وعطاء بن أبي سائب ويونس بن عبيد وعاصم بن سليمان الأحول وأبو ريحانة عبد الله بن مطر وأبو عروة معمر بن راشد مولى أزد صاحب عبد الرزاق وعوف بن أبي جميلة الأعرابي وروح بن القاسم ويحيي بن سعيد التيمي وأبو عبده عبد الوارث بن سعيد مولى بني عنبر وشعبة وابن

جريج وقد روى عنه خلق كثير. وعدد كبير من شيوخه موالٍ كانوا عبيدًا.

روى عن الإمام ابن علية أجلة أئمة الحديث بمن فيهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي، ولقد تعلّم عليه الإمام شعبة والإمام ابن جريج من شيوخه وحماد بن زيد والبقية من معاصريه. وكان من تلامذته إبراهيم بن طهمان أكبر منه سنًا، وعلاوة على أولئك من يلي من تلامذتهم:

وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وعلي بن المديني وزهير بن حرب وداود بن رشيد وأحمد بن منيع وبندار بن بشار ومحمد بن المثنى ويعقوب الدورتي وحسن بن عرفة وإسحاق بن راهويه وابن وهب القلاس وأبو معمر الهذلي وأبو خيثمة وعلي بن حجر وابن نمير وابن أبي شيبة. تلميذه الأخير أبو عمران موسى بن سهيل بن كثير الوشاد. وكان من حواشيه خلق كثير. توفي في 13/ ذي قعدة 193هـ ببغداد ولكن يذكر ابن قنفذ القنطيني 192هـ. كانت أسرته بيتًا للعلم وقد برز منها فقهاء ومحدثون لقرون فأخوه الصغير ربعي بن إبراهيم المقسم البصري وولده أبو إسحاق إبراهيم وحمّاد.[1]

وإسماعيل بن عيسى بن فرج السندي كان مولى علي بن يقطين، ولده علي بن إسماعيل السندي.[2]

وأبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن علية الأسدي مولى بني أسد يعرف كوالده بابن علية. له مؤلفات. جاء بغداد من البصرة مع والده ومن ثم إلى مصر. صلّى جنازة والده بحضور الإمام وكيع بن الجراح. لم نقف على شيوخه. روى عنه بحر بن نصر الخولاني ويس بن أبي زرارة. ولد بالبصرة في 152هـ وتوفي ببغداد أو مصر في 218هـ. ذكر الخطيب البغدادي أنه كان يقول بخلق القرآن

---

[1] طبقات ابن سعد، 325/7 وتاريخ بغداد، 230/6 وتهذيب التهذيب، 275/1 وميزان الاعتدال، 100/1 وتذكرة الحفاظ، 256/1 وخلاصة تهذيب الكمال، ص 27 وكتاب الوفيات، ص 151

[2] معجم المصنفين، 33/6

بينما عدّه الذهبي جهميًا[1] ولكن يمكن أن نخالفهما في تينك التهمتين.

وإبراهيم بن السندي بن شاهك البغدادي مولى أبي جعفر المنصور اسم أبيه السندي بن شاهك محمد. وشاهك أمه. كانت أسرته كلها مزدهرة، وكان أفرادها يحتلون مناصب حكومية كبرى. وكان ولداه إبراهيم ونصر عالمين كبيرين. قال الجاحظ:

"وأما إبراهيم فإنه كان رجلًا لا نظير له: كان خطيبًا، وكان ناسبًا، وكان فقيهًا وكان نحويًا عروضيًا، وحافظًا للحديث، راوية للشعر، شاعرًا ... وكان منجمًا طبيبًا".[2]

وقد تفوّق إبراهيم بن السندي بن شاهك على معاصريه في هذه الصفات لاسيما الخطابة فكان فاقد النظير في هذا المجال.

كان أبو محمد بختيار بن عبد الله الهندي المروزي عبدًا لأبي بكر السمعاني والد العلامة السمعاني صاحب كتاب "الأنساب" فحرّره وجاء به إلى العراق والحجاز لنيل العلوم "وسمّعه الحديث الكثير".

كان بختيار الهندي عالمًا صالحًا روى الحديث عن أبي محمد جعفر بن أحمد بن حسن السراج وأبي الفضل محمد بن عبد السلام بن أحمد الأنصاري وأبي الحسين مبارك بن عبد الجبار الطيوري ببغداد وأبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن حسن الدواني بهمدان وأبي الفتح محمد بن أحمد الحدّاد بأصفهان، وعلاوة على هؤلاء فقد تعلّم على شيوخ ومحدثي عصره. سمع العلامة السمعاني عن مولاه الموروث فتتلمذ له كما قال: "سمعت منه شيئًا يسيرًا".

توفي بمرو إحدى مدن خراسان في شهر صفر سنة 541هـ.[3]

---

[1] تاريخ بغداد، 30/6 وميزان الاعتدال، 11/1 وكتاب الفهرست، ص 318

[2] البيان والتبيين، 335/1

[3] أنساب السمعاني، 178

وأبو الحسن بختيار بن عبد الله الهندي البو شنجي كان صوفيًا زاهدًا، وعالمًا ومحدثًا صالحًا. كان عبدًا للقاضي محمد بن إسماعيل اليعقوبي فحرّره ثم سافر بختيار لنيل العلم مع سيده فروى عن شريف أبي نصر محمد وأبي الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي وأبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي ببغداد وأبي علي علي بن أحمد بن علي التستري والحافظ أبي القاسم عبد الملك بن علي بن خلف بن شعبة وأبي يعلى أحمد بن محمد بن حسن العبدي بالبصرة وكذا سمع عن جماعة من المحدثين في أصفهان وخوزستان وبلاد الجبال. روى عنه الإمام السمعاني بهرات. توفي في 542هـ أو 543هـ.[1]

بلغت أسرة الحارث البيلماني من بيلمان أشهر مدن سرست (غوجرات، الهند) إلى العرب وأصبح مولى آل عمر ثم تحرّر. كانت هذه الأسرة الهندية دارًا للعلم لمدة طويلة فأول عالم ومحدث من هذه الأسرة هو عبد الرحمن بن أبي زيد البيلماني الذي هو مولى عمر رضي الله عنه من الغناقة وأشهر علماء ومحدثي العهد الأموي ومن العلماء التابعين. هو وولده (محمد بن الحارث البيلماني) رويا عن عمر رضي الله عنه.

وأبو بكر حسين بن محمد بن أبي معشر النجيح بن عبد الرحمن المعشري السندي البغدادي حفيد الإمام الشهير وحافظ الحديث أبي معشر السندي المدني صاحب المغازي والذي كان عبدًا لأم سلمة المخزومية فاشترى ولاءه منها أمّ موسى بنت منصور. كان يقيم بحي الشارع بباب خراسان. روى الحديث عن والده محمد بن أبي معشر ومحمد بن ربيعة والوكيع بن جراح واشتهر بلقب "صاحب الوكيع". روى عنه محمد بن أحمد الحكيمي وإسماعيل بن محمد الصفار وعلي بن إسحاق الماوراني وأبو عمرو بن سماك وعثمان بن أحمد الدقاق. توفي في 9 رجب سنة 275هـ.[2]

---

[1] المصدر نفسه

[2] تاريخ بغداد، 91/8 ولسان الميزان، 633/6

وحماد بن إسماعيل بن علية الأسدي البغدادي ولد لحافظ الحديث الشهير ابن علية مولى بني أسد. روى الحديث عن أبيه إسماعيل بن علية ووهب بن جرير بن حازم وقد روى عنه الإمام مسلم والنسائي وعثمان بن خرناد ومحمد بن إسحاق الصنعاني ويعقوب بن سفيان ومحمد بن إسحاق السراج وغيرهم. وثّقه الإمام النسائي وذكره ابن حبان في الثقات. توفي في 244هـ.[1]

والإمام الحافظ أبو محمد خلف بن سالم المخرمي السندي البغدادي مولى آل المهلب من أعيان حفاظ الحديث في بغداد المخرمي. روى ببغداد عن أبي بكر بن عياش وهشيم بن بشير ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن المهدي وإسماعيل بن علية وأسعد بن إبراهيم بن سعد وأخيه يعقوب بن إبراهيم بن سعد ومعن بن عيسى وأبي نعيم فضل بن ركين ومحمد بن جعفر غندر ويزيد بن هارون ووهب بن جرير وعبد الرزاق بن همام الصنعاني. وروى عنه إسماعيل بن أبي الحارث وحاتم بن الليث ويعقوب بن شيبة وأحمد بن أبي خيثمة وجعفر الطيالسي وعباس الدوري ويعقوب بن يوسف المطوعي وحسن بن علي المعمري وأحمد بن حسن ابن عبد الجبار والصوفي وأبو القاسم البغوي وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني النسائي وغيرهم من العلماء والمحدثين. توفي في شهر رمضان سنة 281هـ بالغًا من العمر سبعين سنة.[2]

وأبو سليمان داود بن محمد بن أبي معشر النجيح بن عبد الرحمن السندي البغدادي كان أخا مولى بني مخزوم حسين بن محمد بن أبي معشر صاحب الوكيع وحفيداً للحافظ أبي معشر السندي المدني. روى كتاب جده أبي معشر النجيح "كتاب المغازي" عن والده محمد بن أبي معشر فرواه عنه القاضي أحمد بن كامل.[3]

وربعي بن إبراهيم الأسدي البغدادي كان أخا لمولى بني أسد إسماعيل بن علية

---

[1] تهذيب التهذيب، 4/3

[2] تاريخ بغداد، 328/8 وتذكرة الحفاظ، 59/3

[3] تاريخ بغداد، 376/8

ويعرف بابن علية. روى عن عبد الرحمن بن إسحاق ويونس وروى عنه أبو خيثمة وحماد بن زاذان. وقد نقل يحي بن معين قول الإمام عبد الرحمن بن المهدي: أننا نعدّ ربعي بن علية أخي إسماعيل بن علية من شيوخنا الأقدمين، وقد اعتبره ابن معين ثقة ومأمونًا. ولد من بطن علية بنت حسان بعد مولد أخيه إسماعيل.

كان والد القاضي سالم بن عبد الله الهندي العدني عبدًا وكان يحمل الأمتعة في عدن. ذكر الرحالة الشهير ابن بطوطة أن أبا سالم كان من العبيد الحمّالين ولكن ولده اختار طريق العلم وترأس جلسة الدين والعلم. إنه من أجود قضاة وعلماء عدن، لقد قضيت أيامًا ضيفًا عليه.[1] إنه كان ما بعد العهد العباسي.

وأبو نصر السندي بن إبان البغدادي كان مولى خلف بن هشام. عرّف به الخطيب البغدادي بغلام خلف بن هشام بدلًا من مولى خلف بن هشام، الأمر الذي يبدو منه أنه كان يقضي حياة العبودية حتى تلك المدة. إنه روى عن يحي بن عبد الحميد الحماني وروى عنه عبد الصمد بن علي الطستي. توفي ببغداد في 281هـ. يقول الراوي إنه لم يكن يستخدم الخضاب.

ومن بين أبناء الهند هؤلاء بنت هندية مسلمة وهي شيرين بنت عبد الله الهندية مولاة الإمام ابن البنديجي والتي امتازت عن العلماء والمحدثين لفضلها في العلم والحديث. كانت أمة لمحدث كبير وكانت تحب العلم والفضل. إضافة إلى ذلك حاولت نيل الحديث وسمعت عن عبد المنعم بن كليب. وأكثر السماع عنها الأبرقوهي وأبو الفتح المر بن حاجب الأميني وغيرهما من الطلبة. وهي مشهورة بـ"شيخة الأبرقوهي" لأنه كان من أخص وأجل تلامذتها. توفيت في 640هـ[2] وهي أيضًا كانت بعد العهد العباسي.

والضحاك بن عبد الله الهندي الهروي المطراز هو مولى أبي منصور. استقر

[1] رحلة ابن بطوطة، 159/1

[2] حاشية الكمال، 412/4

بهرات. سافر منها إلى دمشق وصور فروى بهما الحديث وروى عنه ابن الكتّاني. ذكره ابن عساكر في تاريخه ونقل حديثًا بسنده.[1]

وعبد الرحمن بن أبي زيد البيلماني مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخماس آل عمر بن الخطاب. بلغت أسرته نجران من بيلمان (سرست). روى عبد الرحمن عن الصحابة أمثال ابن عباس وابن عمر ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن اوس وعمرو بن عنبسة وعبد الله بن عمرو بن العاص وسرق وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعن التابعين أمثال نافع بن جبير وعبد الرزاق الأعرج. وروى عنه ولده محمد بن عبد الرحمن ويزيد بن طلق وربيعة بن عبد الرحمن الراي وخالد بن أبي عمران والسماك بن فضل والهمام أبو عبد الرزاق الصنعاني وجماعة كبيرة غير هؤلاء.

توجد مروياته في كتب الحديث وكذا قرض الشعر وبرز من أولاده محدّثون كثيرون. توفي في العهد الأموي.[2]

وعلي بن إسماعيل بن عيسى بن فرج السندي مولى علي بن يقطين كان من أهل السند وعرف بنسبته إلى السند.[3]

وأبو نصر فتح بن عبد الله السندي مولى حسن بن حكم حصل على العلوم بعد الحرية. كان محدثًا كبيرًا ومتميزًا عن كبار أئمة الفقه الشافعي برواياته عن الإمام الشافعي. وكان متكلمًا كذلك. روى الأحاديث عن أبي العباس حسن بن سفيان النسوي وغيره. وتعلم الكلام والفقه على أبي علي محمد بن عبدالوهاب الثقفي.[4]

ومحمد بن إبراهيم البيلماني مولى آل الخطاب كان ممن تبع التابعين. وروى عن

---

[1] طبقات ابن سعد، 536/5 وتهذيب التهذيب، 149/6 وكتاب الجرح والتعديل، 263/1/2

[2] مختصر تاريخ ابن عساكر، 3/7

[3] معجم المصنفين، 32/3

[4] طبقات الشافعية، ص 58

محمد بن الحارث بن زياد الحارثي. ضعّفه أئمة الحديث والرجال.

وأبو عبد الله محمد بن زياد السندي البغدادي مولى بني هاشم يكنى بابن الأعرابي. كان أبوه زياد من أهل السند. روى ابن الأعرابي عن أبي معاوية الضرير والكسائي وغيرهما، وروى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي وأبي العباس ثعلب وابن السكيت وأبو عكرمة الضبي وأبو شعيب الحراني وأبو العباس أحمد بن يحيى وغيرهم.

وابن الأعرابي يعرف كإمام اللغة والأدب ولكنه قضى حياته على طراز الفقهاء والمحدثين. ذكره الخطيب ثقة، ونقل قول أبي جعفر أحمد بن يعقوب الأصفاني:

"فأما أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي فكانت طرائقه طرائق الفقهاء والعلماء ومذاهب قبله شيوخ المحدثين".

له مؤلفات تزهو على العشرة بما فيها كتاب النوادر وكتاب الخيل وكتاب تفسير الأمثال وكتاب معاني الشعر وكتاب أسماء البئر وصفاتها وكتاب الأنواء وغيرها. كان محدثًا فقيهًا مقريًا وماهرًا للأنساب. توفي بسرّ من رأى في 231هـ.[1]

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي زيد البيلماني الكوفي ذكره ابن حجر بمولى آل عمر مع نسبته إلى الكوفة كما كتبه نحويًا، إنه أقام بالكوفة وكان عالمًا للنحو. سمع الأحاديث عن والده عبد الرحمن بن أبي زيد البيلماني ولكن المحدثين جرحوه وعدّوا روايات عبد الرحمن البيلماني عنه غير مقبولة. وكذا روى عن خال والده بدون السماع. وروى عنه سعيد بن بشير البخاري وعبيد الله بن عباس بن ربيع الحارثي ومحمد بن الحارث بن زياد الحارثي ومحمد بن كثير العبدي وأبو سلمة موسى بن إسماعيل وغيرهم. توفي في الفترة ما بين 140هـ و150هـ.[2]

---

[1] تاريخ بغداد، 282/5 ومعجم الأدباء، 189/18 وكتاب الفهرست، ص 102 ووفيات الأعيان، 65/2 وضحى الإسلام، 236/1 و308/2

[2] تهذيب التهذيب، 150/6 و393/9 والتاريخ الصغير للبخاري، ص 176 وكتاب الضعفاء للنسائي، ص 27 ومعجم البلدان، 286/2

وأبو عبد الملك محمد بن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني البغدادي مولى بني هاشم دعاه الخليفة المهدي من المدينة المنورة إلى بغداد، فاستقربها، وتشرّف برؤية ابن أبي ذئب والرواية عنه، وسمع كتاب المغازي عن أبيه. وكذا حدّث عن أبي بكر الهذلي والنضر بن منصور الغبري وأبي نوح الأنصاري وغيرهم وروى عنه ولده داود والحسين وأبو حاتم الرازي ومحمد بن الليث الجوهري وأبو يعلى الموصلي والإمام الترمذي ويحي بن موسى البلخي وابن أبي الدنيا ومحمد ابن جرير الطبري وأبو بكر بن المجذر وأبو حامد الحضرمي وغيرهم من العلماء والمحدثين. توفي في 247هـ بالغًا من العمر 99 سنة.[1]

وأبو الحسن المخلص بن عبد الله المهذبي الهندي البغدادي كان عتيق الأمير مهذب الدولة أبي جعفر الوامغاني. يعدّ من علماء بغداد. سمع الأحاديث عن أبي الغنائم محمد بن علي النرسي وأبي القاسم البزّاز وأبي الفضل الحنبلي وغيرهم. واستكتبه العلامة السمعاني بعض الأحاديث ببغداد كما صرّح عنه السمعاني ذاته.[2]

وكان حافظ الحديث الإمام أبو معشر النجيح بن عبد الرحمن السندي المدني صاحب المغازي مكاتبًا لامرأة من بني مخزوم فدفعت أم موسى بنت منصور الحميرية المال إليها واشترت ولاء عتاقه. زار الإمام أبو معشر المدني أبا أمامة سهل بن حنيف رضي الله عنه وروى الحديث عن نافع مولى ابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد المقبري ومحمد بن منكدر وهشام بن عروة وموسى بن بشار ومحمد بن قيس فروى عنه ولده محمد بن أبي معشر ويزيد بن هارون ومحمد بن عمر الواقدي وإسحاق بن عيسى بن طباع ومحمد بن بكار بن ريان وعبد الرزاق الصنعاني وأبو نعيم ومنصور بن أبي مزاحم وغيرهم كثير. كان من طبقة التابعين، وكان كثير الحديث، وعالمًا دقيق النظر في المغازي. له كتاب شهير باسم "كتاب المغازي". دعاه الخليفة المنصور

[1] تاريخ بغداد، 326/3 وتهذيب التهذيب، 487/9
[2] كتاب الأنساب، ص 210

بصرف ألف دينار من المدينة المنورة إلى بغداد. توفي في بغداد في 170هـ. برز العلماء والمحدّثون في أسرته لقرون.[1]

وكانت لوالد نصر بن محمد بن شاهك السندي أهمية كبرى بين العبيد الأمراء للخليفة المنصور العباسي، وكان صاحب الأخبار والأحاديث كما قال الجاحظ، وكان علمه محدودًا في أحاديث وروايات ابن الكلبي والهيثم.[2]

وذكر الدولابي أبا معشر يحيى السندي في كتاب الكنى والأسماء بأبي معشر يحيى السندي مولى ابن هاشم. هذا غير أبي معشر نجيح السندي.[3]

ومن بين علمائها المماليك كان غلام للقاضي أحمد بن محمد بن صالح التميمي المنصوري لم نجد اسمه. ذكره أبو إسحاق الشيرازي في تلامذة أبي الحسين عبد الله بن أحمد بن مفلس المتوفى سنة 324هـ في طبقات الفقهاء. كان ابن مفلس من أجلّ تلامذة أبي بكر بن داود الظاهري وكان إمامًا للمذهب الظاهري.[4] وكان تلميذه أحمد بن محمد بن صالح المنصوري عبدًا تعلّم عليه ولعل هذا الرجل الصالح كان يختلف من وإلى الهند وبغداد كما يبدو من المقتبس التالي: "وغلام أعتقه محمد بن صالح المنصوري، أخذ عنه ببغداد ثم عاد إلى المنصور".

في مكانين في هذا المقتبس زلة فالأصح أحمد بن محمد بن صالح مكان محمد بن صالح والمنصورة مكان المنصور. ونفس الزلة وقعت في ترجمة أحمد بن محمد بن صالح في طبقات الفقهاء. "أبو العباس أحمد بن منصور صاحب كتاب النير أخذ العلم عن مملوكه الذي أعتقه، أخرج إلى بغداد وتعلّم، ثم عاد إلى المنصور". فالأصح فيه أحمد بن محمد بن صالح المنصوري والمنصورة.

لم نجد شيئًا عن غلام أحمد بن محمد المنصوري الذي كان محدثًا وعالمًا ولم نجد اسم

---

[1] تاريخ بغداد، 427/13 وتذكرة الحفاظ، 216/1 والفهرست، ص 136

[2] البيان والتبيين، 666/1

[3] كتاب الكنى والأسماء، ص 175

[4] طبقات الفقهاء، ص 150

بلده سوى أنه كان رقيق أحمد بن محمد المنصوري ثم تحرّر. وقد أبهم أبو إسحاق الشيرازي في مكان عن تعلم أحمد بن محمد المنصوري عليه "أخذ العلم عن مملوكه الذي أعتقه" وفي مكان ذكر بغداد "أخذ عنه ببغداد" ولعله سافر إلى بغداد بعدما نال الحرية فجعل يتعلم ولما وصل سيده أحمد بن محمد المنصوري إلى بغداد تلمذ لعتيقه كما تلمذ للعديد من الشيوخ والمحدثين. كان هذا المحدث رقيقًا بالمنصورة.

الكمال في مختلف العلوم والفنون: كان من بين هؤلاء الموالي والمماليك الهنود جهابذة كل علم وعباقرة كل فن، واعترف كبار العلماء والأئمة بكمالهم في العلم والفن وجامعيتهم فيها. فقد تلمذ السادات لأرقائهم، واستفاد الشيوخ من تلامذتهم الموالي، وتعلّم الأقران والمعاصرون على إخوانهم المماليك.

إمامة الحديث: وقد شمل هؤلاء الموالي والمماليك كل من المحدّثين والفقهاء والمفسّرين والمجوّدين والمتكلمين والأدباء والشعراء والعبّاد والزهّاد، ولعل علم الحديث شيء يشترك في كل هذه العلوم والفنون، وعلى الأقل احتل ثلاثة منهم درجة حفظ الحديث وبلغوا إمامة الحديث.

ذكر الإمام الذهبي أبا معشر نجيح بن عبد الرحمن وإسماعيل بن علية وخلف بن سالم في كتابه تذكرة الحفاظ.

وكفى عظمة الإمام الحافظ إسماعيل بن علية أنّ أئمة الحديث أمثال الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والإمام عبد الرحمن بن المهدي والإمام يحيى بن معين والإمام علي بن المديني والإمام إسحاق بن راهويه والإمام شعبة تلمذوا له. ذكره شعبة بلقب "ريحانة الفقهاء" و"سيد المحدثين".[1]

وقال ابن سعد "كان ثقة ثبتًا في الحديث حجة".[2] وقال يحيى بن معين "ابن علية كان ثقة مأمونًا صدوقًا مسلّمًا ورعًا".

---

[1] تهذيب التهذيب، 375/1

[2] طبقات ابن سعد، 225/7

يقول الهيثم بن عدي إنه ذات مرة اجتمع حفاظ البصرة فقال له الكوفيون: هاتوا من شئتم بدون إسماعيل بن علية" يقول قتيبة بن سعد: إنّ العلماء قالوا: حفاظ الحديث في زماننا أربعة: إسماعيل بن علية وعبد الوارث ويزيد بن رزيع ووهيب". قال علي بن المديني في حفظه إنّ عبد الرحمن بن المهدي لم يجد كتابًا لدى ابن علية أبدًا، ويقول زياد بن أيوب إني لم أجد كتابًا لدى ابن علية أبدًا بل كان يدرّس الحديث شفويًا. نقل عبد الله بن سليمان قول أبيه: ارتكب كل محدث خطأ سوى ابن علية وبشر بن مفضّل".[1]

وعلى الرغم من تضعيف الإمام أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن صاحب المغازي عدّه ابن سعد كثير الحديث.[2] واعتبره الإمام أحمد بن حنبل صاحب البصيرة في علم المغازي كما اعتبره صدوقًا وقال الذهبي: "وكان من أوعية العلم على نقص في حفظه".

وكذا اعتبره حافظ الحديث وفقيهًا.[3]

وكتب ابن النديم أنه أحد المحدثين بجانب كونه عالمًا للأحداث والسير.[4]

أي كان أبو معشر حافظًا للحديث وفقيهًا وإمامًا للسير والمغازي.

وبجانب "الحافظ" و"المجود" كتب الذهبي عن خلف بن سالم: "من أعيان أهل بغداد".[5]

وعدّه يعقوب بن شيبة ثقة وثبتًا ومسدّدًا وأثبت من الحميدي.[6] وذات مرة سئل الإمام أحمد بن حنبل عن خلف بن سالم فقال: لا يشك في صدقه، وقد ذكره يحيى بن معين "صدوقًا" وقال إنه لا نقص في خلف بن سالم

[1] تاريخ بغداد، 233/6

[2] طبقات ابن سعد، 309/5

[3] تذكرة الحفاظ، 216/1

[4] كتاب الفهرست، ص 136

[5] تذكرة الحفاظ، 59/3

[6] تاريخ بغداد، 328/8

المسكين، إنه رجل بسيط. وقال أبو الحليم: ليس أحد بسالم في أمر أخي خلف بن سالم، إنه كان يروي غرائب الأحاديث كذلك مما أنكره المحدثون. ذات مرة سأل عالم مروزي الإمام أحمد عنه فقال: إني لا أكذّبه" إلا أنّ الناس قد غضبوا عليه لأحاديثه الغريبة.[1]

وكفى لثقة حماد بن إسماعيل بن علية أنّ الإمام مسلم والإمام النسائي قد تلمذا له. ذكره النسائي "بغدادي وثقة"، وعدّه ابن حبان من الثقات.

وقد جرح المحدّثون بعض العلماء وتفصيل هذا موجود في كتب الرجال والتراجم.

السير والمغازي: ويعدّ من الحديث أخبار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزواته ثم عمّ تدوين الكتب المستقلة بالسير والمغازي واعتبر هذا فنًا مستقلًا. ومن بين المحدثين يحتل الإمام أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني درجة ممتازة ويقال له صاحب المغازي لكتابه في الموضوع "كتاب المغازي". قال عنه الخطيب البغدادي: "وكان من أعلم بالمغازي".[2]

وقال ابن النديم: "عارف بالأحداث والسير".[3]

وقال الإمام أحمد بن حنبل: "كان بصيرًا بالمغازي صدوقًا".[4]

وسئل ولده محمد بن أبي معشر كيف حفظ أبوك المغازي؟ فقال إن التابعين كانوا يذاكرون المغازي لدى شيخه فكان يحفظها[5] وكتابه "كتاب المغازي" شهير في هذا الفن.

وكذا كان نصر السندي بن شاهك صاحب الأخبار والأحاديث. قال الجاحظ:

---

[1] تهذيب التهذيب، 4/3

[2] تاريخ بغداد، 427/3

[3] كتاب الفهرست، ص 136

[4] تذكرة الحفاظ، 316/1

[5] تاريخ بغداد، 427/13

"فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم".[1]

وهشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي (ت204هـ) عالم شهير بعلم الأنساب والأخبار وأيام الناس والتفسير. ذكر ابن النديم مؤلفاته التاريخية في ثلاث صفحات ونصف، وكذا كان هيثم بن عدي (ت207هـ) عالماً بالأنساب والأخبار والمآثر والمناقب والمثالب والشعر. ذكر ابن النديم مؤلفاته في صفحة في كتابه الفهرست.[2] وكان نصر السندي يروي عن هذين العالمين.

أصول الحديث: وكان علماء الهند ومحدثوها من الموالي ماهرين بفن أصول الحديث وكانت آراؤهم وأقوالهم موثوقًا بها لدى المحدّثين، فقد وثّق وضعّف الإمام إسماعيل بن علية رجال ورواة الحديث فنقلها علماء الرجال في كتبهم واحتجّوا بها.

وكانت نظرية خاصة عن قطع أخبار الآحاد وحجيتها لإبراهيم بن إسماعيل بن علية فذات مرة كان يحضر مجلسَ الإمام الشافعي الإمامُ أحمد بن حنبل والحسين والقلاس وغيرهم من المحدثين، وكان إبراهيم بن إسماعيل بن علية يتحدث مع الإمام الشافعي عن الخبر الواحد فقال له الإمام: ألا تقول بأنّ الإجماع حجة؟ فردّ عليه إبراهيم بالإيجاب فقال له الإمام: هل تردّ خبر العادل بالإجماع أم بدون الإجماع فسكت إبراهيم وغمر السرور المجلس.

يقول الكاتب الليث بن صالح بن أبي صالح: كنّا مع الإمام الشافعي ذات يوم وكان الإمام يثبت الخبر الواحد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكتبنا حديثه وجئنا به إلى إبراهيم بن إسماعيل بن علية الذي كان يسكن باب الضوال بمصر فلما قرأنا عليه هذا الحديث جعل يردّه فكتبنا ردّه هذا وجئنا به إلى الإمام الشافعي فردّ على كافة دلائل إبراهيم وردّ قوله فكتبنا ردّه هذا وجئنا به إلى ابن علية فقدّم الدلائل ضده فكتبناها وجئنا بها إلى الإمام الشافعي فقال

[1] البيان والتبيين، 666/1

[2] كتاب الفهرست، ص 139 و143

الإمام هذه المرة: "إن ابن علية ضالّ، قد جلس عندنا بالضوال يضلّ الناس".[1]

وليعلم أنّ إبراهيم كان ابن شيخ الإمام الشافعي وكان يكرمه الإمام فاختلافه هذا بصدد حديث الرسول كان مبنيًا على إخلاص النية أي كان الإمام الشافعي يرى الخبر الواحد حجة بينما لم يره إبراهيم حجة.

نقل الإمام أبو عبد الله الحاكم قول حلف بن سالم السندي برواية جعفر بن أبي عثمان الطيالسي في "معرفة علوم الحديث" أني سمعت العديد من شيوخي كثرة التدليس والمدلّسين ولما جعلت أبحث عن أخبار المدلّسين فاشتبه تدليس الحسن البصري وإبراهيم النخعي لأنه يكثر إدخال الرواة المجهولين بينه وبين الصحابة فيدلّس بالرواة أمثال عتي بن ضمرة وحنيف بن منتخب ودغفل بن حنظلة وأشباههم وهكذا يدلّس إبراهيم النخعي بينه وبين عبد الله بن مسعود من مجاهيل مثل هني بن نويرة وسهم بن منجاب وخزامة الطائي. وكذا بيّن خلف بن سالم السندي ذكر تدليس أبي إسحاق السبيعي وأشار إلى العديد من غرائبه. وكذا دلّ على تدليس الحكم والمغيرة وابن إسحاق والهيثم.[2]

الفقه والفقهاء: ومن هؤلاء العلماء مَنْ كان إمامًا في علم الفقه وقد خُصِّصَ ذكر منزلتهم الفقهية فقد ذكر الإمام شعبة الإمام إسماعيل بن علية بلقب جميل "ريحانة الفقهاء".[3] وكان أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن فقيهًا بجانب كونه حافظ الحديث وصاحب المغازي[4] وكان إبراهيم بن إسماعيل بن علية محدثًا ومتكلمًا وفقيهًا، وكانت له مؤلفات في الفقه. قال الخطيب البغدادي: "وله مصنفات في الفقه تشبه الجدل".[5]

---

[1] تاريخ بغداد، 21/6

[2] معرفة علوم الحديث، ص 108

[3] تهذيب التهذيب، 275/1

[4] تذكرة الحفاظ، 216/1

[5] تاريخ بغداد، 23/6

وكان فتح بن عبد الله السندي متكلمًا وفقيهًا وتعلّم الفقه والكلام على أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي. وقد ذكره أبو عاصم العبادي في طبقات الفقهاء الشافعية في الطبقة الثانية لأصحاب الشافعي الذين كانوا منفردين في الروايات الفقهية. وكذا ذكره ابن القيسراني في الأنساب المتفقة. إنه كان من كبار وأعيان الفقهاء الشوافع.[1]

علم الكلام والمتكلمون: ولقد ساهم علماء الهند الموالي في علم الكلام والجدل فقد اشتهر فيه إبراهيم بن إسماعيل بن علية فقال فيه الخطيب البغدادي:

"كان أحد المتكلمين، وممن يقول بخلق القرآن وجدت له مع أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي مناظرات ببغداد وبمصر".[2]

وقد بالغ الإمام الذهبي في حكمه حيث قال: "جهمي هالك، كان يناظر ويقول بخلق القرآن".[3]

العبّاد والزهّاد: الزهد والتقوى شعار للإسلام ودثاره فقد مضى في الإسلام عبّاد وزهّاد كبار في العلماء الموالي والمحدّثين المماليك في الهند فقد كان الإمام إسماعيل بن علية زاهدًا تقيًا إلى حد لم يضحك فاغرًا فاه، حسب رواية، لعشرين سنة ويقول راوٍ إني عشت معه لأربع عشرة سنة ولكني لم أجده ضاحكًا حتى لم أجده متبسمًا لسبع سنوات ولاسيما أنه لم يضحك بعد إمارة الصدقات في البصرة. يقول ابن المديني: "بتّ عند إسماعيل بن علية ليلة، فكان يقرأ ثلث القرآن وما رأيته يضحك قط".[4]

وبعدما ذكر العلّامة السمعاني أبا الحسن بختيار بن عبد الله الهندي "الصوفي

[1] طبقات الفقهاء الشافعية، ص 58 والأنساب المتفقة، ص 77 وكتاب الأنساب

[2] تاريخ بغداد، 283/5

[3] ميزان الاعتدال، 11/1

[4] تاريخ بغداد، 235/6 و237

الزاهد" قال: "شيخ، صالح، سديد السيرة".[1]

وكان أبو نصر فتح بن عبد الله السندي مرجع العوام والخواص للزهد والتصوف فكان يعيش الناس معه ويزكّي أنفسهم. قال عندما استقبله شريف سكران واقع في الطين لشربه الخمر فهزأ به الشريف بعد أن رآه متبوعًا من عدد كبير من الناس: أيّها الشريف، تدري لِمَ هذا لأنّي متّبع آثار جَدّك [المسلم] وأنت متّبع آثار جَدّي [الكافر].[2]

علماء اللغة والعربية: ولقد كان من بين هؤلاء الموالي والمماليك الهنود مشاهير علماء اللغة العربية وآدابها حيث احتل أبو عبد الله بن زياد ابن الأعرابي درجة الإمامة. ينتهي عليه علم اللغة وهو يعرف بصاحب اللغة. كان يحضر مجلسه الدراسي المئات من العلماء. وكان يقرض الشعر.

كتب ابن حجر عن محمد بن عبد الرحمن البيلماني "النحوي" أي أنه كان يعدّ من علماء النحو في الكوفة، وكان ابن علية حجة في لغات الحديث فقد نقل أبو عبيد القاسم بن سلّام أقواله في غريب الحديث. وكذا كان النصر بن السندي شاهك عالمًا كبيرًا للغة.

المؤلفات: منذ القرن الثاني بدأ التدوين والتأليف في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي في العلوم والفنون الإسلامية فألّف علماء الإسلام كتبًا في مختلف الموضوعات، وساهم فيه علماء الهند المماليك ففي هذه الفترة ألّف الإمام أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني (ت170هـ) "كتاب المغازي" بالمدينة المنورة ولا نعلم أيًا من ابن إسحاق وأبي معشر سبق الآخر في تأليف كتابه. ونعلم أنّ أبا معشر كان أعلم الناس بعلم المغازي وعالمًا ذا بصيرة فسمع أحداث وأخبار المغازي مباشرة من التابعين فدوّنها، وعلى هذا فقد سمّي "صاحب المغازي". رواه ولداه فروى عنهما العلماء الآخرون. قال الخطيب

---

[1] كتاب الأنساب، ص 312

[2] الأنساب المتفقة، ص 77

في ترجمة محمد بن أبي معشر: "سمع من أبيه كتاب المغازي".[1]

وقال في ترجمة داود بن محمد بن أبي معشر:

"حدّث عن أبي معشر كتاب المغازي، رواه عنه أحمد بن كامل القاضي".[2]

وكذا رواه الحسين بن أبي معشر أي رواه عن أبيه ولداه كلاهما. وأما حفيده فقد رواه عن أبيه كما روى عنه القاضي أحمد بن كامل، وهكذا فقد كان هذا الكتاب متداولًا بين العلماء والمحدثين حتى القرن الثالث فقد ذكر العلماء رواياته ومقتبساته بكثرة حيث إذا تم جمعه من قبل رجل موفق لأصبح كتابًا مستقلًا. وقد ألّف "كتاب المغازي" من معاصريه الوليد بن مسلم مولى قريش وعبد الرزاق الصنعاني مولى حمير وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ولكن لا نعرف أحدًا منها.

وأما إسماعيل بن علية فمؤلفاته في الحديث والفقه فقد ذكر ابن النديم في الفهرست أربعة كتب له وهي كتاب التفسير وكتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب المناسك.

ولقد ألّف غلام آخر كتابًا في ردّ الإمام ابن علية وهو أبو بكر جعفر بن محمد بن عبد الله البري المالكي فاختلف فيه عن الإمام في سبعين قضية. هذا كتاب لم يوفق إتمامه.[3]

وألّف ولده إبراهيم كتبًا في الفقه كما مضى قول الخطيب البغدادي: "وله مصنفات في الفقه تشبه الجدل".[4]

وأشار ابن النديم في الفهرست إلى مؤلفاته وقال "وله من الكتب".[5]

---

[1] تاريخ بغداد، 328/3

[2] المصدر نفسه، 276/8

[3] كتاب الفهرست، ص 283

[4] تاريخ بغداد، 23/1

[5] كتاب الفهرست، ص 318

وكان محمد بن زياد ابن الأعرابي يحتل درجة ممتازة في اللغة والعربية. ومن مؤلفاته كتاب النوادر وكتاب أسماء الخيل وأنسابها وكتاب البئر وصفاتها وكتاب تفسير الأمثال وكتاب معاني الشعر وكتاب الأنواء، ولا يوجد منها سوى كتاب أسماء البئر وصفاتها وكتاب أسماء الخيل وأنسابها كما قال مؤلف ضحى الإسلام.[1]

ومن كتب كشاجم الهندي كتاب أدب النديم وكتاب الرسائل وكتاب المصائد والمطارد وله ديوان شعر.

الشرف والمنصب: من أحسن وأزهر أبواب العلوم والفنون الإسلامية أنّ أهلها في بداية العهود كانت أغلبيتهم موالي ومماليك عجمًا. وقبل المسلمون قيادتهم ورئاستهم بكل شرح لصدورهم، وامتثلوا بما أمروا، وانتهوا عما نهوا، وتلمذ العلماء لهم وشرّفهم الخلفاء والأمراء بالعزة والتكريم، وأعطوهم من المناصب ما جدروا به، وعمل العامة بالدين تحت إشرافهم. نودّ أن نذكر قصة إمام هندي كان غلامًا فقد نقل ابن القيسراني في الأنساب المتفقة والسمعاني في كتاب الأنساب عن عبد الله بن حسين أنه ذات يوم نحن في جماعة كنا نمشي مع أبي نصر فتح بن عبد الله السندي مولى آل الحكم فلما رأى شريف علوي غلبه السكر هذه الجماعة تحت قيادته، ظهر لنا وقال موجّهًا الأشتام إلى أبي نصر: أيا غلام! أنت تقود هذا الجمهور وأما أنا فأقع على الأرض فردّ عليه أبو نصر: "أيها الشريف: تدري لم هذا؟ لأني متبع آثار جدك وأنت متبع آثار جدي".[2]

دعا الخليفة العباسي المهدي أبا معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني من المدينة المنورة إلى بغداد التي اتخذها موطنه، قال الذهبي:

"أشخصه المهدي إلى العراق، وأمر له ألف دينار، وقال تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا".[3]

---

[1] شذرات الذهب، 70/2 وضحى الإسلام، 232/1

[2] الأنساب المتفقة، وكتاب الأنساب

[3] تاريخ بغداد، 427/12

وكذا دعا ولده محمد بن معشر من مدينة الرسول إلى بغداد[1] ولعله جاءها مع أبيه.

كانت هذه الفترة مليئة بأهل العلم والفن، ولكن الخليفة المهدي اختار عالمًا مملوكًا هنديًا فعيّنه ليعلّم أهل البلاط وحواشيه وأعيانه.

قد تعيّن إسماعيل بن علية أمير الصدقات حين قيامه بالبصرة كما جعل أمير المظالم في بغداد نهاية خلافة هارون الرشيد فتوطنها. قال ابن سعد:

"وقد ولّي صدقات البصرة، وولّي المظالم ببغداد في آخر خلافة هارون، ونزل بغداد هو وولده، واشترى بها دارًا".[2]

قبول إمام كمثل إسماعيل بن علية ولاية البصرة وإمارتها لم يصبر عليها الآخرون من العلماء فظنوها تنقيصًا لشأنهم فتأسف عليها عبد الله بن مبارك في أبيات فاستقال ابن علية عن هذا المنصب. قال عبد الله بن مبارك:

يا جاعل الدين له بازيًا   يصطاد أموال المساكين

فكان يبكي ابن علية بعد قراءة هذه الأبيات ثم استقال عن المنصب.

كان عبد الله بن مبارك يتجر في البزّ وكان يقول: إذا لم يكن خمسة علماء فما أتجر وهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض ومحمد بن مالك وابن علية. وكان يسافر إلى خراسان حيث يتجر ثم كان يأخذ من منافعها ما يكفي لأولاده وحج بيت الله. وأما ما بقي فكان يعطيه لهؤلاء الإخوة الخمسة. ذات مرة رجع من التجارة فبلغه أنه قبل منصب الحكومة فلم يرسل من المبلغ ما كان له فلما بلغ هذا ابن علية فاعتذر فكتب ابن مبارك هذه الأشعار وأرسلها إليه فلما استقال عنه أعطاه ذلك المبلغ.[3]

لما حرّر أبو بكر السمعاني غلامه أبا محمد بختيار بن عبد الله جاء به إلى العراق

---

[1] تذكرة الحفاظ، 216/1

[2] طبقات ابن سعد، 225/7

[3] تاريخ بغداد، 236/6 وتهذيب التهذيب 157/1

وبغداد لتلقّي العلوم، وعلّمه الحديث وروى عنه ولده أبو سعد السمعاني أي أنّ السيد وعبده كانا يجلسان معًا أمام الشيخ ثم تلمذ ابن السيد لعبده. ذات مرة ذهب محمد بن أبي معشر السندي لوضع حجر أساس مسجد بالمصيصة في بغداد فاغتنم مسلمو تلك المنطقة وجوده بركة.[1]

التعليم والتدريس: وقد قضى هؤلاء الموالي والمماليك من علماء الهند عادة في تعليم العلوم الدينية وتحديث الروايات ولهذا الغرض سافروا إلى البلاد الإسلامية المختلفة وأقاموا مجالس تدريسية لهم فقد حدّث الإمام أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن بالمدينة المنورة وبغداد واستفاد منه أهل بلاط الخليفة المهدي خاصة وكذا حدّث ولده محمد بن أبي معشر وحفيداه الحسين بن محمد وداود بن محمد ببغداد وهكذا أقام إسماعيل بن علية حلقة تدريسية بالبصرة وبغداد وأما ولده إبراهيم بن إسماعيل بن علية فقد جعل بغداد ثم مصر مستقرًا له حدّث فيهما وروّج الفقه. وحدّث الضحاك بن عبد الله بهرات ودمشق. وحدّث أبو الحسن بختيار بن عبد الله الصوفي الزاهد ببوشنغ وهرات وكذا خدم أبو محمد بختيار بن عبد الله علم الحديث بمرو وهكذا ساهم خلف بن سالم والسندي بن إبان ومخلص بن عبد الله ونصر بن السندي بن شاهك وغيرهم في نشر العلوم الإسلامية ورواية الأحاديث ساكنين في جوّ بغداد الديني والعلمي.

وبالجملة فقد ساهم علماء الهند المماليك في تعليم العلوم الدينية لاسيما الحديث في العالم الإسلامي وعقدوا المجالس لسماع الحديث وروايته، أملوا الروايات وعقدوا مجالس "أخبرنا" و"حدّثنا" واستفاض من إمامتهم وأستاذيتهم كبار العلماء وجهابذة المحدثين للأمة الإسلامية واعتبروا حلقاتهم غنيمة واستفاد من الحلقات التدريسية لمماليك الإسلام الآلاف من أئمة الإسلام أمثال الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أبو

[1] تاريخ بغداد 326/3

داود والإمام النسائي والإمام شعبة والإمام أبو يحيى بن سعيد القطان والإمام عبد الرحمن بن المهدي والإمام يحيى بن معين والإمام علي بن المديني والإمام ابن أبي شيبة والإمام الطيالسي والإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني والإمام محمد بن جرير الطبري والإمام أبو يعلى الموصلي والإمام إسحاق بن راهويه والإمام أحمد بن الخطيب البغدادي والإمام أبو نعيم الأصفهاني والإمام أبو سعد السمعاني والإمام ابن أبي الدنيا والإمام أبو عوانة وبفضل تلمذهم لهؤلاء المماليك تمتعوا من إرث علم الدين وعلم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

الحرف والأعمال الشخصية: وكان العديد منهم يتخذون الحرف والأعمال الذاتية الأخرى كوسيلة للعيش ولم يكونوا يأخذون أجرة الخدمة الدينية والعلمية. وهذا من الواقع أنّ العلماء كانوا يتجرون بجانب الأنشطة الدينية والعلمية فيقول محمد بن أبي معشر ولد الإمام أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني أنّ أباه كان خيّاطًا.[1]

يقول الإمام أبو داود السجستاني عن الإمام ابن علية أنه كان بزّاز الكوفة.[2] وكذا كتب الإمام السمعاني أنّ بختيار بن عبد الله الهندي كان فصّادًا[3] وكذا ذكر ابن عساكر أنّ الضحاك بن عبد الله الهندي المروزي كان مطرّزًا.[4]

الشعر والشعراء: وبجانب هؤلاء العلماء والمحدّثين والزهّاد المماليك من الهند وجد فيهم عدد ملموس من فحول شعراء العربية لم يكونوا أقلّ من الشعراء العرب لميزاتهم الشعرية وقد اعترف علماء الشعر ونقاده بفضلهم في هذا المجال.

كان أبو الصلع السندي البغدادي مولى الخليفة موسى الهادي يتوطن بغداد وعلى قول دعبل "مولى آل جعفر بن أبي طالب" وتوفي بها. ذكره ابن الجراح (ت296هـ)

---

[1] المصدر نفسه، 427/13

[2] المصدر نفسه، 231/6

[3] كتاب الأنساب، ص 115

[4] مختصر تاريخ ابن عساكر، 3/7

في كتاب الورقة وقال عن فضله الشعري: "وكانت له أشعار فصاح صلاح".

ويمكن بها تقدير درجة شعره ولنقرأ بيتين من كلامه:

يا نفسُ صبرًا لا تهلكي يأسا   قد فارق الناس قبلك الناسا

صبرًا جميلًا، فلستِ أوّلَ من   أورثه الظاعنون وسواسا[1]

قال ابن النديم في الشعراء المماليك وأشعارهم أنّ شعر أبي الصلع في ثلاثين ورقة، والمراد من الورقة الكاغذ السليماني الذي صفحة منه تحتوي على 20 سطراً[2] وبهذا يبلغ عدد شعر أبي الصلع السندي ألفًا ومئتي بيت. كانت له محبة هائمة لبلاده وكان يذكر فضائلها ومناقبها في شعره فقد نقل الجاحظ في كتاب الحيوان والقزويني في آثار البلاد أبياته التي ذكر فيها العديد من إنتاجات الهند وذكر المرزباني في معجم الشعراء أبا الصلع السندي في الشعراء الذين تغلب الكنى أسماءهم.[3]

أبو العطاء السندي الكوفي مولى بني أسد يسمّى أفلح بن يسار أو المرزوق، ويعتبر من أكبر شعراء العصر العباسي. إنه نال من الصيت من بين شعراء العربية في الهند ما لم ينله أحد غيره. ويعدّ من شعراء الحماسة فقد نقلت أبياته في باب الحماسة وباب المراثي لديوان الحماسة. كان عصر شعره الزاهر هو العصر الأموي ولكنه لم يرض عن الخلفاء العباسيين. كان أبوه سنديًا أعجميًا ولم يكن يقدر على التحدث بالعربية السليمة حتى أنّ أبا العطاء كان فيه لكنة وعجمة ولم يقدر على أداء الحروف بطريقة صحيحة وجيدة فكان غلامه المسمّى بالعطاء ينشد أبياته فكنّى به نفسه بأبي العطاء. توفي في 168هـ. ونجد عمومًا ترجمته. قام بعض العلماء الباكستانيين بجمع شعره وإخراجه إلى النور.

كان إبراهيم بن السندي بن شاهك البغدادي شاعرًا بجانب كونه محدّثًا

---

[1] كتاب الورقة، ص 190-191

[2] الفهرست، ص 432 و433

[3] معجم الشعراء، ص 231

ومتكلمًا وخطيبًا.

عدّ ابن النديم أبا نصر السندي بن صدقة البغدادي من الشعراء الكتّاب وذكر أنّ ديوانه كان في خمسين ورقة. وكان معاصرًا لأبي نواس. بجانب قرضه الشعر كان منشئًا في الدولة الإسلامية. لم نجد صراحة عن كونه مولًى.[1]

لم نجد ترجمة عمرو بن السندي مولى ثقيف بصورة مستقلة. ذكره الأغاني ضمن حدث في ترجمة الشاعر العباسي الشهير عجرد (أبو عمر حماد بن يحيى بن عمرو مولى بني عامر بن صعصعة) فيبدو منه أنه كان شاعرًا للعربية شهيرًا مستندًا وهو الذي كتب بعض الأبيات عن عجرد والتي تسببت في لقبه بعجرد. ومنها بيتان تاليان:

سبحت بغلة ركبت عليها عجبًا منك خيبة للمسير

زعمت أنها تراه كبيرًا حملها عجرد الزنا والفجور

وعلاوة على ذلك فله أربعة أبيات يبدو منها أنّ عمرو بن السندي كان رجلًا صالحًا وغيورًا، وأثر هجوه في أنّ حماد بن يحيى تلقّب بعجرد وقد كان شاعرًا فاجرًا سيئ الذكر.

وكشاجم اسمه الكامل أبو الفتح أو أبو الحسن محمد حسن بن السندي بن شاهك مولى أبي جعفر المنصور وكان أشهر شعراء العرب. وكشاجم لقبه فالكاف للكتّابة والشين للشعر والألف للإنشاء والجيم للجدل والميم للمنطق، كان ماهرًا في هذه العلوم والفنون، وكان حلو الحديث إلى حد ضرب به المثل "أملح من كشاجم". وكان من شعراء بلاط أبي الهيجاء عبد الملك بن حمدان والد سيف الدولة. كان يسكن رملة في نواحي فلسطين. قضى مدة طويلة في مصر. ذكر ابن النديم من مؤلفاته كتاب أدب النديم وكتاب الرسائل وكتاب ديوان الشعر. وفي كشف الظنون جاء ذكر كتاب المصائد والمطارد.

[1] كتاب الفهرست، ص 236 ومختصر تاريخ ابن عساكر، 261/4

توفي في 330هـ أو 360هـ.

ذكر ابن النديم منصور الهندي غلام حفصويه في الشعراء المماليك وأشار إلى قلة عدد أبياته. "منصور الهندي غلام حفصويه مقلّ".[1]

هارون بن موسى الملتاني مولى بني أزد كان يسكن ملتان وكان يقضي حياة ذات بهاء وشوكة في قومه وكان له حصن بها كان يعيش فيه عيشة الأمير والرئيس. قرض قصيدة بمناسبة قتاله ضد ملك يبدو منها فضله الشعري. نقل القصيدةَ الجاحظُ في كتاب الحيوان والمسعودي في مروج الذهب.[2]

الأمراء والحكّام: وعلاوة على ثروة العلم والفضل نال مماليكها ومواليها حظًا أوفر من الحكومة والإمارة واحتلوا المناصب العليا في الدولة العباسية وقاموا بأداء خدمات جليلة. وثق الخلفاء العباسيون بمسؤوليتهم ووفائهم ثقة تامة فولّوهم مهام عظيمة. إنّ هؤلاء الموالي والمماليك لم يخطر ببالهم الخروج والتغلب كعادة موالي ومماليك البلاد الأخرى بل استخدموا مواهبهم وجداراتهم الحسنة فاستحقوا الذكر الحسن والثقة فكان العديد منهم من أرباب الحل والعقد للخلافة ولكنهم لم يدعوا وفاءهم ووثقتهم أن يمسّهما شيء من العيب والشين، وتمتاز فيهم أسرة السندي بن شاهك مولى أبي جعفر المنصور وكانت مؤثرة في الدولة العباسية كمثل البرامكة لمدة لا بأس بها.

وكان إبراهيم بن السندي بن شاهك مولى أبي جعفر المنصور عالمًا كبيرًا وداعيًا متحمسًا ووفيًا للخلافة العباسية وكانت له جولة وصولة في شؤون الدولة وقد احتلّ العديد من المناصب ولقد بالغ الجاحظ في أفضاله ومناقبه في كتابه "البيان والتبيين" وسرد له وقائع وأحداثًا وذكر الشهرستاني أنه ذات مرة سأل إبراهيم بن السندي بن شاهك راهب المعتزلة مزدار (أبو موسى

[1] كتاب الفهرست، ص 234

[2] مروج الذهب، 2/9-11

عيسى بن صبح) عن أهل الأرض فكفّر الكل لشدته وصلابته فخاطبه إبراهيم قائلًا: هل الجنة التي عرضها عرض السماوات والأرض لا يسكنها سوى أنت وأصحابك الثلاثة فسكت مزدار.[1]

وإبراهيم بن عبد السلام كان ابن أخي السندي بن شاهك ويكنى أبا طوطة. وكان حائزًا على شتى المناصب في العهد العباسي. ذكر الطبري أنه قال لي السندي بن شاهك إني كنت بجرجان مع موسى الهادي إذ بلغه وفاة المهدي فأرسلني موسى الهادي إلى خراسان وذهب بنفسه مع سعيد بن أسلم إلى بغداد.[2]

وكذا كان إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السندي بن شاهك وكان من حواشي الخليفة في عهد المأمون وكانت له صولة وجولة في شؤون الدولة. وقد ذكر أنه حينما رجع المأمون من خراسان أمره أن يجمع نخبة من العلماء والأدباء ليكونوا ندماء له فسمّى إبراهيم بعض الرجال بمن فيهم الحسين بن الضحاك الذي كان من ندماء محمد المخلوع. لما عرضت أسماؤهم للمأمون فأزاح الحسين بن الضحاك.[3]

وكان أبو حارثة الهندي على بيت المال في زمن الخليفة المهدي. ذات مرة فرغ بيت المال فوضع أبو حارثة المفاتيح أمام المهدي قائلًا: هل يفيدني أن أحمل بيت مال لا مال فيه فقام المهدي بجمع الأموال.[4]

والإمام إسماعيل بن علية البصري كان حافظًا للحديث وإمامًا للفقه. عيّن على مناصب حكومية بالبصرة وبغداد. يقول ابن سعد إنّ ابن علية ولّي على الصدقات بالبصرة وجعل حاكم المظالم في بغداد في نهاية عهد المأمون.[5]

ولأجل هذا المنصب الحكومي عصم عبد الله بن مبارك منحته وقرض

[1] البيان والتبيين، 266/1 و713 و162 و261/2 و163 والملل والنحل، 37/2

[2] تاريخ الطبري، 305/9

[3] الأغاني، 38/7

[4] مروج الذهب، 248/3

[5] طبقات ابن سعد، 325/7

قصيدة شدّد فيها عليه فاستقال عنه ابن علية فورًا.

وكان خيار بن يحيى السندي البغدادي أمر على جسر بغداد زمن المأمون وفي 204هـ جعل طاهر بن حسين أمير حرس المأمون فكتب إلى الفضل بن الربيع يطلبه رجلين يأمرهما على جسر بغداد فكتب الفضل اسمي خيار بن السندي وعياش بن القاسم فأمرهما طاهر على الجسر.[1]

اسم السندي بن شاهك مولى أبي جعفر المنصور محمد ويحيى. اسم أمه شاهك وإليها نسب. وهو جد الشاعر الشهير كشاجم. كان عاقلًا بالغ الرشد ومتفهم الأمور. وكانت له اليد الطولى في أمور الدولة في زمن المنصور وهارون. يقال له صاحب الحرس. جعل على جسر بغداد في زمن هارون الرشيد. وكذلك جعل حاكمًا على بغداد. في 191هـ أمره هارون أن يجعل ملابس أهل الذمة في بغداد مختلفة عما للمسلمين.[2] وفي 286هـ فاض نهر دجلة فمنع السندي بن شاهك الناس عن المشي على الجسر.[3] وهو الذي سأله هارون الرشيد أن يقوم بالتحقيقات عن البرامكة ومن ثم واجهوا الزوال.[4]

وفي زمن اختلال محمد الأمين غلب عقله وقلبه الناس وقد سبقهم السندي بن شاهك.[5] وقد نقلت أحداث ووقائع عديدة في تاريخ الطبري وعيون الأخبار والأغاني، تدل على تدخله في شؤون الخلافة.

وكانت أخت للسندي بن شاهك تساهمه في شؤون الدولة وكانت تساعده حينما كان ضابطًا للسجن. وفي 179هـ قبض هارون على الإمام موسى الكاظم وألقاه في سجن بغداد وآنذاك كانت هذه المرأة مسؤولة عن السجن: "فحبسه

---

[1] كتاب بغداد أحمد بن أبي طيفور بالإحالة إلى عصر المأمون، 342/1

[2] تاريخ الطبري، 100/10

[3] مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص 27

[4] كتاب الوزراء والكتاب، ص 236-237

[5] التنبيه والإشراف، ص 349

عند السندي بن شاهك، وتولّى حبسه أخت السندي بن شاهك وكانت تتدين".

فلما رأى الإمام موسى الكاظم يخوض في العبادة قالت عنه: "خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح".[1]

وكان السندي مولى حسين الخادم أميرًا زمن خلافة الواثق بالله فذكر الطبري أنّ السندي مولى حسين الخادم قال: في 231هـ تمت المحادثات لتبادل الأسرى بين الروم والمسلمين فوضع المسلمون والروم جسرًا على نهر لامس بالسلوقية بعيدًا عن طرسوس فكنا نتبادل الأسرى على ذلك الجسر.[2] كنا نرسل الروم عن طريق جسرهم وكان الروم يرسلون المسلمين بجسرهم، وهكذا يتم تبادل الأسرى.

وكان السندي بن يحيى الحرشي متدخلًا في أمور الدولة خلال عهد المأمون وهارون الرشيد وفي 196هـ كان الهيثم بن شعبة والسندي بن يحيى الحرشي أميرين على الواسط ولما تقدّم رجل متمرد يسمّى طاهرًا بجيشه فهرب الاثنان. في 202هـ بايع أهل بغداد على إبراهيم بن المهدي ولقّبوه بالمبارك، وقد أدّى هذه الخدمة السندي بن يحيى الحرشي وصاح صاحب المصلى والمنجاب والنصير وغيرهم من الموالي والمماليك لأنهم كانوا مسيطرين على الخلافة والجيش وكانوا متصدّين للمأمون.[3] ذكر الطبري عديدًا من أحداث السندي بن يحيى.

وكان السندي بن سهل البغدادي من موالي أبي جعفر وأمرائه. قال ابن كثير: "في 166هـ وقعت فتنة عظيمة بالشام بين النزارية- وهم قيس- واليمانية، وهذا كان أول بدو أمر العشرين بحوران، وهم قيس ويمن، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الأوان، فقتل منهم بشر كثير، وكان على نيابة الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى، وقيل: عبد

---

[1] كامل ابن الأثير، 54/6

[2] تاريخ الطبري، 38/11

[3] تاريخ الطبري، 168/10 و144

الصمد بن علي. وكان على نيابة دمشق بخصوصها سندي بن شاهك أحد موالي أبي جعفر المنصور، وقد هدم سور دمشق حين هاجت هذه الفتنة، خوفًا من أن يتغلب عليها أبو الهيذام المري رأس القيسية".[1]

ذهب الخليفة المهدي الإمام بأبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني صاحب المغازي من المدينة المنورة إلى بغداد وأعطاه ألف درهم كالزاد وذكر سبب حمله إليها: "تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا".[2]

فكان الإمام أبو معشر يعلّم حواشي بلاط المهدي علوم الدين وفنونه، ويدرّبهم على تفقهها حتى توفي بها في شهر رمضان سنة 170هـ.

وكان أبو روح الفرج السندي البصري مولى محمد بن سكن ماهرًا في الحساب والأمور التجارية واكتسب لمولاه ثروة كبيرة، ذكر الجاحظ أنّ صرافة بغداد والبصرة لم يكونوا يضعون على الصندوق سوى السنديين لأنهم كانوا أمناء وماهرين في الحساب فلا نجد على صندوق صراف سوى السندي لا الرومي ولا الخراساني. لما رأى صرافو البصرة وعطاروها أنّ أبا روح جعل لسيده مالك ثروة كبيرة وعقارات كثيرة فاشتروا عبيدًا سنديين حريصين على أن يمتلكوا أموالًا كثيرة وعقارات كبيرة في مدة قليلة.[3]

واشترى المطرز السندي المدني المغني شاعر النسيب الشهير أبو جميل مومل بن جميل. وكان رجلًا صالحًا على الرغم من غنائه وكان ينبّه سيده على سوءه فذات مرة دعا أبو جميل مغنيينِ من اليمامة فأبديا ما وهبا فقال له المطرز هل تعرف ماذا تفعل؟ فقال أبو جميل إنه مجنون ولكن المطرز أقسم بالله وقال إنك تظهر عدم خوفك من الله بدعوة هذين المغيين في دارك.

---

[1] البداية والنهاية، 168/10

[2] تذكرة الحفاظ، 134/1

[3] رسائل الجاحظ، 224/1 وكتاب الحيوان، 435/2

وقد ذكر الأغاني حدثين من هذا النوع.[1]

ونفيس السندي كان غلامًا للجاحظ فذات مرة سأل الجاحظ خادمه عن عمل أكلّفه فأجاب أن يضمّه إلى من يضع الأحذية السندية[2] ولنعلم أنّ النعال الكمبايتية كانت مشهورة جدًا في العرب وكان عدد كبير منها يتم تصديرها من الهند وكذا كانت النعال السندية مشهورة. كان نفيس السندي ماهرًا في صناعتها وكان يجيد أحذيتها.

كان صالح السندي يمتلك عقارًا واسعًا زمن خلافة أبي جعفر المنصور. ذكره الأغاني في موضع من ترجمة حماد.[3]

إماء شهيرات: وقد سبق أنّ عبيد وإماء بعض مناطق الهند والسند كانوا مشهورين في العرب لأجل حسنهم وجمالهم، وموهبتهم، ورعاية المنزل، والموسيقى، والطبخ، وحسن الإدارة وكان العرب يكرمونهم ومن بينهم إماء هنديات لهن درجة كبرى وجاء ذكرهن في الكتب والرسائل.

واشترى عبد الله بن الربيع خمار المغنية القندهارية في طفولتها من آل يحيى بن معاذ بمئتي ألف دينار وعلّمها الموسيقى على المغني الشهير إبراهيم بن الموصلي. كان الفنانون يفتنون بموسيقى وجمال صوت خمار وكانوا يسمعون كلامها مرارًا وتكرارًا.[4]

---

[1] الأغاني، 83/19 وعبارته هكذا: "أخبار المؤمل بن جميل: أن أبا جميل اشترى غلامًا مدنيًا مغنيًا مجلوبًا من مولدي السند على البراءة من كل عيب يقال له المطرز فدعا أصحابًا له ذات يوم ودعا شيخين من أهل اليمامة مغنيين يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة فلما أخذ القوم مجلسهم ومعهم المطرز اندفع الشيخان فغنيا فقال المطرز لأبي جميل مولاه ويلك يا أبا جميل يابن الزانية أتدري ما فعلت ومن عندك فقال له ويلك أجننت مالك قال أما أنا فأشهد أنك تأمن مكر الله حين أدخلت منزلك هذين".

[2] البيان والتبيين، 145/1

[3] الأغاني، 223/14

[4] المصدر نفسه، 177/4

ودوم السندية البغدادية كانت تصنع النبيذ فتبيعها في بغداد وكانت شهيرة بالنباذة فذات مرة جاء بعض الضيوف لدى الشاعر الشهير أبي دلامة فطلب شيئًا من النبيذ بدكان دوم السندية فلما طلبها مرة أخرى وجاءت دوم لأخذ السعر فقال لها أبو دلامة إني لا أجد مالًا إلا أني أدعولك وقال ثلاثة أبيات مشينة فيها.[1]

وسكرية السندية كانت أمة الخليفة المهدي وكانت أذنها مثقوبة. وولدت إسحاق بن المهدي.

وطلة الهندية البغدادية كانت أمة أمير السند روح بن حاتم. جاء ذكرها في حدث لعياض بن الحكم بن عوانة الكلبي النحوي بأنّ روح بن حاتم كان معها في سقفه.[2]

وشهدة الطحانة السندية البغدادية كانت تطحن بالنهار فتؤدي نقدها لسيدتها وكانت تخدم أهل البيت في الليل وذات مرة قالت لها سيدتها حين الكسوف: إنك حرة لله فقالت شهدة: ألست حرة؟ ثم وثبت إلى الباب وقالت بصوت عالٍ: المرأة التي تسبني بأني زانية فهي زانية ومن تتهمني بالسرقة فهي سارقة، ومن تعيرني بأني فاحشة فهي فاحشة ثم قالت لسيدتها: هاتيني المطحنة فإني حرة وأكتسب بها.[3]

وذكرت عجوز سندية بغدادية في كتاب الحيوان بأنها "لما ركبت ظهر بعير وأقبل بها هذا البعير وأدبر وطمر فمخضها مرة مخض السقاء وجعلها مرة كأنها ترهز فقالت بلسانها وهي سندية أعجمية أخزى الله هذا الذمل فإنه يذكر بالسر تريد: أخزى الله هذا الجمل فإنه يذكر بالشر".[4]

---

[1] كتاب البديع، ص 131

[2] طبقات النحويين واللغويين، ص 446-447

[3] رسائل الجاحظ (كتاب الحيل)، 241/4

[4] كتاب الحيوان، 507/2

فهرس المصادر والمراجع

1. آثار البلاد	زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ)	مصر
2. آثار أبي العلاء المعري	أبو العلاء المعرّي (ت 449هـ)	مصر
3. أحسن التقاسيم	أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (كان حيّاً في 375هـ)	ليدن
4. أخبار مكة	أبو الوليد الأزرقي المكي (ت 223هـ)	مكة
5. الأخبار الطوال	أبو حنيفة أحمد بن داؤود الدينوري (ت 281هـ)	مصر
6. أخبار الزمان	أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 345هـ)	مصر
7. إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مختصر الزوزني تاريخ الحكماء	الوزير جمال الدين يوسف القفطي (ت 646هـ)	ليدن
8. أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام	أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت 245هـ)	مصر
9. إسلامي هند كي عظمت رفته (المجد الغابر للهند الإسلامية)	القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري (ت 1996م)	دلهي
10. الأعلاق النفيسة	أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته (ت نحو 300هـ)	ليدن
11. الإكمال في رفع الارتياب	أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا (ت 475هـ)	حيدرآباد
12. كتاب الأموال	أبو عبيد القاسم بن السلام الهروي (ت 234هـ)	مصر

13. كتاب الأغاني	أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ)	مصر وبيروت
14. كتاب الأنساب	أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد السمعاني (ت 862هـ)	لندن وحيدرآباد
15. الأنساب المتفقة	أبو الفضل محمد بن طاهر القيسراني (ت 507هـ)	ليدن وبغداد
16. أخبار أبي حنيفة وأصحابه	القاضي أبو عبد الله حسين بن البغدادي (ت 430هـ)	حيدرآباد
17. كتاب البخلاء	أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 250هـ)	مصر
18. البداية والنهاية	أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774هـ)	مصر
19. كتاب البديع	عبد الله بن المعتزّ (ت 296هـ)	لينن غراد
20. بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس	أحمد بن يحيى بن أحمد بن عمير (ت 599هـ)	ميدرد وبغداد
21. كتاب البلدان	أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي (نحو 284هـ)	ليدن
22. البيان والتبيين	أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 250هـ)	مصر
23. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	سيّد محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت 1342هـ)	مصر
24. تأويل مشكل القرآن	أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)	مصر
25. تاج العروس من جواهر القاموس	السيّد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي البلكرامي (ت 1205هـ)	الكويت

26. تاريخ بغداد (تاريخ دار السلام)	أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)	مصر
27. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير	أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)	مصر
28. تاريخ الملوك والأمم (تاريخ الطبري)	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)	أوربا ومصر
29. تاريخ أصفهان (ذكر أخبار أصفهان)	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430هـ)	مخطوط وكذا ليدن
30. تاريخ جرجان	أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني (ت 428هـ)	حيدرآباد
31. التاريخ الصغير	أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)	الهند
32. تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة ولم يجعلهم للوثن (السفر الثاني)	عبد الملك بن صاحب الصلوة (ت 554هـ)	بيروت
33. تاريخ خليفة بن خياط	خليفة بن خياط الشيباني البصري (ت 240هـ)	دمشق
34. تاريخ ابن خلدن (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (ت 808هـ)	مصر
35. تاريخ اليعقوبي	أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي (نحو 284هـ)	بيروت ونجف

36. تاريخ الكامل (تاريخ ابن الأثير)	أبو الحسن عزّ الدين بن علي بن الأثير الجزري (ت 630هـ)	مصر
37. تاريخ ابن عساكر (مختصر)	أبو القاسم علي بن هبة الله الدمشقي ابن عساكر (ت 557هـ)	مصر
38. التحفية البهية في طبقات الشافعية	عبد الله بن مجاري الشرقاوي (ت 1227هـ)	مخطوط
39. تحفة الألباب	أبو حامد محمّد بن عبد الرحيم الغرناطي الأندلسي (حيّ حتى 557هـ)	ليدن
40. تهذيب التهذيب	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)	حيدرآباد
41. تذكرة الحفّاظ	الإمام الذهبي (ت 748هـ)	حيدرآباد
42. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة ألام مذهب مالك	القاضي عياض بن موسى يحيي (ت 544هـ)	بيروت
43. التنبيه والإشراف	المسعودي (ت 345هـ)	أوربا ومصر
44. التبصرة بالتجارة	الجاحظ (ت 258هـ)	مصر
45. التفسير الكبير (تفسير الرازي)	أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت 606هـ)	مصر
46. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي النيشابوري (ت 449هـ)	مصر
47. جامع بيان العلم	أبو عمر يوسف بن عبد البرّ الندلسي (ت 463هـ)	مصر

48. كتاب الجرح والتعديل	أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت 327هـ)	حيدرآباد
49. جمهرة نسب قريش وأخبارها	أبو عبد الله الزبير بن بكّار المكّي (ت 256هـ)	مصر
50. جمهرة أنساب العرب	أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)	مصر
51. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية	أبو محمّد محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي (ت 775هـ)	حيدرآباد
52. جامع كرامات الأولياء	يوسف ين إسماعيل النبهاني (ت 1350هـ)	مصر
53. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)	مصر
54. كتاب الحيوان	الجاحظ	بيروت
55. خاص الخاص	أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي (ت 430هـ)	بيروت
56. خلاصة تذهيب الكمال	صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي (ت 923هـ)	مصر
57. ديوان المعاني	أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395هـ)	مصر
58. ديوان الحماسة (ابن الشجري)	أبو السعادة هبة الله بن علي ابن الشجري (ت 542هـ)	حيدرآباد
59. كتاب الذخائر والتحف	القاضي الرشيد بن الزبير (ت 563هـ)	الكويت
60. كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة (بقية السفر الرابع)	أبو عبد الله محمد بن محمّد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (ت 215هـ)	بيروت

61. رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد	أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون المتطيّب البغدادي (ت 458هـ)	مصر
62. رسل الملوك ومن يصلح الرسالة والسفارة	أبو علي الحسين بن محمّد ابن الفرّاء (ت 207هـ)	مصر
63. رسائل الجاحظ	الجاحظ	مصر
64. رجال السند والهند	القاضي أطهر المباركفوري	مومباي
65. رجال الكشي	القاضي أطهر المباركفوري	مومباي
66. رحلة سليمان التاجر (سلسلة التواريخ)	سليمان التاجر (كان حيًّا حتى 230هـ)	باريس
67. رحلة أبي زيد السيرافي (سلسلة التواريخ)	أبو زيد الحسن السيرافي (كان حيًّا حتى 264هـ)	باريس
68. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظّار)	أبو عبد الله بن بطوطة البلخي المغربي (ت 779هـ)	مصر
69. شذرات الذهب بأخبار من ذهب	أبو الفلاح عبد الحيّ بن عباد الحنبلي (ت 1079هـ)	مصر
70. صور الأرض (منتخبات)	أبو القاسم ابن حوقل البغدادي (حيّ بعد 330هـ)	ليدن
71. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء	أبو العبّاس أحمد القلقشندي المصري (ت 821هـ)	مصر
72. صفة الصفوة	أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت 597هـ)	حيدرآباد
73. ضحى الإسلام	أحمد أمين (ت 1954هـ)	مصر
74. كتاب الضعفاء والمتروكين	أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت 303هـ)	الهند
75. الطبقات الكبرى (ابن سعد)	أبو عبد الله محمّد بن سعد الواقدي البغدادي (ت 230هـ)	بيروت

76. الطبقات السنية في تراجم الحنفية	مولى تقي الدين عبد القادر التميمي الحنفي المصري الغزي (ت 1005هـ)	مصر
77. طبقات فحول الشعراء	أبو عبد اللح محمّد بن سلام الجمحي البصري (ت 231هـ)	مصر
78. طبقات الشعراء	عبد الله بن المعتزّ (ت 296هـ)	مصر
79. طبقات الأمم	أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت 463هـ)	مصر
80. طبقات الأطبّاء (عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء)	أبو العباس أحمد بن القاسم انخزرجي ابن أبي أصيبعة (ت 595هـ)	مصر
81. طبقات الفقهاء	أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476هـ)	مصر
82. طبقات الشافعية الكبرى	أبو نصر تاج الدين عبد الله بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)	ممصر
83. طبقات الشافعية	أبو بكر بن هداية الله الحسيني (ت 1014هـ)	مصر
84. طبقات الحنابلة	القاضي أبو الحسين محمّد بن أبي يعلى الموصلي (ت 236هـ)	مصر
85. طبقات الفقهاء الشافعية	أبو عاصم محمّد بن أحمد العبادي (ت 458هـ)	ليدن
86. طبقات الصوفية	أبو عبد الرحمن السلمي (ت 74هـ)	مصر
87. الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)	عبد الوهاب الشعراني (ت 973هـ)	مصر
88. طبقات القرّاء (غاية النهاية في طبقاء القرّاء)	أبو الخير محمّد بن محمّد الجزري (ت 833هـ)	مصر
89. طبقات النحويين واللغويين	أبو بكر محمّد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ)	مصر

90. ظفر الواله بمظفر وآله	عبد الله بن محمّد بن عمر المكّي (ت 110هـ)	ليدن
91. عصر المأمون	أحمد فريد رفاعي (ت 1956م)	مصر
92. العبر في خبر من غبر	أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 747هـ)	الكويت
93. عجائب الهند	بزرك بن شهريار الأمهرمزي (ت بعد 340هـ)	ليدن
94. العقد الفريد	ابن عبد ربّه الأندلسي (ت 328هـ)	مصر
95. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين	تقي الدين محمّد بن أحمد بن علي المكي (ت 832هـ)	مصر
96. العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين	القاضي أطهر المباركفوري	الهند
97. عيون الأخبار	أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)	مصر
98. غريب الحديث	أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي (ت 224هـ)	حيدرآباد
99. فتح الباري في شرح صحيح البخاري	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)	مصر
100. فتوح البلدان	أبو الحسن أحمد بن يحيى بن داود البلاذري البغدادي (ت 279هـ)	مصر
101. كتاب الفهرست	أبو الفرج محمّد بن إسحاق ابن النديم البغدادي (حيّ حتى 377هـ)	مصر

102. فهرست أبي بكر بن خير الإشبيلي	أبو بكر بن خير الإشبيلي (ت 575هـ)	مصر
103. كتاب الكنى والأسماء	أبو البشر محمّد بن أحمد بن حمّاد الدلابي (ت 310هـ)	حيدرآباد
104. الكامل في اللغة والأدب	أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد النحوي (ت 285هـ)	مصر
105. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	حاجي خليفة چلپي (ت 1068هـ)	اسطنبول
106. لسان العرب	محمّد بن مكرّم ابن منظور المصري الإفريقي (ت 711هـ)	مصر وبيروت
107. لسان الميزان	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)	حيدرآباد
108. اللباب في تهذيب الأنساب	أبو الحسن عز الدين علي بن محمّد الخزرجي (ت 630هـ)	مصر
109. مآثر الإنافة في معالم الخلافة	أبو العبّاس أحمد المصري القلقشندي (ت 821هـ)	الكويت
110. معجم الشعراء	أبو عبد الله محمّد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـ)	مصر
111. معجم البلدان	أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت 626هـ)	مصر
112. معجم المؤلفين	محمود حسن التونكي (ت 1366هـ)	بيروت

113. الموشّى أو الظرف والظرفاء	أبو الطيّب محمّد بن إسحاق بن يحيي الوشّاد (ت 325هـ)	بيروت
114. مقاتل الطالبين	أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصفهاني (ت 356هـ)	مصر
115. المنتظم	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت 597هـ)	حيدرآباد
116. مناقب الإمام أحمد	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت 597هـ)	مصر
117. مرآة الزمان	ابن سبط الجوزي (ت 654هـ)	حيدرآباد
118. مرآة الجنان وعبرة اليقظان	أبو محمّد عبد الله بن علي اليافعي المكّي (ت 668هـ)	حيدرآباد وبيروت
119. معرفة علوم الحديث	أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيشابوري (ت 405هـ)	مصر
120. مشتبه النسبة في الرجال: أسمائهم وأنسابهم	أبو عبد الله محمّد أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)	مصر
121. كتاب المجروحين من المحدّثين	أبو حاتم محمّد بن حبّان البستي (ت 354هـ)	حيدرآباد
122. المحدث الفاضل بين الراوي والواعي	القاضي الحسين بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي (ت 360هـ)	بيروت
123. المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث	أبو محمّد عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري (ت 409هـ)	الهند
124. المنتقى لابن الجارود	عبد بن علي بن الجارود (ت 307هـ)	مصر
125. مختصر الترغيب والترهيب	الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)	الهند

126. ميزان الاعتدال	الإمام الذهبي (ت 748هـ)	مصر
127. كتاب المعارف	أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)	مصر
128. مروج الذهب	أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 345هـ)	مصر
129. كتاب المحبّر	أبو جعفر محمّد بن الحبيب البغدادي (ت 245هـ)	حيدرآباد
130. كتاب المنمّق	أبو جعفر محمّد بن الحبيب البغدادي (ت 245هـ)	حيدرآباد
131. المسالك والممالك	أبو القاسم عبيد الله بن أحمد ابن خرداذبة (ت 300هـ)	ليدن
132. مسالك الممالك	أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الأصطخري (ت 346هـ)	ليدن
133. كتاب الملل والنحل	محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548هـ)	مصر وليدن
134. المحمّدون من الشعراء وأشعارهم	أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ)	حيدرآباد
135. كتاب المحتسب	أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 392هـ)	مصر
136. كتاب المقتضب	أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (ت 285هـ)	مصر
137. نجات الرشيد	الملّا عبد القادر البدايوني (ت 1004هـ)	لاهور
138. نكت الهميان في نكت العميان	صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)	مصر
139. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة	القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت 304هـ)	مصر

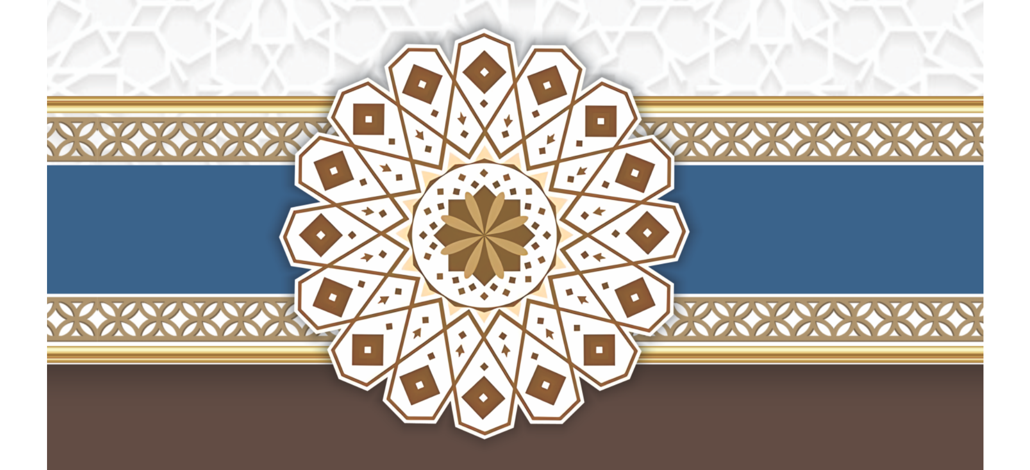
140. نيل الابتهاج بتطريز الديباج	أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر التكراري التبنكي (ت 656هـ)	مصر
141. كتاب الوفيات	أبو العبّاس أحمد بن علي الخطيب ابن قنفد القسطيني (ت بعد 807هـ)	بيروت
142. كتاب الوافي بالوفيات	صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)	طهران
143. كتاب الوزراء والكتّاب	أبو عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري (ت 331هـ)	مصر
144. وفيات الأعيان (تاريخ ابن خلكان)	شمس الدين أحمد بن إبراهيم أبو بكر ابن خلّكان (ت 681هـ)	إيران
145. كتاب الورقة	أبو عبد الله محمّد بن داود بن الجرّاح (ت 296هـ)	مصر
146. كتاب الهند (كتاب ما للهند)	أبو ريحان محمّد بن أحمد البيروني (ت 430هـ)	لندن

فهرس الموضوعات

AL-HIND WA AL-'ARAB FĪ AL-'AHD AL-'ABBĀSĪ

Author:
Al-Qāḍī Abū al-Ma'ālī Aṭhar al-Mubārakpūrī

Translated by:
Dr. Aurang Zeb Azmī





S-17/4, Jogabai Ext. Jamia Nagar, Okhla New Delhi-110025
Cont: 9811794822 / 21, E-mail:markazipublication@gmail.com

